وزَارَةُ التَّعْلِيمِ العَالي وَالبَحْثِ العِلْمِيّ
جَامِعَةُ بَابِلَ/ كُلِّيَّةُ العُلُومِ الإِسْلَامِيَّةِ
قِسْمُ عُلُومِ القُرْآنِ/ الدِّرَاسَاتُ العُلْيَا

مَكَّةُ بَيْنَ المُفَسِّرِينَ وَالمُسْتَشْرِقِينَ
دِرَاسَةٌ مُقَارَنَةٌ

رِسَالَةٌ تقدَّم بها الطالب رعد هاشم مشحوف الأسديّ إلى مَجْلِسِ كُلِّيَّةِ العُلُومِ الإسْلاميَّةِ/ جامعةُ بَابِلَ
وهي جزءٌ من متطلَّباتِ نيلِ شهادة الماجستير في عُلُوم القُرْآنِ والتفسير

بإشرافِ الأُسْتاذِ الدُّكتُورة
سكينة عزيز عبَّاس الفَتْليّ

١٤٤٤هـ ـــــــــــــــــــــــــــــــ ٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]

صَدَقَ اللهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيم

(١) آل عمران/ ٩٦.

الإهْدَاءُ

إلى الرسول الأعظم، نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) راجيا شفاعته يوم القيامة، وإلى أهل بيته المعصومين الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين) .

وإلى وسليل بيت النبوة ، الإمام الهمام ، صاحب العصر والزمان

أقدّم ثمرة جهدي .

وإلى فقهاء الأمة العاملين والأولياء والصالحين أجمعين وسماحة المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني(دام ظله الوارف) .

وإلى العارج للسماء شهيدًا مضمّخًا بدمه . . . ملبي الفتوى المقدسة دفاعًا عن المقدّس . . .والدي الشهيد السعيد هاشم الاسدي .

وإلى والدتي . . التي أتفيء بظلال دعائها ، أطال الله عمرها ، وجزاها الله أحسن ما جازى به والدةً عن ولدها .

وإلى شهداء الحشد الشعبي الكرام.

وإلى مناهل العلم والمعرفة أساتذتي .

وإلى روافد الوفاء إخوتي .

وإلى أصدقائي رفاق دربي .

وإلى كل من ساعدني في بحثي المتواضع هذا . . .

إليكم أهدي ما وفقني إليه ربي العزيز إخلاصا وعرفانا .

رعد

شُكرٌ وعِرْفَانٌ

في بداية كلمتي لا بدّ لي من أتوجه أولاً بالشكر لله عزّ وجلّ الذي وفقني للوصول الى هذه المرحلة ، ومهد لي الطريق لأكون بينكم اليوم ، والشّكر لجميع أئمتي الاثني عشر (عليهم السلام) فهم الوسيلة التي بها استجاب الله دعائي، ورزقني هذه النعمة. وأتقدم بالشُّكر إلى أستاذتي ومشرفتي الأستاذ الدُّكتورة (سكينة عزيز الفتليّ) التي أشرفت على رسالتي فكان الشّكر يقلُّ بحقّها لما بذلته، من ساعات الليل والنهار في المتابعة والإرشاد، والتي لم تبخل عليَّ بما أحتاجه من معلومة وجهد لإتمام هذه الرسالة بما هي عليه شكري موصول إلى الأستاذ الدُّكتور (جبّار كاظم الملّا) بمثل ما ذكرت، فأسأل الله تعالى أن يحفظهما ويمدُّ في أعمارهم ويوفقهم لكلِّ ما يرومون نيله. كما أتقدَّمُ بالشكر الجزيل لجميع أساتذتي في كلية العلوم الإسلامية، وإلى موظفيها الذين ساعدوني في تقديم أية خدمة كانت.

وشكري إلى عميد الكليّة المحترم الأستاذ الدُّكتور (حسن عبيد المعموري) .

ودوام شكري من بدء الطريق في الشروع في رسالتي إلى اللجنة العلميَّة التي أقرت الموضوع وإلى كل أساتذتي الذين درسوني في مرحلة الماجستير لهم جميعًا دائم الشُّكر والامتنان وأطال الله في أعمارهم .

لا يسعني كذلك سوى تقديم الشكر الجزيل للأستاذ (مشاري البدري) الذي ساعدني بتزويدي بما احتاجه من مصادر .

وكذلك أشكر جميع أساتذتي وزملائي وأصدقائي خارج الكلّية وداخلها الَّذين لم يبخلُوا عليَّ بجميع ما لديهم من معلومة، وكل ما يملكون من تقديم مصادر ومشاركة الرَّأي، وشكرًا لوالدتي وأخوتي الَّذين تحمَّلوا كل شيء من أجل إكمال دراستي . . .

رعد

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصحيفة
الآية	أ- أ
الإهداء	ب- ب
شكر وعرفان	ت- ث
المُقَدِّمَة	١-٧
التَّمهيد : تحديدُ مصطلحاتِ عنوانِ الرِّسالةِ	٨-٣١
المقصد الأول: مكة لغة واصطلاحًا	٩-١٧
المقصد الثاني: المفسرون لغة واصطلاحًا	١٧-٢٠
المقصد الثالث : المستشرقون لغة واصطلاحًا	٢٠ -٢٨
المقصد الرابع : الدراسة لغة واصطلاحًا	٢٨-٢٩
المقصد الخامس: المقارنة لغة واصطلاحًا	٢٩-٣٠
خلاصة المفهوم الكلِّيّ	٣٠-٣١
الفصلُ الأوَّلُ **التَّفسيرُ اللَّفظيُّ لأسماءِ مكَّةَ ومتعلِّقاتِها في القرآنِ الكريمِ والكتبِ المقدَّسةِ**	٣٢-٩٥
توطئة الفصل الأول	٣٣- ٣٤
المبحث الأول: التفسير بلحاظ الاسماء	٣٥-٧٠
مدخل المبحث الأول	٣٦-٣٦
المطلب الأوَّلُ: ما تعلَّقَ بـ (البيت).	٣٧-٤٩
المطلب الثاني: ما تعلَّقَ بـ (المسجد).	٥٠-٥٥
المطلب الثالث: ما تعلَّقَ بـ (البلد)	٥٦-٧٠
المبحث الثاني: التَّفسيرُ بلحاظِ (قدسيَّتِهَا)	٧١-٩٥

مدخل المبحث الثاني	٧٢-٧٢
المطلب الأوَّلُ: التَّقديسُ باللَّفظ (مباركًا)	٧٣-٧٨
المطلب الثاني: التَّقديسُ باللَّفظ (الحرام)	٧٩-٨٨
المطلب الثالث: التَّقديسُ باللَّفظ (آمنًا)	٨٨-٩٤
خلاصة الفصل الأول	٩٤-٩٥
الفصلُ الثّاني: البعدُ الدِّينيّ لمكَّةَ قبل الإسلام بينَ المفسِّرينَ والمستشرقينَ	٩٦- ١٨٣
توطئة الفصل الثاني	٩٧-٩٨
المبحث الأول: البعدُ الدِّينيّ لمكة قبل الإسلام عند المفسِّرينَ	٩٩-١٤٢
مدخل المبحث الأول	١٠٠-١٠٠
المطلب الأوَّلُ: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بالأنبياء ومكَّة	١٠١-١٢٤
الفرعُ الأوَّلُ: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بإبراهيم وإسماعيل	١٠١-١١٧
الفرعُ الثَّاني: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بإيلاف قريش	١١٨-١٢٤
المطلبُ الثَّاني: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بديانة العباد	١٢٥-١٤٥
الفرع الاول: دين الحنيفية في شبه الجزيرة	١٢٥-١٢٨
الفرعُ الثاني: صلاة (مكاء وتصدية) عند قريش	١٢٩-١٣٣
الفرعُ الثَّالث: الصَّفا والمَرْوَة من شعائر الله	١٣٤-١٣٦
الفرعُ الرَّابعُ: رؤية فِعل الرَّب بأصحاب الفيل	١٣٧- ١٤٢
المبحث الثاني: البعدُ الدِّينيّ لمكة قبل الإسلام عند المستشرقينَ	١٤٣-١٨٠
المطلبُ الأوَّلُ: موقف المستشرقينَ من الأنبياء ومكَّة	١٤٤-١٦٧
الفرعُ الأوَّلُ: موقف المستشرقينَ من إبراهيم وإسماعيل	١٤٤-١٥١
الفرع الثاني: الرؤية الاستشراقية لإيلاف قريش	١٥١-١٦٦
المطلبُ الثَّاني: موقف المستشرقينَ من ديانة العباد	١٦٧-١٨٠
الفرع الأول: موقف المستشرقين من دين الحنيفية	١٦٧-١٦٩
الفرعُ الثَّاني: موقف المستشرقين من الصَّفا والمَرْوَة	١٧٠-١٧١
الفرعُ الثالث: موقف المستشرقين من مكاء وتصدية	١٧١-١٧٢
الفرعُ الرَّابع: موقف المستشرقين من أصحاب الفيل	١٧٣-١٧٩

خلاصة الفصل الثاني	١٨٠-١٨٢
الفصلُ الثَّالث: البعدُ الدِّينيّ لمكَّةَ في الإسلام بينَ المفسِّرينَ والمستشرقينَ	١٨٣-٢٤٢
توطئة الفصل الثالث	١٨٣-١٨٣
المبحثُ الأوَّلُ: البعدُ الدِّينيّ لمكَّة في الإسلام عند المفسِّرينَ	١٨٥-٢١٩
المطلبُ الأوَّلُ: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بالقبلة والحجّ	١٨٦-٢٠٩
الفرعُ الأوَّلُ: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بتحويل القبلة	١٨٦-١٩٧
الفرعُ الثَّاني: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بحجّ البيت	١٩٧-٢٠٩
المطلبُ الثَّاني: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بالشَّهر الحرام والنَّسيء	٢٠٩-٢١٨
الفرعُ الأوَّلُ: القتال في الأشهر الحرم	٢٠٩-٢١٣
الفرعُ الثَّاني: النَّسيء زيادةٌ في الكفر	٢١٣-٢١٩
المبحثُ الثَّاني: البعدُ الدِّينيّ لمكّةَ في الإسلام عند المستشرقينَ	٢٢٠-٢٤٠
المطلبُ الأوَّلُ: موقف المستشرقينَ من القبلة والحجّ	٢٢١-٢٣١
الفرعُ الأوَّلُ: موقف المستشرقينَ من تحويل القبلة	٢٢١-٢٢٤
الفرعُ الثَّاني: موقف المستشرقينَ من حجّ البيت	٢٢٥-٢٣١
المطلبُ الثَّاني: موقف المستشرقينَ من الشَّهر الحرام والنَّسيء	٢٣٢-٢٤٠
الفرعُ الأوَّلُ: القتال في الشَّهر الحرام	٢٣٢-٢٣٧
الفرعُ الثَّاني: النَّسيء زيادةٌ في الكفر	٢٣٨-٢٤٠
خلاصة الفصل الثالث	٢٤١-٢٤٢
الخاتمة	٢٤٣- ٢٤٧
المصادر والمراجع	٢٤٨-٢٧٧

Ministry of Higher Education
and Scientific Research
University of Babylon
College of Islamic Sciences
Department of Quranic Sciences
Postgraduate Studies

Mecca between commentators and orientalists
A comparative study

A letter submitted to the Council of the College of Islamic Sciences / University of Babylon
It is part of the requirements for a Master's degree in Islamic Sciences/Sciences of the Qur'an.

Provided by the student
Raad Hashim Mashhouf Al-Asadi

Under the supervision of Professor Dr

Sakina Aziz Abbas Al-Fatli

1444H.D 2023A.D

الملخص

تشكل مكة المكرمة المدينة التأسيسية للإسلام ، إذ أنبثق منها ، وأهميتها أهمية محورية مزمنة في متابعة أصول التكوين والأنبثاق للدين الإسلامي ، لذا غالبًا ما يلتحم فيها التاريخ الواقعي بالتاريخي الملحي والقدسي والمثيولوجي ، إذ شكلت مكة الغاطس العميق لمجريات الأحداث بداية الإسلام لذا أخذت أهمية مبكرة في دراسات المستشرقين وبحوثهم ، وبما لها من مكانة رفيعة تناولتها الدراسات الاستشراقية بالشكيك والطعن ، لتوهين أهميتها عند الإنسان الغربي وكذلك لإيجاد صورة مختلفة تمامًا للمدينة المقدسة ، في مشروع استشراقي يستهدف كل ما هو ثابت قطعًا في الإسلام بغية تشكيك المسلمين في ثوابتهم ومقدساتهم . ومكة المكرمة أقدس مدن الإسلام ومسقط رأس الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). تقع في شبه الجزيرة العربية منطقة الحجاز ولها أسماء مختلفة في وردت في القرآن ، منها: بكة ، والبلد الحرام ، والبلد الأمين ، وأم القرى ، وذكرت كذلك في التوراة بـ(ميشا) وفي كتب التاريخ القديمة باسم (مكوربا) وفيها المسجد الحرام، والكعبة المشرفة التي تعد قبلة المسلمين ، وأن وقداستها سابقة على وجودها السياسي والاقتصادي . تتناول هذه الدراسة الواقع الديني والاجتماعي والاقتصادي لمكة قبل وبعد ظهور الإسلام في أقوال المفسرين من جهة والموقف الاستشراقي من جهة أخرى ، وتعد هذه الدراسة أنموذجًا للتعبير عن التفاوت بين المستشرقين في التعاطي مع مكة المكرمة .

Abstract

Makkah Al-Mukarramah is the founding city of Islam, as it emerged from it. Orientalists and their research, and due to its high status, were dealt with by oriental studies with skepticism and challenge, in order to attenuate its importance to the Western man, as well as to create a completely different image of the Holy City, in an Orientalist project that targets everything that is definitely established in Islam in order to question .Muslims in their constants and sanctities

And Makkah Al-Mukarramah is the holiest city in Islam and the birthplace of the Prophet Muhammad (may God bless him and his family and grant him peace). It is located in the Arabian Peninsula, the Hijaz region, and it has different names mentioned in the Qur'an, including: Bakkah, the Sacred Country, the Trustworthy City, and Umm al-Qura. Which is the qiblah of Muslims, and that its sanctity precedes its political and economic existence. This study deals with the religious, social and economic reality of Makkah before and after the advent of Islam in the sayings of the commentators on the one hand and .the orientalist position on the other

التَّمهيدُ

تحديدُ مصطلحاتِ عنوانِ الرِّسالةِ

المقصد الأول: مكة لغة واصطلاحًا

فسر المؤرخون واللغويون والمفسرون اسم مكة ومرادفاتها تفسيرات كثيرة استنبطوها من مكانة البيت الحرام(الكعبة) وقدسيته في نفوس العرب، وإن هذه التفسيرات بطبيعة الحال متأخرة ، واسم مكة سابق لهذه التفسيرات. وقد تناولت هذه التفسيرات الاسم والاشتقاق معًا وأن اختلفوا في الأخير أعني جذر مكة.

أولاً: من (م ك ك): الازرقي(ت٢٥٠هـ) يرى أن لفظ مكة مأخوذة من:((تمكك المخ من العظم تمككاً، اذا استخرجه منه لأنها تمك الفاجر عنها، فتخرجه منها))[١]. وجاء في صحاح اللغة:" مَكَكْتُ الشيء: مصِصْتُه. ورجلٌ مَكَّانُ، مثل مَصَّانَ ومَلْجانَ، وهو الذي يرضَع الغنم من لؤمه ولا يَحلُب. وتَمَكَّكْتُ العظمَ: أخرجتُ مخّه. ويقال للمخّ: المُكاكَةُ. وفي الحديث: (لا تَمَكَّكوا على غرمائكم)، أي لا تستقصوا. وامْتَكَّ الفصيلُ ما في ضرع أمه، أي شربَه كله. والمَكُّوكُ: مكيال، والجمع مَكاكيكُ "[٢]. مَكَّ الصبي ثديَ أمه، يَمُكُّه مَكًّا، إذا استقصى مَصَه ، وكل راضع كذلك[٣].

قال الزبيدي(ت١٢٠٥هـ):((م ك ك : مَكَّهُ أي العَظْمَ يَمُكُّه مَكًّا وامْتَكَّه وَتمكَّكَه ومَكْمَكَهُ : مَصَّهُ جَمِيعَه مما فيهِ من المُخِّ وكذلِكَ الفَصِيلُ ما في ضَرعِ أُمِّهِ والصَّبِي : إذا اسْتَقْصَى ثَدْيَ أُمهِ بالمَصِّ، قال ابنُ جِنّي: وأَمّا ما حَكاهُ الأَصْمَعِي من قَوْلِهم . امْتَكَّ الفَصِيلُ ما في ضَرعِ أُمِّهِ وَتمَككَ وامْتَقَّ وَتمَقَّقَ فالأَظْهَرُ فيه أَنْ تكُونَ القافُ بَدَلاً من الكافِ ، وذلك المُخّ الممْكُوكُ واللَّبَنُ المَمْصُوصُ مُكاكٌ ومُكاكَةٌ كغُرابٍ وغُرابَةٍ))[٤]. إنَّ تشبيه مكة بمص الفصيل ضرع أمه هو تشبيه ضعيف كما يراه ياقوت الحموي لأن مص فصيل الناقة لا يُشبه بازدحام الناس بها، بل بجذبها الناس اليها[٥].

---

(١) الازرقي / اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار،٢٢٣/١.

(٢) الجوهري(ت٣٩٣هـ)/ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٢/مادة :(مكك).

(٣) ظ: ابن دريد(ت٣٢١هـ) / جمهرة اللغة ، ٥٩/١.

(٤) الزبيدي(ت١٢٠٥هـ) / تاج العروس من جواهر القاموس ، ٦٧٨٦/١(مك) .

(٥) ظ: الحموي (ت٦٢٦هـ) / معجم البلدان ، ٢١٠/٥ .

ثانيًا:(م ك ا): مكا مكاء ومكواً: مَكَا الإنسانُ يَمْكُو مُكَاءً: صَفَر بفيه أو شبك بأصابع يديه ثم أدخلها في فيه ونفخ فيها، ويقال مكا الطائر، وفي القرآن الكريم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾[1][2] . قال الجوهري(ت٣٩٣هـ):" وصَفَرِ الطائر يَصْفِرُ صفيراً، أي مَكا. ومنه قولهم: أَجْبَنُ من صافِرٍ وأَصفَرُ من بلبل ..."[3]. وقال غيره :" مَكَا مَكْواً ومُكاءً صَفَرَ بِفِيه، أو شَبَّكَ بأصابِعِه ونَفَخَ فيها، و اسْتُهُ نَفَخَتْ، ولا يكونُ إلاَّ وهي مكشوفةٌ مفتوحةٌ، أو خاصَّةٌ بالدابَّةِ... وتمكى الغلام: تطهر للصلاة... وتمكى الفرس: ابتل بالعرق، ومنه المكا: جحر الثعلب والأرنب "[4].

وذهب غيرهم إلى القول :(((مكأ) المَكْءُ جُحْر الثَّعْلَب والأَرْنَب وقال ثعلب هو جُحْر الضب قال الطِّرِمَّاح : كَمْ به مِنْ مَكْءٍ وحْشِيَّةٍ ... قِيضَ في مُنْتَتَلٍ أَو هَيامِ. عنى بالوَحْشِيَّةِ هنا الضَّبَّةَ لأَنه لا يَبِيضُ الثَّعلب ولا الأَرنب إنما تَبِيض الضَّبَّة))[5]

ثالثًا: (م ق ق) : مق الشيء مقا: فتحه، مق الرجل أو الفرس مقا: كان فاحش الطول في دقة ، ومق ما بين الشيئين: بعدَ ما بينهما، وبلد أمق: بعيد الأطراف، ومقق على عياله: ضيق عليهم، ومقق الطائر فرخه: أطعمه، ومنه أمتق الفصيل ما في الضرع: شربه كله، تمقق ما في العظم: أستخرجه، والمقق: النساء الطوال[6]

---

(١) الانفال /٣٥.

(٢) ظ: الفراهيدي/ العين ، ٤٣٥/١، الازهري(ت٣٧٠هـ)/ تهذيب اللغة ، ٤١٩/٣، ابن ابي بكر الرازي/ مختار الصحاح ،٢٩٩/١.

(٣) الجوهري / الصحاح في اللغة ، ١/ مادة:(صفق) .

(٤) الفيروزابادي(ت٨١٧هـ)/ القاموس المحيط ، ٤٧٦/٣.

(٥) ابن منظور(ت٧١١هـ)/ لسان العرب، ١/ مادة:(مكا) .

(٦) ظ: ابن الانباري(ت٣٠٤هـ)/ الانصاف في مسائل الخلاف ،٢٩٩/١ ، ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة ، ٥/مادة:(مك)، الصاحب بن عباد(ت٣٨٥هـ)/ المحيط في اللغة ،٤٣٥/١، الجوهري/ الصحاح في اللغة ،٢/مادة:(مكك) ، ابن سيده المرسي(ت٣٥٨هـ)/ المخصص ، ١٢٦/١ ، الفيروزآبادي/ القاموس المحيط ، ١٠/٣ ، ابن دريد/ جمهرة اللغة ،٦٨/٢، ابن منظور/ لسان العرب ، ١٠/مادة:(مقق) ، ١٥/مادة:(مقا) .

رابعًا: (م ق هـ):((المَقَهُ: بَيَاضٌ في زُرْقَةٍ، وامْرَأَةٌ مَقْهَاء، وسَرَابٌ أمْقَهُ. والأَمْقَهُ: البَعِيدُ. وقيل: هي المُحْمَرَّةُ المَآقي والجُفُونِ مَعَ قِلَّةِ شَعَرٍ))[١]. والمقَهُ: بياض في زرقة وقال بعضهم المَقَهُ أشدهما بياضا، وامرأة مَهْقَاء ومَقْهَاء وسرابٌ أمقه. ويقال في الصَّيْف من ذاكَ البعيدِ الأمْقَهِ، وهو الذي لا خضراء فيه [٢]. وقال غيره ، الأمقه:((المكان القفر لا ينبت فيه شجر، والأمقه من الناس: الذي يهيم على وجهه لا يدري أين يتوجه))[٣].

ومن هذا العرض السابق لأسماء مكة في المعاجم العربية نخرج بالنتائج التالية في تحديد دلالات أسماء مكة:

١) اشتقاق مكة من (م ك ك) يعطي مكة عدة دلالات هي: الأولى: لأنها تهلك الجبارين وتضعفهم، وذلك من مك الشيء أهلكه ونقصه، وسميت مكة لأنها تمك الجبارين أي تذهب نخوتهم[٤]. والثانية: سميت مكة لأنها تمك الذنوب، أي تذهب بها، وهذه الدلالة مأخوذة من مك الفصل ضرع أمه فلم يبق فيه شيئاً، ومك الشيء نقصه[٥]. والثالثة: سميت مكة من مك بمعنى امتص أو مص لأن أهل مكة كانوا كانوا يمتكون الماء ، أي: يستخرجونه وذلك لقلته، وهذه الدلالة مأخوذة من مك الثدي، أي: مصه ، ومك العظم: مص جميع ما فيه[٦]. والرابعة: لأنها بين جبلين مرتفعين عليها، فهي في هبطة بمنزلة المكوك والمكوك طاس يشرب به، أعلاه ضيق، ووسطه واسع[٧]. والخامسة: إنَّ اشتقاق مكة من أمتك، أي: امتكت الناس أي جذبتهم من جميع الأطراف، وقد أخذت هذه الدلالة من أمتك الفصيل ما في ضرع أمه، أي: استقصاه بالمص[٨].

---

(١) الجوهري/ الصحاح في اللغة ،٢/مادة:(مكك).
(٢) ظ: الازهري/ تهذيب اللغة ، ٢/مادة: (مقه)، ابن منظور/ لسان العرب ، ١٣/مادة :(مقه) .
(٣) ابن منظور/ لسان العرب ، ٣٤٦/١٠.
(٤) ظ: الحموي/ معجم البلدان ، ١٨١/٥.
(٥) ظ: ابن منظور/ لسان العرب ، ٤٩١/١٠.
(٦) ظ: المصدر نفسه ، ٤٠٢/١٠.
(٧) ظ: محمد بيومي مهران/ دراسات في تاريخ العرب القديم / ٣٤٩.
(٨) ظ: الحموي/ معجم البلدان ، ١٨٢/٥.

٢) اشتقاق مكة من (م ك ا) يعطي اسم مكة الدلالة التالية: سميت مكة لأن العرب في الجاهلية كانت تمك في مكان الكعبة لأنها كانت تقول لا يتم حجنا حتى نأتي مكان الكعبة فنمك فيه أي نصفر صفير المكاء حول الكعبة، فكانوا يصفرون ويصفقون، وقد اشتقت هذه الدلالة من الجذر مكا مكاء أي صفر بفيه أو شبك أصابع يديه ثم أدخلها في فيه ونفخ فيها، وقد ورد في هذا المعنى قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾[١]، وقد سمى طائر المكاء بذلك لأنه يجمع يديه ثم يصفر فيهما صفيراً حسنا، ويقال مكا الطائر أي صفرَ[٢].

٣) اشتقاق اسم مكة من (م ق ق): يعطي اشتقاق اسم مكة من (م ق ق) الدلالات المقترحة التالية : الأولى: يشترك الجذر (م ق ق) مع الجذر (م ك ك) في بعض الدلالات، مثل: أمتق الفصيل ما في الضرع: شربه كله، وهي نفس دلالة أمتك في امتك الفصيل ما في ضرع أمه أي استقصاه بالمص، ويرد: تمقق ما في العظم: استخرجه، وهو قريب من دلالة أمتك العظم، وقريب من الناحية الصوتية من تمكك بمعنى أمتك. وبالتالي ينطبق على اسم مكة هذه الدلالة المشتركة بين الجذرين (م ك ك) و(م ق ق)[٣]. والثانية: يختص الجذر (م ق ق) ببعض الدلالات الخاصة التي لا يشترك فيها مع الجذر (م ك ك)، ومن أهم هذه الدلالات الخاصة: هي دلالة (مقَ) على الفتح وبعدَ الارجاء مثل مقَ ما بين الشيئين أي بعدَ ما بينها، وبلد أمق: بعيد الأطراف، وتمقق الشيء: طال وابتعد، ودلالة التضييق في مقق بمعنى ضيق مثل مقق على عياله أي ضيق عليهم[٤]. وقد أجتمع في هذه الدلالات صفات الفتح وبعدَ الأرجاء، الأرجاء، والتضييق والإطعام، وصفة الفتح تقترب من دلالة الإهلاك والإضعاف، والإنقاص التي أحتواها الجذر (م ك ك). وصفة بعد الأرجاء قد تنطبق على الطبيعة الجغرافية لمكة من حيث أنها ممتدة ومتباعدة الأطراف بسبب طبيعتها الجبلية، وصفة التضييق قد تنطبق على الطبيعة الجغرافية لمكة من

---

(١) الأنفال/ ٣٥.

(٢) ظ: الحموي/ معجم البلدان ، ١٨١/٥.

(٣) ظ: ابن فارس/ مقاييس اللغة ، ٢٧٤/٥، ابن منظور/ لسان العرب ، ٤٩١/١٠ ، إبراهيم مصطفى وآخرون/ المعجم المعجم الوسيط ، ٦٢٨/٢.

(٤) ظ: ابن منظور/ لسان العرب، ٢٨٩/١٥.

حيث أن جبالها تضيق على أهلها في حركتهم وحياتهم. وصفة الإطعام تنطبق على مكة أيضاً حيث أنها أهتمت بإطعام الحجيج فكأنها مثل الطائر الذي يمقق فرخه أي يطعمه.

٤) اشتقاق اسم مكة من (م ق ا) يعطي الدلالة التالية المشتركة مع إحدى دلالات الجذر (م ك ك) والجذر (م ق ق) وهي مقا بمعنى رضعَ رضعًا شديدًا كما في: مقا الفصيل أمه أي رضعها رضعًا شديدًا[١].

٥) اشتقاق اسم مكة من (م ق ه) يعطي دلالة جديدة حيث ورد من مشتقات هذا الجذر كلمة الأمقة، وهو المكان الفقر لا ينبت فيه شجر، وكذلك الأمقه من الناس، وهو الذي يهيم على وجهه لا يدري أين يتوجه[٢]. ربما يتفق وصف المكان الفقر مع صفة المكان الذي أسكن فيه إبراهيم (عليه السلام) زوجته هاجر وأبنه إسماعيل، وهو المكان الذي وصفه القرآن الكريم بقوله ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ ﴾[٣]. أمَّا الوصف الثاني فربما يتفق مع حالة هاجر أم إسماعيل وهي تبحث عن الماء لابنها حيث كانت لا تدري إلى أين تتجه.

- **اشتقاق بكة**

اشتقاق اسم بكة من(ب ك ك) يعطي الدلالات التالية: **الأولى:**((بك: البَكُّ: دق العنق، وسميت مكة: بكّة، لأن الناس يبكُّ بعضهم بعضاً في الطواف، أي: يدفع بعضهم بعضًا بالأزدحام. ويقال: بل سميت، لأنها كانت تبك أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم. والبَكْبَكَةُ: شيء تفعله العنز بولدها))[٤]، وهنا نلحظ أن اسم بكة يدل على التهشيم، والتمزيق، والكسر كما ورد في بك الشيء بكا، وبكة بمعنى: هشمه ومزقه، وكما ورد في بك عنقه أي كسره. ويصبح معنى بكة هنا المهشمة، والممزقة، والكاسرة. **والثانية:** ((... بَكَّ الشيءَ يَبُكُّه بَكاً خرقه أو فرقه وبَكَّ فلان يَبُكُّ بَكَّةً أي زحم وبَكَّ الرجلُ صاحبه يَبُكُّه بَكاً زاحمه

(١) ظ: الفيروزآبادي / القاموس المحيط ، ٢٩٣/٣، ابن منظور/ لسان العرب ، ٢٨٩/١٥، الزبيدي/ تاج العروس ٦٥٨٦/١٠،.

(٢) ظ: الازهري/ تهذيب اللغة ، ٢٤٠/٢، الاصفهاني/ مفردات غريب القران، ٥٧/١، ابن منظور/ لسان العرب ٥٣١/١٣،.

(٣) إبراهيم /٣٧.

(٤) الفراهيدي/ العين ، ٤٢٥/١(باب الكاف والميم).

أو زَحمَهُ قال إذا الشَّرِيبُ أخذَتْه أكَّهُ فَخَلِّهِ حتى يَبُكَّ بَكَّهْ ...))[١]، ونلحظ هنا أن اسم بكة تدل على القهر وكسر النخوة كما ورد في بك الرجل أي: قهره وكسره من نخوته، كما في بك عنقه بمعنى كسره. إشارة إلى الكسر المعنوي والمادي معاً، ويصبح معنى بكة القاهرة والكاسرة للنخوة. **والثالثة** :" هي اسم لبطن مكةَ، وذلك لأنهم يتباكّون فيها ويزدحمون "[٢]، ويؤيده ذلك قول أحدهم:((... فأما اشتقاقه في اللغة فيصلح أن يكون الاسم اشتق من بَكَّ الناسُ بعضهم بعضاً في الطواف أي دفع بعضهم بعضاً وقيل بَكة اسم بطن مَكَّة سميت بذلك لازدحام الناس... والبَكْبَكة المجيء والذهاب))[٣]، وهنا أن اسم بكة يدل على الزحام والأزدحام كما ورد في بك الرجل: زحمه، وكما ورد في تباك الجمع: زحم بعضهم بعضاً. وورد البكبكة بمعنى: الازدحام. وبمعنى: المجيء والذهاب. ويصبح معنى بكة هنا المزدحمة والمثقلة وربما كان في البكبكة بمعنى المجيء والذهاب إشارة إلى حالة هاجر وهي تبحث عن الماء بين المجيء والذهاب سعياً وراء الماء. والرابعة: إنَّ صاحب مجمع البحرين قد تفرد براي فقال :" وروي سميت بكة لبكاء الناس حولها وفيها "[٤].

- **حفريات التسمية**

هناك رأي يقول أن أصل التسمية جاء من جنوب الجزيرة العربية أي من اليمن، يقول:((غير أن اسم مكة لما كان سابقا لتفسيرات الأخباريين هذه ، ولما كان الجنوبيون قد سكنوا مكة مع الإسماعيليين، فإن هناك من يرجح أن الاسم إنما أخذ من لغة الجنوب، مستندا إلى البيت الحرام، فمكة أو (مكرب) – في رأي هذا الفريق من العلماء – كلمة يمنية مكونة من (مك) و(رب) ، ومك بمعنى بيت، فتكون (مكرب) بمعنى (بيت الرب) أو (بيت الإله)، ومن هذه الكلمة أخذت مكة –أو بكة بقلب الميم باء على عادة أهل الجنوب))[٥]. أو أنها مأخوذة من كلمة (مقرب) العربية الجنوبية، ومعناها (الهيكل)[٦].

---

(١) ابن منظور/ لسان العرب ، ١٠/مادة :(بك)

(٢) ابو عبيده / مجاز القران ، ١٩/١.

(٣) ابن منظور/ لسان العرب ، ٤٠٢/١٠.

(٤) فخر الدين الطريحي/ مجمع البحرين ،٢٣٣/١.

(٥) محمد بيومي مهران/ دراسات في تاريخ العرب القديم/ ٣٥٠ .

(٦) ظ: بروكلمان/ تاريخ الشعوب الإسلامية ،٣٣/١.

وفي تحقيق دلالة مكة في القرآن الكريم جاء :((إنَّ الكلمة اسم للبلد الحرام، وبينها وبين بكة أشتقاق أكبر، والبكة فيها دق وبك زائد بوجود حرف الباء وهو من حروف الجهر والشدة، بخلاف الميم فأنها من حروف متوسطة الشدة والرخاوة))[١]، ويتابع تحقيقه لكلمة بكة فيقول: بكة فإنها في مقام المقابلة بالكفار والمشركين، وهو مورد اظهار القدرة والعظمة ودفع المخالفين ولهذا عبر عنها بهذه المناسبة بالآية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾[٢]، أي: أن العلامة يوضح أن اسم مكة جاء في الآية القرآنية بلفظ بكة هو لإظهار القوة والقدرة في مجابهة الكافرين لكون مكة وقت نزول الآية كانت تحت سيطرة المشركين[٣]. وعبر في الآية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[٤]، بالمكة فإنها بعد غلبة المخالفين وفي مقام التسليم والطاعة والانقياد منهم، حيث أن البلد فتحت بيد المسلمين وصارت امنًا لهم[٥]. فالعلامة المصطفوي عنده مكة وبكة هما أسم لمسمى واحد ولكن جاءت تارة بالباء في مقام المجابهة وإبراز القوة عندما كانت مكة تحت سيطرة المشركين، وجاءت بالميم عندما أستقر الوضع وأصبحت مكة تحت سلطة المسلمين.

وهناك رأي يرى أنها الواقع تسمية واحدة والاختلاف ناتج هو أن لهجة من لهجات القبائل تضع الباء مكان الميم فتنطق بالباء بدل الميم[٦].

إنَّه في الوقت الذي اعتبرت فيه العديد من المصادر (بكة) لغة في (مكة) وأن (مكة) و(بكة) اسمان لمكان واحد، نجد اتجاهاً في بعض المصادر الأخرى إلى التفرقة بين مكة وبكة باعتبارهما حاملتين لدلالات مختلفة ((بين المفسرين ، نقاش حاد حول لفظ مكة ... وبكة... واشتقاقهما ، فمنهم من قال : بكة، ومكة أسمان لمسمى واحد ، والعرب تبدل الباء ميما لأنهما حرفان متقابلان في المخرج،

---

(١) حسن المصطفوي/ التحقيق في كلمات القران،٣/ ١٥٩(الميم والهاء).
(٢) آل عمران/٩٦.
(٣) ظ: حسن المصطفوي/ التحقيق في كلمات القران ، ٣/ ١٥٩(الميم والهاء).
(٤) الفتح/ ٢٤.
(٥) ظ: حسن المصطفوي/ التحقيق في كلمات القران،٣/ ١٥٩(الميم والهاء).
(٦) ظ: جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٤٨/٤.

فقيام كل واحد منهما مقام الآخر، فيقال: هذه ضربة لازم، وضربة لازب. ويقال: هذا دائم ودائب، ويقال راتب وراتم. ويقال: سمد راسه وسبده. ومنهم من ذهب الى القول أن مكة الحرم كله ، ويدخل فيه البيوت، وبكة المسجد. وجاء : بكة موضع البيت والمطاف، ومكة اسم البلدة وعليه الأكثر))[١].

جاء في لسان العرب ((... بَكَّةُ ما بين جبلي مَكَّة لأن الناس يبكُّ بعضهم بعضاً في الطواف أي يَزْحَمُ حكاه في البدل وقيل سميت بَكَّة لأن الناس يبك بعضهم بعضاً في الطرق أي يدفع وقال الزجاج في قوله تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ [آل عمران: ٩٦] ، قيل إن بَكَّة موضع البيت وسائر ما حوله مَكَّة قال للذي ببَكَّة فأما اشتقاقه في اللغة فيصلح أن يكون الاسم اشتق من بَكَّ الناسُ بعضهم بعضاً في الطواف أي دفع بعضهم بعضاً وقيل بَكة اسم بطن مَكَّة سميت بذلك لأزدحام الناس وفي حديث مجاهد من أسماء مَكَّةَ بَكَّةُ قيل بَكَّة موضع البيت ومكةُ سائر البلد وقيل هما اسما البلدة والباء والميم يتعاقبان وبَك الشيءَ فسخه ومنه أُخذت بَكَّةُ وبَكَّ الرجلُ افتقر وبَكَّ إذا خشن بدنه شجاعةً ...))[٢]. عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال:" ان بكة موضع البيت وإن مكة الحرم "[٣].

إن مكة هي القرية ، وأمَّا بكة هي موضع المسجد وهذا عليه أكثر المفسرين والاخباريين[٤].

ويرى الباحث أن بكة هي موضع المسجد(المسجد الحرام)، أمَّا مكة هي أسم للقرية استناداً للآية ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[٥].

---

(١) محمد هادي الاميني/ مكة / ١٧-١٨.

(٢) ابن منظور/ لسان العرب ، ٤٠٢/١٠.

(٣) المجلسي/ بحار الانوار،٧٨/٩٦.

(٤) ظ: الازرقي/ اخبار مكة ،١٨٨/١، الطبري/ جامع البيان ،٢٣/٧-٢٦، العياشي/ تفسير العياشي ،٢٠٠/١، الزمخشري/ الكشاف ،٤٤٦/١، الطوسي/ التبيان ،٥٣٤/٢ ، الطبرسي/ مجمع البيان ،٣١٠/٢، الحموي/ معجم البلدان،١٨٢/٥، ، ، الحويزي/ نور الثقلين ، ٤٠٩/١ ، الطريحي/ مجمع البحرين ،٢٢١/١، البيضاوي/ تفسير البيضاوي،١٧٢/١، محمد رشيد رضا/ المنار:٧/٤، محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٩٤/٣.

(٥) الفتح /٢٤.

المقصد الثاني: المفسرون لغة واصطلاحًا

المفسرون لغة : المفسرون جمع مُفسِّر وهو: فاعل من فَسَّرَ، مُفَسِّرُ القُرْآنِ: شَارِحُهُ: الفسر هو الكشف والبيان والابانة ، ((الفَسْرُ البيان فَسَر الشيءَ يفسِرُه بالكَسر وتَفْسُرُه بالضم فَسْراً وفَسَّرَهُ أَبانه ... الفَسْرُ كشف المُغَطّى والتَّفْسير كَشف المُراد عن اللفظ المُشْكل ... والفَسْر نظر الطبيب إلى الماء وكذلك التَّفْسِرةُ))[١]. وإن تفسير آيات القرآن الكريم يراد به:((شَرَحَها ووضَّحَ ما تنطوي عليه من معانٍ وأسرار وأحكام))[٢].

بالتالي يكون المُفَسِر: هو من يقوم بالكشف ، والبيان، والإبانة، والتوضيح، والشرح، لآيات القرآن الكريم[٣].

يتضح أن المفسر من يفَسَّرَ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، بمعنى شَرَحَهَا وإيضاح معانيها. ومعنى المفسر الاصطلاحي مأخوذ من معناه اللغوي وهو الشرح والايضاح.

المفسر اصطلاحاً: في تعريف المفسر قيل:((هو الشخص الذي يسعى إلى استنباط معاني الآيات؛ وليتوصل إلى درك المراد الإلهي من النصوص القرآنية معتمداً في ذلك على المصادر والشواهد والقرائن المعتبرة والأسلوب الصحيح في التعامل معها))[٤].

وعرفه آخر:((المفسر هو من يقوم مؤهلاً بتفسير القرآن الكريم وفق الشروط والضوابط التي وضعها العلماء))[٥].

---

(١) ابن منظور/ لسان العرب ، ٥/مادة: (فسر).

(٢) ابراهيم مصطفى وآخرون / المعجم الوسيط ، ٢/٢٩٠(باب الفاء).

(٣) ظ: حكمت عبيد الخفاجي/ منهج التفسير التحليلي دراسة في الاساليب والطرق/ ٢٠.

(٤) هاشم ابو خمسين/ مدخل إلى علم التفسير/٢٥.

(٥) احمد سعيد الخطيب/ مفاتيح التفسير/ ٨٥١.

لا بدّ أن يكون المفسر صاحب تخصص في العلوم، ولديه المعلومات اللازمة، ويمتلك روحية وأخلاق مناسبة حتى يتمكن من تقديم تفسير معتبر للقرآن الكريم[١]. ويصف **السيد الخوئي** عمل المفسر بقوله:((أن يجري مع الآية حيث تجري، ويكشف معناها حيث تشير، ويوضح دلالتها حيث تدل... على المفسر: أن يوضح الفن الذي يظهر في الآية، والأدب الذي يتجلى بلفظها، عليه أن يحرر دائرة لمعارف القرآن إذا أراد أن يكون مفسراً))[٢].

يتحصل أنَّ المفسرين هم الاشخاص الذين يقومون بعملية تفسير القران الكريم وفق شروط محددة لبيان مقاصد الآيات القرآنية واغراضها.

إنَّ المفسر هو من يتولى تفسير النص القرآني. وقد اختلفت تعريفات العلماء للتفسير ، ويدور معنى التفسير في اللغة حول البيان والإظهار والكشف[٣]. في هذا الشأن يقول أحد المعاصرين:((لو تدبرنا المعنى اللغوي للتفسير لوجدنا انه يتقوم بموضوع التفسير او مادته والذات المفسرة وكفاءة التفسير التي معرفة مسبقة ومهارات ذهنية يمتلكها المفسر وعملية التفسير نفسها في التعرف الى العلل وكشف المخبأ، وتوضيح الغامض من الشيء المفسر وهذا يقترب من المعنى الاصطلاحي للتفسير الذي ايضا يتقوم بالمفسر ومبادى التفسير وعملية التفسير))[٤].

إنَّ للعلماء في التعريف الاصطلاحي للتفسير ثلاثة اتجاهات هي[٥]:

الاتجاه الأول: جعل أصحاب هذا الاتجاه التفسير شاملاً لكل علوم القران .

الاتجاه الثاني: قصر أصحاب هذا الاتجاه التفسير على الدلالة الموضوعية للألفاظ فقط .

الاتجاه الثالث: ذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أن التفسير هو الكشف عن مراد الله تعالى.

---

(١) ظ: هاشم ابو خمسين/ مدخل إلى علم التفسير/٢٥.

٢) الخوئي/ البيان في تفسير القرآن/١٢-١٣.

(٣) ظ: ابن منظور/ لسان العرب ، ٦ : ٣٦١ ، الفيروزآبادي/ القاموس المحيط، ٢/ ١١٠.

(٤) وجيه قانصوه/ النص الديني في الاسلام/ ٤٢٥ .

(٥) ظ: د. سكينه عزيز الفتلي/ المنهج التطبيقي لتفسير القرآن الكريم / ١٣١ .

وقد عرَّف التفسير بأنه:" علمٌ يُعرف به فهم كتاب الله المنَزَّل على نبيه محمد، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه "[١]. كما ذهب أحد المعاصرين إلى القول أن التفسير:" هو إيضاح مراد اللّه تعالى من كتابه العزيز " [٢].

وعرفه محمد حسين الطباطبائي ((بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها))[٣]. والتعريف الراجح هو تعريف الطباطبائي ((لأنه جعل التفسير أمَّا بيان وأمَّا كشف ، أما البيان فيتعلق بالمعاني ، وأما الكشف فيتعلق بـ (المقاصد + المداليل)))[٤] . وهذا جوهر التفسير كما يراه الباحث هو كشف مقاصد القرآن وليس الاكتفاء ببيان المعاني.

وعند مراجعة تعاريف التفسير تجد أنها تستحضر عناصر ووظائف أساسية في التفسير، أولها التعرف على نظم القرآن وتاريخه وتركيبه الذاتي وسياقية الداخلي والخارجي وحركة المعنى فيه وكيفية النطق بالألفاظ وترتيب آياته، وثانيها الأسناد الى اللغة العربية وثالثها: بذل الوسع والجهد البشري في فهم مراد الله، الرابع كشف القناع عن المراد من اللفظ، وهي عناصر تتآزر جميعها لتحقيق التفسير أو تعبر عن بذل المفسر وسعه[٥]. ورغم أن تعريفات التفسير تشير الى التفسير من حيث نشاط فردي للمفسر، إلا أن واقع التفسير وفق الشروط الصارمة والتحديات التفصيلية التي راكمتها مصنفات التفسير وعلوم القرآن جعل التفسير يخرج من كونه نشاط فرديًا مستقلا ويصبح نشاطًا جماعيًا منظمًا، والتي راكمت مع الزمن شبكة مفاهيم وجملة علوم ومناهج شكلت أطارا موجهًا لعلمية التفسير وعليه أصبح علم التفسير مرتبط ارتباطًا عضويًا بمنظومة معرفة أوسع[٦].

---

(١) الزركشي(ت ٧٩٤هـ)/ البرهان في علوم القرآن، ١/ ١٣.

(٢) الخوئي(ت: ١٤١٣هـ)/ البيان في تفسير القرآن /٤٢٢.

(٣) محمد حسين الطباطبائي/ الميزان ، ١ / ٤ .

(٤) د. سكينه عزيز الفتلي/ محاضرة القيت على طلبة الدراسات العليا (الماجستير) في كلية العلوم الاسلامية – جامعة بابل ٢٠٢٢م.

(٥) ظ: محمد باقر الحكيم/ علوم القران/٢٢١، وجيه قانصوه /النص الديني في الاسلام/ ٤٢٧

(٦) ظ: وجيه قانصوه/ النص الديني في الاسلام/ ٤٢٧-٤٢٨.

يتحصل أنَّ التفسير في الفكر الحديث له مفهوم غير مفهومه السابق ففي السابق كان التفسير هو الإيضاح والبيان ، أما في الفكر الحديث أصبح التفسير ممارسة .

وإنَّ التفسير قد بدأ في عهد الرسول (صل الله عليه واله وسلم) وأن الرسول هو أول من فسر القرآن الكريم وكان المرجع الاول في بيان القرأن وفق ما تشير الآية الكريمة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١][٢].

المقصد الثالث : المستشرقون لغة واصطلاحًا

المستشرقون لغة : لم ترد لفظة الاستشراق في معاجم اللغة العربية[٣]، إلا أن تحديد معناها وفق قواعد اللغة العربية يدلنا أنها مفردة على وزن (استفعال) أصلها شرق وأضيف إليها الالف والسين والتاء التي تفيد الطلب وبذلك يكون معناها طلب الشرق[٤].

عُرف المستشرق لغة بأنه مصدر من الفعل السداسي استشرقَ يستشرق، استشراقًا، فهو مُستشرِق، أي طلب الشرق[٥]. وأن لفظة مستشرق تشتق من طلب دراسة الشرق[٦]. وجاء في معجم العين:" والشَّرْقُ خلاف الغرب، والشُّروقُ كالطلوع، وشَرقَ يَشْرُقُ شُروقاً، ويقال لكل شيء طلع من قبل المَشْرِقِ "[٧]. أستشرق هو طلب علوم الشرق ولغاته ويقال ذلك لمن يدرس الشرق وعلومه من علماء الغرب[٨].

---

(١) النحل/ ٤٤.

(٢) ظ: الطباطبائي/ الميزان، ٤٦/٣

(٣) ظ: أحمد سمايلوفتش/ فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر/ ٢١ – ٢٢.

(٤) ط: عمر بن إبراهيم رضوان/ آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره... دراسة ونقد، ٢٣/١، إسماعيل علي/ الاستشراق بين الحقيقة والتضليل/٩.

(٥) ظ: محمد فتح الله الزيادي/ الاستشراق اهدافه ووسائله/٢٧.

(٦) ظ: جميل حميداوي/ المستشرقون وترجمة القران الكريم/ ٩.

(٧) الفراهيدي/ العين ، ٣٧٣/١.

(٨) ظ: أحمد عبد الرحيم السايح/الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي/١٠، يحيى مراد/ افتراءات المستشرقين على الإسلام والردَّ عليها/٧ – ٨.

المستشرق والاستشراق يقصد به الاتجاه الى الشرق، وأقرب كلمة له هي التشريق:" والتَّشْرِيق ... الأَخْذ في ناحية المَشْرِق يقال شَتَّانَ بينَ مُشَرِّقٍ ومُغَرِّب "(١).

إنَّ اصل لفظة الاستشراق والمستشرق في المعاجم اللغوية تدل على جهة الشرق أو كل ما طلع من المشرق، أو طلب تلك الجهة: بقولهم ذهبوا الى الشرق(٢) .

وسبب عدم ورود كلمة الاستشراق ومعها المستشرق في معاجم اللغة العربية وبالأخص المتقدمة منها ، كون الكلمة ليست عربية أصليه بل هي كلمة عصرية مولدة (٣).

يتحصل أن المستشرق والاستشراق في اللغة العربية هو تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق.

إما الاستشراق في اللغة الإنجليزية فهي مشتقة من كلمة الشرق (orient)، التي تستمد أصلها من اللغة اللاتينية ومعناها يتمحور حول المعرفة وطلب العلم والتوجيه والإرشاد مما يعني أعتراف ضمني أن العلم والمعرفة كان يطلب من هذه المنطقة(٤). وذهب بعض إلى القول أنه بالرغم من أن الكلمتين(orient) و(east) مترادفتان في الدلالة على الشرق إلان أن الاستشراق والمستشرق هما أقباس من كلمة(east)(٥). أي أن المستشرق مشتقة من كلمة الشرق الانكليزية(east). وذهب الدكتور **ادوارد سعيد** إلى أن اللفظة مترجمة من المصطلح الغربي (Orientalist)، وهي تعني معرفة الشرق(٦). وأن مصطلح الاستشراق دخل في القاموس الإنكليزي عام ١٧٧٩م، والقاموس الفرنسي عام ١٨٣٩م(٧). وقد أدرج في معجم أكسفورد عام ١٨١٢م(٨).

---

(١) الرازي/ مختار الصحاح ، ١٦١/١.

(٢) ظ: ابن منظور/ لسان العرب،١٠/مادة:(شرق)، الزبيدي/ تاج العروس،٨٢٣/١، إبراهيم أنيس وآخرون/ المعجم الوسيط ،٤٨٢/١.

(٣) ظ: فؤاد عبد المنعم/ من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام/١٥.

(٤) ظ: لخضر بن بو زيد/ الدراسات الاستشراقية وخطرها على العقيدة والفكر(بحث)/ ١٥

(٥) ظ: محمد محسن زماني/ الاستشراق تاريخه ومراحله(بحث)/ ١٧٦.

(٦) ظ: ادوارد سعيد/ الاستشراق المعرفة السلطة الانشاء/٣٠.

(٧) ظ: فراج الشيخ الفزاري/ شبهات حول الاستشراق/ ١٢٦.

(٨) ظ: كاظم جواد الحكيم/ اثر الاستشراق في الفهم الحداثي لمباحث علوم القران وتأريخه/ ٢٤.

المستشرق اصطلاحًا: اختلف الباحثون في تحديد معنى الشرق وعنه نشأ اختلافهم في مفهوم الاستشراق والمستشرق فقد عرفه كل حسب وجهة نظره. يقول أحد المستشرقين في هذا الشأن:((باستخدامه في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كان لمصطلح المستشرق معنى ثقافي وعلمي على حدٍّ سواء. فالمستشرقون الثقافيون، بضمنهم الرسامون والكتَّاب، هم أولئك الذين يستمدون إلهامهم من الشرق، أمَّا المستشرقون العلميون فهم المتخصصون باللغات والثقافات الشرقية، لتمييزهم عن (الكلاسيكيين)، المتخصصين باللغات والثقافات الكلاسيكية (اللاتينية واليونانية)، ونظراً لأنَّ مثل هذا المستشرق أكثر من مجرد متخصص باللغات، فقد كان إنسانياً يُفترض أنَّه يمتلك معرفة حقيقية معمَّقة لواحدة أو أكثر من ثقافات المشرق ويُكرِّس نفسه لدراسة اللغات والآداب الشرقية في الماضي والحاضر، فضلاً عن المعالم الثقافية الأخرى في ميداني الأدب والآثار، ويُفترض كذلك أنَّ بحثه عن المعرفة الرصينة يُميِّزه عن غيره من المستشرقين الثقافيين، الذين كانوا أنصاراً متحمسين للمشرق))[١].

وذهب آخرون إلى القول:((ليس صاحب علم الشرق أو المستشرق الجدير بهذا اللقب بالذي يقتصر على معرفة بعض اللغات المجهولة أو يستطيع أن يصف غرائب عادات بعض الشعوب، بل إنَّه من جمع بين الإنقطاع إلى درس بعض أنحاء الشرق وبين الوقوف على القوة الروحيَّة والأدبية الكبيرة التي أثَّرت على تكوين الثقافة الإنسانية، هو من تعاطى درس الحضارات القديمة ومن أمكنه أن يُقدِّر شأن العوامل المختلفة في تكوين التمدن في القرون الوسطى مثلاً أو في النهضة الحديثة))[٢]. ويُفسِّر مستشرق آخر، كلمة (المستشرق) بمعنى عارف في الألسن والآداب الشرقية [٣]. وجاء في قاموس

(١) واردنبرغ جان جاك/ المستشرقون/ ٩٩ . ١٠٠.

(٢) حمدان نذير/ الرسول في كتابات المستشرقين/٨.

(٣) Steingass, Francis Joseph, English . Arabic Dictionary: for the use of both Travellers and Students, London: W. H. ALLEN & CO., 1882. Pp. 266-267.

أكسفورد ، المستشرق:" الشخص الذي يدرس لغات وفنون...البلدان الشرقية "[١]، نقلًا عن الدكتور حيدر قاسم مطر[٢] .

ويرى إدوارد سعيد أنَّ:" المستشرق هو كل من يدرس او يكتب عن الشرق او يبحث فيه "[٣]. وذهب آخر إلى القول يعني بالمستشرقين:" الكتاب الذين يكتبون عن الفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية "[٤].

المستشرق بهذا الاعتبار" هو الغربي الذي يدرس تراث الشرق، وكل ما يتعلق بتأريخه ولغاته وفنونه وعلومه وتقاليده وعاداته "[٥]. والمستشرق كل متخصص غربي في البحث والدراسة حول الاسلام بقصد التشويه والتشكيك فيه[٦]. وذهب أحد الباحثين الى القول:((إن اصطلاح المستشرقين اصطلاح واسع يشمل طوائف متعددة من الباحثين والعلماء الذين يعملون في ميدان الدراسات الشرقية المختلفة فهم يدرسون العلوم والفنون والآداب التاريخ وكل ما يخص شعوب الشرق))[٧].

ويرى بعض المستشرقين أن ((المستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله، أقصاه ووسطه وادناه في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه والمستشرق بالمعنى الخاص هو الذي يعني بالدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وحضارته))[٨]. ويفهم منه أن للاستشراق معنى عام ومعنى خاص: **المفهوم العام:** الاستشراق عبارة عن الجهود البحثية التي أطلقها الغرب من أجل التعرف على الشرق وجعل من عقائده وعاداته وثقافته وأخلاقه موضوع لهذه الحركة البحثية وتشمل الشرق من أقصاه الى ادناه وشمال افريقيا والهدف منها هو اكتشاف

---

(١) Wehmeier, Sally, Oxford Advanced Learner's Dictionary, 7th edition, China: Oxford University Press, 2005, p.1071 .

(٢) الجهاد الاسلامي في الدراسات الاستشراقية(بحث)/ ٨١.

(٣) ادوارد سعيد/ الاستشراق/ ٧٨.

(٤) مالك بن نبي /انتاج المستشرقين واثره في الفكر الاسلامي الحديث/ ١٠.

(٥) محمد حسين الصغير/ المستشرقون والدراسات القرآنية/ ١١.

(٦) ظ: محمد فنح الله الزيادي/ ظاهرة انتشار الاسلام وموقف المستشرقين منها/ ١٨.

(٧) عالم شوق شاكر/ الاستشراق اخطر تحدي للاسلام / ٦٥.

(٨) جواد كاظم الحكيم/ اثر الاستشراق في الفهم الحداثي لمباحث تاريخ القران وعلومه/ ٢٦.

الثروات المادية والمعنوية من اجل تسخيرها لصالح الغربيين . **والمفهوم الخاص:** هو معرفة الإسلام من غير المسلمين، أي الدراسات الغربية التي تستهدف التعرف على الإسلام.

يرى الباحث أن المستشرق هو كل من يتخصص في ببحث ودراسة كل ما يتعلق بالشرق وخاصة الاسلام والمسلمين.

هوية المستشرق

في الأعم الأغلب يطلق لفظة مستشرق على الباحث الغربي الذي يدرس الشرق، وهم الذين يحملون الهويات الاوربية والامريكية الشمالية، ولكن خاص عدد من الباحثين الشرقيين في بلدان اليابان والصين والهند في دراسة الإسلام والقرآن والبلدان الإسلامية وكانت جهودهم مقاربة للجهود الاستشراقية الغربية وأن نتاجهم الفكري هو كذلك خضع للنقد من قبل علماء المسلمين، لكونهم ساروا على خطى الغربيين في دراستهم الإسلام، وأن هويتهم لم تكن تميزهم عن غيرهم، ولهذا يرى كثير من الباحثين أن خصوصية الانتماء الغربي للاستشراق قد ألغيت، وأحلَّ محلها عدم الانتماء الى الإسلام وقد أخذ الباحثون يطلقون كلمة مستشرق على كل دارس للإسلام من غير المسلمين سواء أكان غربياً أم شرقياً[١]، ويمكننا أن نلحق بالاستشراق ما يكتبه النصارى العرب من أقباط وماروبيين وغيرهم ممن ينظر الى الإسلام من خلال المنظار الغربي، ويلحق به أيضًا ما ينشره الباحثون المسلمون الذين تتلمذوا على أيدي المستشرقين وتبنوا كثيرا من أفكار المستشرقين [٢].

والمستشرقون هم من يتولى الاستشراق، ولا يمكن الفصل بين المستشرقين والاستشراق ولهذا فإن أي دراسة تستهدف المستشرقين يجب أن تتناول الاستشراق.

---

(١) ظ: محمد حسن زماني/ الاستشراق تاريخه ومراحله(بحث)/ ٦٠.

(٢) محاضرة القاها الدكتور محمد طالب الحسيني على طلبة الدراسات العليا(الماجستير) في عام ٢٠٢٢م.

الاستشراق اصطلاحًا: إنَّ الملاحظ على ظاهرة الاستشراق منذ بدايتها إلى عصرنا الحاضر يجد أن من الصعوبة إعطاء تعريف محدد شامل لها لاتساع المفهوم وغموضه وتعدد اتجاهاته ومدارسه فكل من عرف الاستشراق قد عرف بحسب فهمه له(١).

وعلى الرغم من إقرار كثير من الباحثين بصعوبة تعريف الاستشراق تعريفاً جامعًا مانعًا، إلا أنه يمكن أن يصف بتعبير موجز بأنه:((دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشرق وبخاصته كل ما يتعلق بتأريخه، ولغاته وآدابه وفنونه وعلومه وتقاليده وعاداته))(٢).

وجاء الاستشراق في معجم المصطلحات الأدبية ونظرية الأدب (Dictionary of Literature Literary theory) :((مصطلح يخص الشرق كما اكتشفه وسجله ووصفه وتخيله وأنتجه واخترعه الغرب. وفيما يخص الأدب؛ فهو مصطلحٌ يدل على الخطاب الغربي حول الشرق؛ والذي يتضمن كماً هائلاً من النصوص الأدبية والإجتماعية والتاريخية واللغوية والسياسية والإنثروبولوجية والتوبوغرافية؛ التي تراكمت منذ عصر النهضة))(٣)، نقلًا عن الدكتور حيدر قاسم مطر(٤).

وعرفه أحد الباحثين:((هو اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين بغض النظر عن وجهة المشتغل الجغرافية وانتماءاته الدينية والثقافية والفكرية ولو لم يكونوا غربيين))(٥).

وذهب كثير من الباحثين إلى أن الاستشراق هو أسلوب غربي لفهم الشرق والسيطرة عليه وهو ذو معنيين، معنى عام يطلق على كل غربي يقوم بدراسة الشرق كله من أقصاه الى ادناه، وخاص هو الدراسة الغربية المتعلقة بالعالم الإسلامي في لغاته وتأريخه وعقائده(٦).

---

(١) ظ: حاج ساسي سالم/ نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقيه واثرها في الدراسات الإسلامية، ١/١٧.

(٢) عبد النور جبور/المعجم الادبي/ ١٧.

(٣) J. A. Cuddon, Dictionary of Literature & Literary theory, 4th edition, Uk, Blackwell Publishers Ltd, 1998, Pp.618-622

(٤) الجهاد الاسلامي في الدراسات الاستشراقية(بحث)/ ٨١.

(٥) حمد بن ابراهيم النمله/ الاستشراق والدراسات والإسلامية/٢٤.

(٦) ظ: محمد حمدي زقزوق/ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري/ ١٨، شكري النجار/ لم الاهتمام بالاستشراق(بحث) /٧١، محمد حسن زماني/ الاستشراق تأريخه ومراحله،(بحث)/١٧٨، عصام هادي كاظم، الدراسات القرانية في الاستشراق السويدي/ ٢٧.

إنَّ هناك ثلاث دلالات لمفهوم الاستشراق ((أولها دلالة أكاديمية تشمل كل من يقوم بدراسة الشرق أو الكتابة عنه يمكن ان نسميه مستشرقاً ... وثانيها: دلالة اكثر عمومية من الأولى تدل على تمييز معرفي بين الشرق والغرب... وثالثها: أن الاستشراق أسلوب غربي يهدف الى السيطرة على الشرق))[١].

إنَّ النزعة المؤسساتية للاستشراق التي هيمنت عليها نظرة التفوق والاستعلاء والتي وقد تناولها صاحب معجم المصطلحات الأدبية ونظرية الأدب (Dictionary of Literature & Literary theory) ليكشف عن البعد السياسي والنفسي الذي هيمن على مناهج المستشرقين في دراستهم، يقول:((إنَّ معظم الخطاب الاستشراقي كان متحيِّزاً ومتحاملاً، وفيه كثير من الشعور بالتفوق،... وكل ذلك يكشف عن قدرٍ كبير من التكبر والشعور بالتفوق، ومعظم ذلك قد امتزج بعنصرية وافتراض مُسبق وجهل بيِّن؛ أفرز الكثير من العموميات السطحية من لدن أناس كان عليهم أن يعلموا الكثير عن الشرق؛ خلافاً لتلك الأحكام الغامضة التي صدرت عنهم... كما أنَّ بعض الكُتَّاب والباحثين كانوا يكررون أفكار من سبقهم ليتبنوا مجموعة آراءٍ ومواقف تشبه تلك التي قال عنها الكاتب الفرنسي غوستاف فلوبير : إنَّها مبتذلة ومتدنية، وتوهم بأنَّها تتضمن الحقيقة))[٢]، نقلًا عن الدكتور حيدر قاسم مطر[٣] .

وهذا الخطاب لا يكاد يتخلى عن فكرة أنه متفوق ويعزز ذلك ايضا شعور القدرة على فهم الاخر[٤].

وقد تم إلغاء مصطلح الاستشراق في مؤتمر الجمعية الدولية للمستشرقين المنعقد في عام ١٩٧٣م[٥]. يقول أحد الباحثين:((سعوا الى التخلي عن المصطلح، وعلى رأي المستشرف الأمريكي

---

(١) ادوارد سعيد/ الاستشراق المعرفة السلطة والانشاء/ ٣٧-٣٩.

(٢) J. A. Cuddon, Dictionary of Literature & Literary theory, 4th edition, Uk, Blackwell Publishers Ltd, 1998, Pp.618-622.

(٣) الجهاد الاسلامي في الدراسات الاستشراقية(بحث)/ ٨٢.

(٤) ظ: تزفيتان تودوروف/ فتح أمريكا.. مسألة الآخر/٢٥٩.

(٥) ظ: إدوارد سعيد/ الاستشراق /٤٤-٤٥.

برنارد لويس الاستعاضة عنه بمصطلحات اكثر جاذبية واكثر هروباً من المصطلح الذي صاحبة الشؤم والتلوث، وأصبحت شخصية المستشرق شخصية مشؤومة))[١].

يرفض بعض الباحثين الرأي القائل أنَّ الاستشراق قد تم الغاؤه فهم يرون أن الغاءه كان شكلياً، لأنه بقولهم ان (الاستشراق) ما زال متداولا بشكله المصطلحي فضلا عن حمولته الفكرية والايدلوجية[٢]، والدكتور **ادوارد سعيد** يحدد طبيعة الاستشراق في الوقت الحاضر في الحقبة الامريكية (لكون دوائر الاستشراق قد انتقلت اليها بعد الحرب العالمية الثانية وأصبحت أمريكا هي راعية الدوائر الاستشراقية) ، بقوله فقد اخذ الاستشراق المعاصر على عاتقه مهمة التحرش الثقافي مع القوى المناوئة للفكرة الامريكية وعلى راس هذه القوى الإسلام والشيوعية، اما الشيوعية فقد اندحرت، وبقي الإسلام وحده يمارس معه الاستشراق المعاصر[٣].

إنّ الباحثين مهما اختلفوا بشأن الاستشراق فأنهم يلتقون بنقاط بالغة الأهمية والتي يمكن ايجازها بما يلي[٤]:

١) كانت بداية المستشرقين هي دوافع دينية وتبشيرية برعاية الكنيسة.

---

(١) علي بن ابراهيم النملة/ اشكالية المصطلح في الفكر العربي/ ٦١.

(٢) ظ: لبنان حسين الزين / ترجمات المستشرقين للقران الكريم مقاربات تقويمية، المندرج في كتاب ترجمة القران عند المستشرقين/ ١١.

(٣) ظ: محمد عبد الرحمن الشرقاوي/ الاستشراق وتشكل نظرة الغرب الى الإسلام/١٦، علي بن إبراهيم النملة / إشكالية المصطلح في الفكر العربي/ ٦١.

(٤) يلتقي في هذا الراي بعض المستشرقين أمثال: الفرنسي ناصر الدين دينيه، والمجري جرمانيوس، والفرنسي روجيه جارودي، ومعظم دارسي الاستشراق من العلماء العرب والمسلمين أمثال: ادوارد سعيد ونجيب العقيقي والدكتور حميد الله والدكتور فؤاد سكزين والدكتوره فاطمه سروي والدكتور مصطفى مراد صبحي والدكتور جميل حمداوي والدكتور محمد حمدي زقزوق والدكتور مصطفى السباعي والدكتور علي جليل شلبي والدكتور قاسم السامرائي ومالك بن نبي والدكتور عرفان عبد الحميد والدكتور محمد طالب الحسيني والدكتور محمد حسن زماني والدكتور حسن حنفي وغير هؤلاء كثيرون. ظ: محمد عبد الرحمن الشرقاوي/ الاستشراق وتشكل نظرة الغرب الى الإسلام/٢٥، محمد البيهي/ الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي/٥٣٣، جميل حميداوي/ المستشرقون وترجمة القران الكريم/ ٢٥-٢٦، محمد حسن زماني/ الاستشراق تاريخه ومراحله(بحث) / ١٧٨-١٩٢، سالم الحاج ساسي/ نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية واثرها في الدراسات الإسلامية/ ١/٢٢-٢٤.

٢) كانت خدمة الاستعمار وراء انطلاقة الاستشراق النشطة في القرن الثامن عشر وماتلاه.

٣) إن للمستشرقين اليد الطولى في تشكل موقف الغرب إزاء الإسلام والمسلمين على مدى قرون وحتى الوقت الحاضر وذلك بسبب تأثيرهم العميق في صياغة التصورات الغربية عن الإسلام.

٤) أثرَ المستشرقون في الفكر الإسلامي الحديث حيث أدى ذلك لبعض الحداثيين من المسلمين بصياغة رؤيتهم الخاصة للإسلام، وذلك بتأثرهم بالفكر الاستشراقي.

٥) يعتبر الاستشراق ظاهرة فريدة غير مسبوقة في تاريخ الحضارات كلها فلم تقم حضارة بمثل هذا الجهد الشامل لدراسة حضارة أخرى من جميع وجوهها لتحقيق غايات مرسومة مسبقاً.

ويرى الباحث أن هذه الامور توضح لنا كيفية خطورة الاستشراق مما يتطلب الحاجة إلى دراسات علمية فاحصة متعمقة بمسألة الاستشراق من جميع زواياه.

المقصد الرابع: الدراسة لغة واصطلاحًا

الدراسة لغة: هي مصدر للفعل درسَ الدال والراء والسين أصل واحد يدل على خفاء وخفض وعفاء، فالدرس: الطريق الخفي، ودرست الكتاب أدرسته درسًا أي ذللته بكثرة القراءة حتى خف حفظه علي وأصل الدراسة الرياضة والتعهد للشيء[١]. جاء في معجم العين:" دَرْسُ الكتابِ للحِفْظ، ودَرَسَ دِراسةً، ودارَسْتُ فلاناً كتاباً لكي أحفَظَ "[٢]. وقد ورد في القران الكريم مصطلح الدراسة في اكثر من آية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ ﴾[٣]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ

(١) ظ: ابن فارس/ مقاييس اللغة ، ٢٦٧/٢، ابن منظور/ لسان العرب ، ٧٩/٦.
(٢) الفراهيدي/ العين ،٥٨/٢.
(٣) الأنعام: ١٠٥.

وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ ﴾[١]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾[٢]، قال المفسرون أنَّ الدراسة تعني القراءة والعلم[٣].

نستنتج أنَّ الدراسة في اللغة هي مفهوم عام يندرج تحته القراءة والكتابة والحفظ والمذاكرة والفهم والعلم.

الدراسة اصطلاحًا: هي عبارة عن متابعة موضوع معين وقراءته قراءة واضحة من خلال دراسة مصادر تبحث في كافة تفاصيله وعادة تستخدم الكتب كمصدر رئيسي للدراسات. أو هي متابعة لحالة قد تكون جديدة وغير مكتشفة من قبل وتساهم دراستها في تعريف الناس بها واثراء المجال العلمي الذي ترتبط به[٤].

وقيل:((الدراسة عبارة عن بحث علمي، يركز على فرضية معينة، أو علاقة معينة، في السياقات غير العلمية، يمكن أن يكون استكشاف موضوع معين، وتعرف أيضا بأنها متابعة قضية، او حالة معينة، ومحاولة الوصول إلى معلومات جديدة حولها، وتعريف الناس بها))[٥].

ويرى الباحث انَّ الدراسة يراد بها العمل الذي يركز على تحليل موضوع ما.

المقصد الخامس: المقارنة لغة واصطلاحًا

المقارنة لغة: تعني المقارنة لغة هي مقابلة الأحداث ببعضها البعض لكشف ما بينها من شبه أو علاقة[٦]. وقال أحدهم ((مقارنة وقرانا صاحبه واقترن به وبين القوم سوى بينهم وبين الزوجين قرانا جمع

---

(١) الأعراف: ١٦٩.

(٢) الأنعام: ١٥٦.

(٣) ظ: الطبري/ جامع البيان ، ٢٤٢/١٢، محمد حسين الطباطبائي/ الميزان ، ١٥٤/٣.

(٤) ينظر: faculty.kfupm.edu.sa/ias/ahussein/files/research.docd تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢٢/١١/٧م.

(٥) نيفين حلمي عبد الحميد وحنان محمود حمد/ الدراسات المقارنة في المناهج: دراسة تحليلة مقارنة (بحث)، مجلة كلية التربية– جامعة عين شمس، العدد ٤٣، الجزء الرابع ٢٠١٩م/ ١٠٧٨.

(٦) ظ: ابن منظور/ لسان العرب،١٣/مادة: (قرن)، الزبيدي/ تاج العروس ، ٨١٣٩/١.

بينهما والشيء بالشيء وازنه به وبين الشيئين أو الأشياء وازن بينها فهو مقارن ويقال الأدب المقارن أو التشريع المقارن))[١]. فالمقارنة لغة هي المصاحبة.

المقارنة اصطلاحاً: عرفت عدة تعريفات منها:

قال جون ستيورات ميل المقارنة هي :((هي دراسة الظواهر المتشابهة أو المتناظرة في مجتمعات مختلفة أو هي التحليل المنظم للاختلافات في موضوع أو أكثر عبر مجتمعين أو أكثر))[٢]. وقيل:((هي تلك العملية التي يتم من خلالها ابراز او تحديد أوجه الاختلاف واوجه الائتلاف بين شيئين متماثلين او اكثر))[٣].

وقال آخر:((هي البحث عن أوجه الشبه والاختلاف بين شيئين فالمقارنة في احد نصفيها تمكنك من العثور على أوجه الشبه او التماثل او الوحدة بين شيئين وتمكنك في نصفها الاخر من العثور على أوجه الاختلاف او الفرق او التباين بينهما))[٤]

نستنتج أن المقارنة: هي الوسيلة العملية التي يستخدمها الباحث في دراسة أوجه الشبه والاختلاف بين مجتمعين مختلفين او فكرين مختلفين وهي احد الأساليب المنطقية الأساسية لمعرفة الواقع الموضوعي.

خلاصة المفهوم الكلِّيّ

١) إنَّ تسمية مكة تعني التي تمك الجبارين ، أي: تحطمهم وتدكهم ، أو أنها سميت لازدحام الناس فيها

٢) رأى بعض الباحثين أن (مكة وبكة) يعودان من الناحية اللغوية إلى أصول بابلية أو عربية جنوبية، أو الى اللغة الآرامية.

---

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون/ المعجم الوسيط، ٣٧٧/٢(باب القاف).

(٢) محمد شلبي/ المنهجية في التحليل السياسي/ ٧٠.

(٣) عبد الناصر الجندي/ تقنيات مناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية/ ١٦٨.

(٤) احسان محمد الحسن/ مناهج البحث الاجتماعي/ ١٠١.

٣) اعتبر بعض الدارسين (مكة) وبكة اسمين مترادفين بمعنى أن مكة هي بكة والميم بدل من الباء ومعنى هذا اشتراك مكة وبكة في نفس الدلالات والمعاني.

٤) أن (بكة) موضع البيت، (مكة) هي القرية .

٥) أن المصادر العربية اعتبرت (بكة) إما كلمة عربية من البك بمعنى التهشيم، أو عربية جنوبية تقابل مكة بقلب الميم إلى باء، أو آرامية شرقية بمعنى (الوادي) أو أن بكة كلمة بابلية بمعنى البيت.

٦) أنَّ المفسرين هم الاشخاص الذين يقومون بعملية تفسير القران الكريم وفق شروط محددة لبيان مقاصد الآيات القرآنية واغراضها

٧) لم ترد لفظة الأستشراق في معاجم اللغة العربية وبالأخص المتقدمة منها ، كون الكلمة ليست عربية أصليه بل هي كلمة عصرية مولدة.

٨) أن المستشرق هو كل من يتخصص في ببحث ودراسة كل ما يتعلق بالشرق وخاصة الاسلام والمسلمين.

٩) الاستشراق ظاهرة فريدة غير مسبوقة في تاريخ الحضارات كلها فلم تقم حضارة بمثل هذا الجهد الشامل لدراسة حضارة أخرى من جميع وجوهها لتحقيق غايات مرسومة مسبقاً.

١٠) إن للمستشرقين اليد الطولى في تشكل موقف الغرب إزاء الإسلام والمسلمين على مدى قرون وحتى الوقت الحاضر وذلك بسبب تأثيرهم العميق في صياغة التصورات الغربية عن الإسلام

١١) أثرَ المستشرقون في الفكر الإسلامي الحديث حيث أدى ذلك لبعض الحداثيين من المسلمين بصياغة رؤيتهم الخاصة للإسلام، وذلك بتأثرهم بالفكر الاستشراقي

١٢) انَّ الدراسة هي العمل الذي يركز على تحليل موضوع ما.

١٣) هي الوسيلة العملية التي يستخدمها الباحث في دراسة أوجه الشبه والاختلاف بين مجتمعين مختلفين او فكرين مختلفين وهي احد الأساليب المنطقية الأساسية لمعرفة الواقع الموضوعي.

الْمُقَدِّمَةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمـــــــــــةُ

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على محمد النبيّ الأمين وآله الطيّبين الطاهرين المصطفين .

وبعدُ ، تشكل المدن التأسيسية لانبثاق الأديان أهمية محورية مزمنة في متابعة أصول التكوين والانبثاق، لذا غالبًا ما يلتحم فيها التاريخ الواقعي بالتاريخ الملحمي والقدسي والمثيولوجي، لتسهم كل هذه الأنواع المتناوبة في صياغة صورة مشبعة بالإتقان التركيبي المعني بالمدينة أو المكان اللامتناهي في قدسيته، وهذا يمثل الأساس لرسم الصورة فيما بعد للمراحل المبكرة لنشوء الأديان . ولهذا شكلت مكة المكرمة المدينة التي انبثق منها الإسلام الغاطس العميق لمجريات الاحداث أبان الإسلام المبكر ، وذلك بوصفها المدينة التي ولد فيها الرسول محمد (صلى الله عليه واله) وأنفلقت نواة الإسلام فيها ، لذلك تأخذ أهمية مضاعفة من بين مدن الإسلام الأخرى ، وأهميتها تكمن لمعرفة المرحلة المبكرة لنشوء الإسلام والتي تعد أحد أكثر المراحل جدلية واشكالية بنظر المستشرقين ، لفواعل منها: ابتعاد زمن تدوين المصادر وإعادة الإنتاج المستمر لبعض المرويات التاريخية تبعًا لتغير الظروف السياسية والسياق التاريخي ، وأنعكس هذا بوضوح على الدراسات التاريخية ، حيث وقع بعضها في هذا الإشكال وتناول الشبكة العريضة من المرويات بوصفها تعبيرًا واقعيًا عن تلك المرحلة ، وهذا الأمر أسهم فيما بعد لتكوين الصورة التقليدية عن المراحل المبكرة للإسلام .

وهذه الإشكالية لم تغادر الدراسات الاستشراقية حيث أستغل أغلب المستشرقين تلك المرويات وأضافوا عليها ميلهم ومرجعيتهم الدينية من أجل تصدير رؤية تتماشى مع منطلقاتهم ، بينما تناول بعض المستشرقين تلك الدراسات بنوع من التعدد والتحليل بما تمليه عليهم معتقداتهم الثقافية والفكرية ، إذ يمكن اعتبار دراسات مكة عند المستشرقين نموذجًا مثاليًا لمعرفة التفاوت الاستشراقي في التعاطي مع مرحلة الإسلام المبكر.

لذا ركز القسم الأعظم من المستشرقين في دراساتهم على تشكيك المسلمين في دينهم وإضعافه في نفوسهم ، وبإضعاف الروح المعنوية عند المسلمين ، وإضعاف ثقتهم في نفوسهم وذلك بتعظيم أمر الحضارة الغربية في أعينهم وتقليل شأن الحضارة الإسلامية ، منها التشكيك بأهمية مكة ودورها قبل الإسلام وبعده ، حتى ينظر لهم المسلم بعين الإعجاب .

وقد تناول البحث مكة المكرمة من جوانب شكلت محور التجاذب بين مفسري القرآن الكريم المتقدمين والمعاصرين ، وبين المستشرقين الماضين منهم إلى المعاصرين، فكان مجال البحث ممتدًا منذ أول المدونات التفسيرية حتى يومنا هذا ، مع ما رافقه من صراع فكري كان موضوعة تلك المدينة المقدسة وبيئتها الحضارية والدينية وما أرتبط بها من طقوس وأحداث وتجاره .

من ذلك يطيب لي أن أقدم رسالة علمية إلى قسم علوم القرآن في كليتنا ، والموسومة بـ (مَكَّةُ بَيْنَ المُفَسِّرِينَ وَالمُسْتَشْرِقِينَ دِرَاسَةٌ مُقَارَنَةٌ).

سبب اختيار الدراسة: يمكننا أن نلخصها بما يأتي:

١- إنَّ الموضوع بكر فلم تدرس مكة دراسة مقارنة بين المفسرين والمستشرقين

٢- جاءتِ الرغبةُ في دراسة الموضوع هو الرد على الآراء والافكار الاستشراقية التي تحاول الطعن والتشكيك بمدينة الاسلام المقدسة مكة المكرمة .

٣- جاءت الدراسة لبيان أهمية مكة المكرمة الواردة في كتب التفسير، وكتب الاستشراق .

٤- شيوع المنهج التاريخي الآركيلوجي ، وتقديمه على أساس أنه الحقيقة ، فحتاج رداً ودراسة لتفنيد كثيرًا من منتجاته .

٥- التسمية تمثل عتبة ومدخل لمعرفة قداسة هذه المنطقة أو المدينة ومعرفة ما وراء اللغة.

كما إنَّ أول الإشكاليات التي واجهها البحث هو أنه لا يوجد بحث تاريخي لغوي عند العرب ، كي يسأل عن المعنى من التسمية ، ومنه أن أصل التسمية مجهول . كما أن ثاني الإشكاليات بعض كتب المستشرقين باللغات الأجنبية فاحتاج ذلك إلى ترجمتها . وثالث الإشكاليات هو كيفية صياغة الردود الناجعة .

الصعوبات:

إنَّ من الصعوبات التي واجهت البحث هو سعة الموضوع وعمقه ، وأن البحث كان ملزمًا بتقصي المدونات التفسيرية بدءًا بمدونات تلاميذ ابن عباس التي جُمعت مؤخرًا كتفسير مقاتل بن سلمان حتى المدونات التفسيرية في عصرنا الحاضر .

ومن جهة أخرى فان الصعوبة في الاتجاه الاستشراقي تكمن في تعدد مناهج وطرق وأساليب هذا الاتجاه في دراساتهم حول مكة ، فكان البحث ملزمًا باستقصاء ما أنتجه الفكر الاستشراقي من خلال تتبع مؤلفات أغلب رواد المستشرقين في هذا الاتجاه ، وأشهرهم في المجال الاستشراقي والشخصيات المتربعة على الدراسات الإسلامية في الساحة الاستشراقية.

كما حاول البحث تقصي وتتبع مفردة (مكة) من أجل الوقوف على معانيها المتعددة وثم الاستفادة من تلك الدلالات في محاور البحث وأبحاثه ومطالبه .

وحاول البحث استقصاء بعض تسميات مكة الواردة في القرآن الكريم والكتب المقدسة الأخرى .

عمد البحث على إيجاد الصيغة التوافقية التي تحاول تقريب وجهات نظر المفسرين حول المسألة من جهة وإبراز الموقف الاستشراقي من جهة أخرى .

منهجيَّة الرِّسالة: وتتلخص المنهجية المتبعة ، بما يأتي : المنهج (الوصفي) في إحصاء الآراء وعرضها ؛ بوصفه خطوة أولى والمنهج (التحليلي) في الوصول إلى الرأي الصائب ؛ بوصفه خطوة ثانية ، وقد تخلل الأخير المنهج (النقدي) ، من خلال إبداء المناقشة ، ومحاكمة الآراء .

خطة الرسالة: جاء تفصيل البحث على النحو التالي مع أهم ما جاء في تلك المباحث والمطالب :

التمهيد: فكان بعنوان(تحديدُ مصطلحاتِ عنوانِ الرِّسالةِ) وفيه حاول البحث إيجاد مقاربات لغويّة واصطلاحيةٍ لعنوانات البحث من خلال تتبع الدلالات اللغويّة في المعاجم اللغويّة المعتمدة والتي تمثل أصول الجذور اللغويّة للمفردات اللغويّة . والمعاجم الاصطلاحية التي تناولت بعض المصطلحات الخاصة ببحثنا ، مع إضافة الوجوه والنظائر المرادفة للمصطلح الأصلي الموجود في العنوان التي استخدمها أهل اللغة في إيجاد مفهوم محدد لمعنى كلمة مكة ، ومعنى المفسر ودلالات كلمة مستشرق وما ذا يراد منها ومساعي المفكرين واللغوين في معرفة معنى المستشرق على وجه التحديد والخلاف الفكري على تحديد التسمية ومعناها.

الفصلُ الأوَّلُ: وفيه تناول (البحث التَّفسيرُ اللَّفظيُّ لأسماءِ مكَّةَ ومتعلِّقاتِها في القرآنِ الكريمِ والكتبِ المقدَّسةِ)، والتي تمثل الأسس النظرية التي ابتنى عليها كل اتجاه فحاول البحث استقصاء تلك التسميات لتلائم مراد البحث هي كشف آراء المفسرين في تلك التسميات الى جانب معرفة الموقف الاستشرقي منها ، فجاء هذا الفصل بمبحثين :

المبحثُ الأوَّلُ: التَّفسيرُ بلحاظِ الأسماءِ ، وتناول هذا المبحث التيارات الفكرية للمفسرين في تفسيراتهم ، وتضمن ثلاثة مطالب: الأوَّلُ: ما تعلَّقَ بـ (البيت) والثاني: ما تعلَّقَ بـ (المسجد) والثالث: ما تعلَّقَ بـ (البلد) ، حيث عرض البحث آراء المفسرين في هذه الأسماء ثم ما جاء في كتب المستشرقين من أقوال وآراء في هذا الشأن ، ففريق المفسرين قال إنها تسميات لمكة المكرمة التي وردت في القرآن الكريم ونقلوا ما يؤيد رأيهم من القرآن والسنة ، والفريق الآخر أي الاستشراقي انقسم بين من ذهب مع الرواية الإسلامية في تفسير تلك الأسماء وربطها بمكة المكرمة ، وبين رافض ومشكك بما ورد في المصادر الإسلامية جميعها من كتب التفسير وكتب الاخباريين رافضين كل تلك الدراسات .

المبحثُ الثَّاني: التَّفسيرُ بلحاظِ (قدسيَّتِهَا) ، تناول اتجاه الفريقين في التعاطي مع قدسية مكة المكرمة من خلال الأسماء القدسية الواردة للمدينة المقدسة وجاء على ثلاثة مطالب: الأول : التَّقديسُ باللَّفظ (مباركًا) ، والثَّاني: التَّقديسُ باللَّفظ (الحرام) ، والثَّالثُ: التَّقديسُ باللَّفظ (آمنًا) ، هذا وقد حاول البحث الكشف عن الاتجاه الفكري لكل فريق في التعامل مع قدسية مكة المكرمة ، بارزا مواضع الاتفاق والاختلاف فيما بينهم .

الفصل الثَّاني: البعدُ الدِّينيّ لمكَّةَ قبل الإسلام بينَ المفسِّرينَ والمستشرقينَ ، وجاء هذا الفصل للكشف عن أهمية البعد الديني لمكة قبل الإسلام وما يدور فيها من عقائد وأديان وعبادات ومدى انتشار تلك الأديان فيها وتأثيرها في عقائد الناس، وجاء بمبحثين:

المبحثُ الأوَّلُ: البعدُ الدِّينيّ عند المفسِّرينَ ، تناول آراء المفسرين في الجانب الديني لمكة قبل الإسلام والرؤية التفسيرية لما ورد من آيات قرآنية حول ارتباط بعض الأنبياء بمكة ومدى تأثر عرب شبه الجزيرة بعقائد أولئك الأنبياء ، ونشأة الحج وطقوسه ديانة التوحيد ، وكان على مطلبين ، المطلبُ الأوَّلُ: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بالأنبياء ومكَّة ، وجاء فيه فرعين: الفرعُ الأوَّلُ: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بإبراهيم وإسماعيل والفرعُ الثَّاني: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بإيلاف قريش. والمطلبُ الثَّاني: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بديانة العباد وجاء فيه أربعة أفرع هي: الفرعُ الأوَّلُ: دين الحنيفية في شبه الجزيرة ، والفرعُ الثَّاني: صلاة (مكاء وتصدية) عند قريش، والفرعُ الثَّالث: الصَّفا والمَرْوَة من شعائر الله ، والفرعُ الرَّابعُ: رؤية فِعْلُ الرب بأصحاب الفيل .

المبحثُ الثَّاني: البعدُ الدِّينيّ لمكة قبل الإسلام عند المستشرقينَ ، جاء عن موقف المستشرقين من الجانب لمكة قبل الإسلام ، ونظرتهم الى طقوس الحج فيها ومدى ارتباط المدينة بإبراهيم وإسماعيل(عليهم السلام) ، وتناول البحث الموقف الاستشراقي من تلك المواضيع وابرز الرود عليهم ، وجاء في مطلبين: المطلبُ الأوَّلُ: موقف المستشرقينَ من الأنبياء ومكَّة وكان على فرعين: الفرعُ الأوَّلُ: موقف المستشرقينَ من إبراهيم وإسماعيل ، والفرعُ الثَّاني: موقف المستشرقينَ من إيلاف قريش. المطلبُ الثَّاني: موقف المستشرقينَ من ديانة العباد ، جاء بأربعة أفرع : الفرعُ الأوَّلُ: موقف المستشرقين من دين الحنيفية ، الفرعُ الثَّاني: موقف المستشرقين من صلاة مكاء وتصدية ، والفرعُ الثَّالث: موقف المستشرقين من الصَّفا والمَرْوَة ، والفرعُ الرَّابعُ: موقف المستشرقين من أصحاب الفيل .

الفصلُ الثَّالث: البعدُ الدِّينيّ لمكَّةَ في الإسلام بينَ المفسِّرينَ والمستشرقينَ ، وجاء هذا الفصل في عرض البعد الديني لمكة عند المفسرين من جهة ومن جهة أخرى معرفة الموقف المستشرقين وآرائهم حول البعد الديني لمكة في الإسلام ، وضمَّ هذا الفصل مبحثين:

المبحث الأوَّلُ : البعدُ الدِّينيّ عند المفسِّرينَ ، وضم مطلبين الأوَّلُ(النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بالقبلة والحجّ) ، وفيه فرعين ، الفرعُ الأوَّلُ: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بتحويل القبلة ، والفرعُ الثَّاني: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بحجّ البيت. والمطلبُ الثَّاني(النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بالشَّهر الحرام والنَّسيء) وفيه أيضا فرعان: الفرعُ الأوَّلُ: القتال في الأشهر الحرم ، الفرعُ الثَّاني: النَّسيء زيادةٌ في الكفر.

المبحثُ الثَّاني: البعدُ الدِّينيّ عند المستشرقينَ ، وفيه يعرض آراء المستشرقين حول الجانب الديني لمكة ، والكيفية التي يتعاملون فيها مع مدينة الإسلام المقدسة ، وفيه ظهر مدى التشكيك الاستشراقي بقبلة المسلمين وأدعائهم وافترائهم في قضية تحويل القبلة وتأثر الرسول الأعظم(صلى الله عليه واله) بمعطيات سياسية حسب قولهم في مسألة القبلة والتعامل مع الأشهر الحرم والحج. وجاء فيه مطلبين: الأوَّلُ(موقف المستشرقينَ من القبلة والحجّ) وكان فيه فرعان : الفرعُ الأوَّلُ: موقف المستشرقينَ من تحويل القبلة ، والفرعُ الثَّاني: موقف المستشرقينَ من حجّ البيت . وجاء المطلبُ الثَّاني(موقف المستشرقينَ من الشَّهر الحرام والنَّسيء) بفرعين ايضًا، الفرعُ الأوَّلُ: القتال في الشَّهر الحرام ، والفرعُ الثَّاني: النَّسيء زيادةٌ في الكفر .

الدِّراسات السَّابقة: ومجمل ما وقفنا عليه وبعد التَّتبع لم أجد أحدًا تناول مكة بين المفسرين والمستشرقين ، فكلّ ما كُتِبَ عن مكة كان في جوانب أخرى غير مقارنة آراء المفسرين مع مواقف المستشرقين ، بل

كانت الدراسات في جوانب التاريخ والسيرة ، وكلها تتناول الرؤية الإسلامية فقط دون التطرق الى الرؤية الاستشراقية ومواقف المستشرقين .

مصادر الدراسة ومراجِعُها: من أهم المصادر التي استقت منها الرِّسالة وقد جمعت بين التَّفسير الأثري والعقيدة والقصص والمعاني من المتقدمين جامع البيان للطَّبري (ت/٣١٠هـ)، والنكت والعيون للماوردي(ت/٤٥٠هـ) والتبيان للطوسي(ت/٤٦٠هـ) والكشاف للزمخشري(ت/٥٤٥هـ) ، وتفسير مجمع البيان للطَّبرسيّ (ت/٥٤٨هـ)، وتفسير مفاتيح الغيب للرازي(ت/٦٠٦٠هـ)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير(ت/٧٧٤هـ) ، والدُّر المنثور للسِّيوطيّ (ت/٩١١هـ)، ومن المراجع تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب (ت/١٣٨٦هـ)، وتفسير الميزان للطَّباطبائيّ (ت/١٤٠٢هـ) ومن المعاصرين تفسير الأمثل لناصر مكارم الشِّيرازيّ.

وايضًا كتب التاريخ وأهمها أخبار مكة للأزرقي(ت/٢٥٠هـ) والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي(ت/١٩٨٧م).

وكذا كتب الاستشراق أهمها دائرة المعارف الإسلامية ، وكتاب مكة في الدراسات الاستشراقية ، وكتاب مكة قبل الإسلام لمجموعة من المستشرقين ، ومحمد في مكة لمونتجمري وات ، وتجارة مكة وظهور الإسلام لباتريشيا كرون .

الخاتمة: وجاء فيها أهم النقاط والنتائج التي توصل لها البحث في سياق للآراء والاتجاهات التي تعاطت مع مكة المكرمة ، من خلال العرض الموجز لأهم ما توصل له البحث من نتائج كانت خلاصة للفصول الثلاث .

وأتقدم بالشُّكر إلى أستاذتي ومشرفتي الأستاذ الدُّكتورة (سكينة عزيز الفتليّ) التي أشرفت على رسالتي .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين مفتتحًا وختامًا .

الباحث

الفصلُ الأوَّلُ

التَّفسيرُ اللَّفظيُّ لأسماءِ مكَّةَ ومتعلّقاتِها في القرآنِ الكريمِ والكتبِ المقدَّسةِ

- المبحثُ الأوَّلُ: التَّفسيرُ بلحاظِ الأسماءِ .
- المبحثُ الثَّاني: التَّفسيرُ بلحاظِ (قدسيَّتِهَا) .

الفصلُ الأوَّلُ

التَّفسيرُ اللَّفظيُّ لأسماءِ (مكَّةَ) ومتعلِّقاتِها في القرآنِ الكريمِ والكتبِ المقدَّسةِ

توطئة: إنَّ التفسير اللفظي هو جانب من جوانب التفسير اللغوي في الاعم الأغلب وهو بيان المعاني لغة أي بما ورد من لغة العرب وهو لا يكون الا باللغة ويتم فيه البحث عن مفاهيم الكلمات من ناحية لغوية(١).

والكتب المقدسة هي التوراة والانجيل، فالتوراة كتاب موسى (عليه السلام) وهي الأسفار الخمسة الأولى وهي:(التكوين، الخروج، اللاويين، العدد ، التثنية)، وأسفار الأنبياء والقضاة والملوك مشكلة ما يطلق عليه (العهد القديم)، والإنجيل هو كتاب عيسى (عليه السلام) ويسمى بالعهد الجديد.

وقد تحدثت التوراة في أسفارها: التكوين والخروج والعدد ويشوع والقضاة وصموئيل (الأول والثاني)، والملوك (الأول والثاني)، وأخبار الأيام (الأول والثاني)، ونحميا والمزامير وأشعياء وإرمياء وحزقيال ودانيال والمكابيين(الأول والثاني)، عن العرب، وأماكنهم الجغرافية وبعض مدنهم وعلاقتهم بالإسرائيليين، ولكن التوراة عندما تتحدث عن العرب، فإنما تهتم بالقبائل والأماكن العربية ذات العلاقة الاقتصادية باليهود في بعض الأحيان، وذات العلاقة السياسية في أحوال أُخَر، ولهذا فهي عندما تتحدث عن العرب وقبائلهم، فهي تتناول من لهم علاقة باليهود، او على أساس ان هذه القبائل تربطها علاقة بالعبرانيين(٢).

وفي رسالتنا هنا ننظر إلى التوراة بوصفها مصدرًا تأريخيًا، لان التوراة المتداولة اليوم قد طالها تحريف كبير، وينظر لكتابها بوصفهم مؤرخين لا يختلفون كثيرا عن نظرائهم ومعاصريهم، ودليل التحريف آيات كثيرة منها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾(٣) .

(١) ظ: د. مساعد الطيار/ التفسير اللغوي للقران الكريم/٦٨.

(٢) ظ: محمد بيومي مهران / دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام/٢٧-٢٨.

(٣) النساء/ ٤٦

ستصب دراستنا في هذا الفصل على مبحثين رئيسيين: المبحث الاول: يتناول التفسير بلحاظ الاسماء لمكة في ثلاث مطالب هي: المطلب الأوَّلُ: ما تعلَّقَ بـ (البيت). المطلب الثاني: ما تعلَّقَ بـ (المسجد). المطلب الثالث: ما تعلَّقَ بـ (البلد)

والمبحث الثاني يتناول تفسير قدسية مكة من خلال مسمياتها وجاء في مطالب ثلاث هي: المطلبُ الأوَّلُ: التَّقديسُ باللَّفظ (مباركًا). المطلبُ الثَّاني: التَّقديسُ باللَّفظ (الحرام). المطلبُ الثَّالثُ: التَّقديسُ باللَّفظ (آمنًا)

المبحث الأول

التفسير بلحاظ الاسماء

المطلب الأوَّلُ: ما تعلَّقَ بـ (البيت)

المطلب الثاني: ما تعلَّقَ بـ (المسجد)

المطلب الثالث: ما تعلَّقَ بـ (البلد)

المبحث الأول

التفسير بلحاظ الأسماء

إن الاشياء في الوجود لا يمكن تمييزها دون اضافة أسماء لها او صفات وعادة ما تكون في التسمية قصدية نسبية فحتى الاسماء المرتجلة فهي في كثير الاحيان ترتبط بحادثة معينة، ولهذا فان التسمية تستخدم للتمايز بين الاشياء.

وإن التسمية اقترنت مع الإنسان منذ نشأته الأولى فقد استعملها لأجل تمايز الأشياء فهي ضرورة ملحة في حياة الإنسان تمكنه من خلالها تمييز المصاديق الخارجية التي تدركها الحواس وحتى المفاهيم الذهنية التي مكانها العقل، فكان أبو البشر ادم (عليه السلام) وهو أول مخلوق رسالي (أنموذج) بحاجة إلى التسمية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[1]." المراد من الأسماء المسميات وعبر عنها للصلة الوثيقة بين الدال والمدلول وسرعة الانتقال من أحدهما إلى الاخر"[2].

أما العرب فكانوا مشغوفين بالتسمية بسبب ارتباط بعض الأشياء والحاجات بحياتهم اذ تمثل هذه الأشياء قيمة في نفوسهم فهم يضعون الاسماء بشكل دقيق وذات بعد دلالي عميق له قصد كامن في نفوسهم، وإنَّ تسمياتهم لها بعد عقائدي في أحايين كثيرة، وقيل لأحدهم لماذا العرب تسمي ابنأءها بالأسماء المستشنعة وعبيدها بالأسماء المستحسنة: قال إنهم سموا أبناءهم لأعدائهم وعبيدهم لأنفسهم[3].

وعلى وَفق المنظور العربي للتسمية جاءت أسماء (مكة المكرمة) وتعددت بحكم قدسيتها وأثرها البليغ في نفوسهم فهم أطلقوا عليها تسميات كثيرة وأغلبها ذات بعد عقائدي ومدلول خاص يرتبط بحياتهم وظروفهم.

يتناول الباحث في هذا المبحث التسميات القرآنية لمكة وهي البيت والمسجد والبلد.

---

(١) البقرة / ٣١

(٢) المراغي/ تفسير المراغي ، ٧٩/١.

(٣) ظ: ابن دريد الازدي/ الاشتقاق/ ٤

المطلب الاول: ما تعلق بـ (البيت)

البيت لغة: من(بيت) جَمْع البَيْت بُيُوت وأبْيات، والبيت هو المَسْكَنُ والدّارُ، وهو: كُلُّ مالَهُ جِدارٌ وسَقْفٌ، وإن لم يَكُن بِهِ ساكِنٌ. ومِن مَعانِيهِ أيضًا: المَنْزِلُ والقَصْرُ والمَسْجِدُ والكَعْبَةُ والقَبْر، وبَيْتُ اللهِ: الكَعْبَةُ[١].

والباء والياء والتاء أصل واحد ، وهو المأوى والمآب ومجمع الشمل، ومنه يقال لبيت الشعر على التشبيه ، لأنَّه مجمع الألفاظ والحروف والمعاني على شرط مخصوص على وزن. وبيت الأمر اذ دبره ليلاً منه قوله تعالى ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾[٢]، أي: حين يجتمعون في بيوتهم[٣].

يبدو أنَّ أهم معاني البيت اللغوية التي تنطبق مع حالة البيت الحرام هو جمع الشمل. إنّ كل من يريد أن يجمع شمله مع الله تعالى وانشاء علاقه روحية معه فليأت الى البيت الحرام وهو مكان مشخص معلوم وهو ليس مكان مبيت الله عز وجل وإنَّما هو مكان إقامة علاقة روحية مع الله [٤].

ووفق هذا المفهوم فأن وقوف المسلمين بالصلاة بأتجاه المسجد الحرام ما هو الا عملية لم شمل عالمية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[٥]، يفهم من الآية أن للعنكبوت بيتا لا سكناً وهو شبكة تنسجها العنكبوت حول محيطها وهي في مركزها وعن طريق هذه الشبكة تتصل بالعالم الخارجي فهو ليس مكان للمبيت بل للعلاقات مع العالم الخارجي، ومنه قوله تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴾[٦]. ففي هذه البيوت تحدث العلاقة الروحية بين الله

---

(١) ظ: الفراهيدي / العين، ٢/ (مادة: بيت)؛ الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، ٢/ (مادة: بيت)؛ الرازي / مختار الصحاح، ٣٦/١، ابراهيم أنيس وآخرون / المعجم الوسيط ، ١٦٣/١.

(٢) النساء/ ١٠٨.

(٣) ظ: ابن منظور/ لسان العرب، ٢/ (مادة: بيت)، ابن دريد/ جمهرة اللغة، ١/ مادة(بيت).

(٤) ظ: محمد شحرور/ القصص القرآني قراءة معاصرة، ١٠٧/١.

(٥) العنكبوت/٤١.

(٦) النور/٣٤.

تعالى والأنسان ﴿ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴾[١]. أي دخل في علاقة الإيمان معي وليس بالضرورة بيتي[٢].

والبيت العتيق لغة من: عَتُقَ عِتْقاً والقديمُ من كل شيء، والبيت العتيق الكعبة لقدمه، والعتيق هو العبد الذي اعتق أي تحرر[٣]، أن العتيق هو القديم[٤].

والبيت الحرام الكعبة فهي بيت الله[٥]،" فأما البيت الحرام فهو الكَعبة بفتح الكاف"[٦].

وفي القرآن الكريم ورد اسم البيت مرادًا به البيت الحرام عشر مرات موزعًا على ست سور، هي ، هي (البقرة[٧] ، آل عمران[٨] ، المائدة[٩] ، الأنفال[١٠] ، الحج[١١] ، قريش[١٢]) وهي كلها مدنية ما عدا عدا الاخيرة منها مكية.

وعند أهل التحقيق :" فالبيت المطلق في لسان الله ولسان الشرع هو الكعبة "[١٣].

---

(١) نوح/ ٢٨.
(٢) ظ: محمد شحرور/ القصص القرآني قراءة معاصرة، ١/١٠٧– ١٠٨
(٣) ظ: الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة : ١/١٥(مادة: عتق).
(٤) ظ: الفيروزآبادي / القاموس المحيط ، ١/ مادة: بيت.
(٥) ظ: الفراهيدي / العين،١/(مادة بيت) / ابن منظور/ لسان العرب،٢/ مادة: (بيت).
(٦) ابن فارس / تهذيب اللغة،١/ (مادة: بيت).
(٧) ظ: البقرة / ١٢٥، ١٢٧، ١٥٨.
(٨) ظ: آل عمران/ ٩٧.
(٩) ظ: المائدة/ ٢، ٩٧.
(١٠) ظ: الانفال/ ٣٥.
(١١) ظ: الحج/ ٢٦، ٣٣.
(١٢) ظ: قريش/ ٣.
(١٣) حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القران:١/٣٨٩(باب الباء).

المقصد الأول: أول بيت وضع

جاءت لفظة (بيت) في القرآن في مواضع عدة ، ولكنها دلت على البيت الحرام منها: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1]. وللمفسرين أقوال في كونه أول الوضع والبناء:

والبناء:

أولاً: إنهُ أول بيت وضع على وجه الارض مطلقاً، وهذا قول عبد الله بن عمر(ت٧٣هـ) ومجاهد(ت١٠٤هـ) وقتاده(ت١١٨هـ) والسدي(ت١٢٧هـ)[2]، ((... أما(أول بيت)، فإنه يوم كانت الأرض ماء، كان زَبْدَة على الأرض، فلما خلق الله الأرضَ، خلق البيت معها، فهو أول بيت وضع في الأرض... عن قتادة في قوله﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾[3]. قال، أوّل أوّل بيت وَضَعه الله عز وجل، فطاف به آدم وَمنْ بعده))[4].

وروي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال:((أنها كانت مهاة بيضاء يعني درة بيضاء وروى أبو خديجة عنه (عليه السلام) قال: إن الله أنزله لآدم من الجنة و كان درة بيضاء فرفعه الله تعالى إلى السماء وبقي رأسه وهو بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبدا فأمر الله تعالى إبراهيم (عليه السلام) وإسماعيل (عليه السلام) ببنيان البيت على القواعد))[5].

إنَّ الذاهبين إلى هذا المذهب (أول في البناء والوضع) لهم فيه أقوال:((أحدها : روي... عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين عن أبيه عن النبي صلى الله عليه[واله] وسلم قال :" إن الله تعالى بعث ملائكته فقال ابنوا لي في الأرض بيتاً على مثال البيت المعمور وأمر الله تعالى من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور ، وهذا كان قبل خلق آدم ... وثانيها: أن آدم صلوات الله عليه وسلامه لما أهبط إلى الأرض شكا الوحشة ، فأمره الله تعالى ببناء الكعبة وطاف بها، وبقي ذلك إلى زمان نوح عليه السلام ، فلما أرسل الله تعالى

---

(١) آل عمران/ ٩٦.

(٢) ظ: نقل هذا الراي ابن كثير، تفسيره: ٧٧/٢؛ الزمخشري، الكشاف:٢٩٩/١؛ السيوطي في الدر المنثور:٣٨٤/٢.

(٣) ال عمران/٩٦.

(٤) الطبري/ جامع البيان: ٢١/٦.

(٥) الكافي/ الكافي، ٢٦٥/٤، الطبرسي/ مجمع البيان ، ٣١٠/٢.

الطوفان، رفع البيت إلى السماء السابعة حيال الكعبة... ثم بعد الطوفان اندرس موضع الكعبة، وبقي مختفياً إلى أن بعث الله تعالى جبريل صلوات الله عليه إلى إبراهيم عليه السلام ودله على مكان البيت ، وأمره بعمارته))[١].

ثانيًا: إنَّه اول بيت وضع للعبادة ، وعن الإمام عليّ(عليه السلام) أنه قال: قد كان قبله بيوت، ولكنه أوّل بيت وضع للناس، ومن ذهب إلى هذا الرأي من المفسرين يستدلون بقول الإمام عليّ(عليه السلام) وأكثر المفسرينَ عليه[٢].((وعن عليّ[عليه السلام] أن رجلاً قال له: أهو أوّل بيت؟ قال: لا ، قد كان قبله بيوت، ولكنه أوّل بيت وضع للناس مباركاً فيه الهدى والرحمة والبركة))[٣]. وذهب مع هذا الرأي **الطبري**[٤] و**ابن كثير** حيث قال :" والصواب هو قول علي"[٥]، **والطباطبائي** ذهب مع هذا الرأي وقد نقل مارواه ابن شهر اشوب عن الامام علي، وما ورد في الدر المنثور من روايات، قال:" أقول: ورواه أيضا عن ابن جرير عن مطر مثله، والروايات في هذه المعاني كثيرة "[٦].

المستفاد من الروايات أنّ أصل البناء كان في زمن آدم ، و يطابقهما بعض الرّوايات الدّالة على أنّ أوّل البناء كان من آدم ، ثمّ انطمس في زمان نوح فبناه إبراهيم. إنَّ الروايات وأقوال المفسرين أن أول بقعة خلقها الله عز وجل هي موضع البيت ، وإنَّه أول بيت وضع لعبادة الناس ، أي: أن أول بيت وضع لعبادة المكلفين ، قبلة لصلاتهم ، وغاية لحجهم ، ومؤدى لمناسكهم ، هذا البيت الذي ببكة ، وان

---

(١) الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣٠٦/٤.

(٢) ظ: الطبري/ جامع البيان، ١٩/٦، الزمخشري/ الكشاف، ٢٩٩/١، الطوسي/ التبيان، ٥٣٤/٢، الطبرسي/ مجمع البيان، ٣١٠/٢، ابن كثير/ تفسير القران العظيم، ٤٣٢/١، السيوطي/ الدر المنثور، ٢٤٤/١.

(٣) الزمخشري/ الكشاف: ٢٩٩/١، وأورد هذا القول ايضًا الثعلبي/ الكشف البيان: ١٤٢/٣، ابو حيان/ البحر المحيط،٣٢٣/٣، سيد قطب/ في ظلال القران ، ٣٩٩/١.

(٤) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٢١/٦.

(٥) ابن كثير/ تفسير ابن كثير، ٧٧/٢.

(٦) محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٩٤/٣. ونقل السيد الخوئي في (معجمه/ تحت تعليقه ١١٣٣٢): محمّد بن علي بن شهر آشوب المازندراني شيخ هذه الطائفة وفقيهها ... له كتب منها كتاب الرجال ... قاله السيد التفريشي وقال الشيخ الحر ... كان عالماً فاضلاً ثقة . ظ: الخوئي/ معجم رجال الحديث، ٣٥٥/١٧.

كان من قبلة بيوت ليست هذه صفتها[١]، أي: إنَّ بقعة أرض هي أول بقعة خلقها الله عز وجل ومن جهة ثانية أن البيت الحرام هو أول بيت وضع للعبادة .

إنَّ الذي عليه المفسرون هو أنَّ عبادة الله واقامة العبادة واماكنها لم تبدأ في زمن ابراهيم(عليه السلام) بل كانت منذ ان خلق الله البشر ويؤكد هذا المعنى، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٢]، فإبراهيم وإسماعيل قد رفعا قواعد البيت التي كانت موجودة. وفي خطبة للإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام):" أَلاَ تَرَوْنَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ إِخْتَبَرَ الأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ إِلَى الاخَرِينَ مِنْ هذَا الْعَالَم بِأَحْجَار ... فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ ... ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ (عليه السلام) وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ..."[٣]، وهناك قرائن تدل على ذلك منها انَّ تكليف الصلاة كان لكافة الانبياء وكانوا يسجدون ويصلون لله والسجود لا بُدَّ أن تكون له قبلة، فلو كانت قبلة الانبياء الاوائل من آدم إلى ذرية إبراهيم وإسرائيل، غير الكعبة لبطل والعياذ بالله قوله تعالى﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾[٤]، وعليه يجب القول أن قبلة أولئك الأنبياء المتقدمين هي الكعبة في مكة المكرمة، وهذا يدل على أن مكة كانت موجودة قبل زمن ابراهيم عليه السلام[٥].

إذاً يتحصل أن القرائن والروايات تؤيد أن أول من بنى الكعبة هو آدم عليه السلام، ثم رفعت بالطوفان في زمن نوح، واندرس مكانها ثم أعيد بناؤها على يد إبراهيم عليه السلام[٦].

المقصد الثاني: البيت الحرام

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ﴾[٧].

---

(١) ظ: حسين النوري/ مستدرك الوسائل، ١٣٤/٣.
(٢) البقرة / ١٢٧.
(٣) علي بن أبي طالب / نهج البلاغة، شرح د. صبحي صالح ، ٢٩٢ .
(٤) ال عمران / ٩٦.
(٥) ظ: الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣٠٦/٤، محمد هادي الاميني / مكة/ ١٦.
(٦) ظ: ناصر مكارم الشيرازي/ الامثل،٣٨٣/١
(٧) المائدة / ٩٧.

قال المفسرون أن أحد أسماء الكعبة البيت الحرام وهذه التسمية أخذت من القرآن الكريم[١]. وإنَّ الله تعالى قد سمى موضع الكعبة بيتًا فبل أن تبنى :((كَانَ مَوْضِعُ الْكَعْبَةِ قَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْتًا قَبْلَ أَنْ تَكُونَ الْكَعْبَةُ فِي الْأَرْضِ، وَقَدْ بُنِيَ قَبْلَهُ بَيْتٌ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَمَّاهُ بَيْتًا، وَجَعَلَهُ اللَّهُ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ، قِبْلَةً لَهُمْ))[٢].

وفي تسميتها بالكعبة قولان[٣]: الأوَّل: سميت كعبة لتربعها والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة، وهذا قول مجاهد ، الثاني: سميت لانفرادها من البناء، وقال اهل اللغة وأصلها من الخروج والارتفاع وسمي الكعب كعبا لخروجه من القدم، فسميت الكعبة لارتفاعها من الأرض.

وسبب تسميته بالكعبة هو أنَّ البيت الحرام بناء مكعب، ولذلك قيل له الكعبة[٤]، ((وأنهم لم يكونوا يبنون يبنون بنيانًا مربعًا بمكة تعظيمًا للكعبة. وأن أول من بنى بها بيتًا مربعًا، "بديل بن ورقاء" الخزاعي، وهو أول من اتخذ بمكة روشنًا، وكانوا قبل ذلك يتحامون التربيع في البناء كيلا يشبه بناء الكعبة))[٥].

﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾[٦]. يشير القرآن الكريم إلى أهمية (مكّة) وأثرها في بناء حياة المسلمين ، فهذا البيت المقدس رمز وحدة الناس ومركز لتجمع القلوب حوله، ومؤتمر عظيم لتوثيق الرّوابط المختلفة، فهم في ظل هذا البيت المقدس وفي مركزيته ومعنويته المستمدة من جذور تاريخية عميقة يستطيعون إصلاح الكثير ممّا يستوجب الإصلاح والترميم في حياتهم، وإقامة سعادتهم على قواعده المتينة[٧].

---

(١) ظ: الطوسي/ التبيان، ٣١/٤، ابن كثير/ تفسير القران العظيم، ٤١٣/١، جلال الدين السيوطي ، جلال الدين المحلي/ تفسير الجلالين، ٢٥٦/٢، الشوكاني/ فتح القدير، ٣٦١/٢، ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ١١٧/٤ .

(٢) الازرقي/ أخبار مكة، ٧٦/١.

(٣) ظ: الطبرسي/ مجمع البيان، ٣٨٠/٣، القرطبي/ الجامع لاحكام القران: ٣٠٢/٦، السيوطي/ الدر المنثور: ٤١٩/٣، ٤١٩/٣، سيد قطب/ في ظلال القران،٤٣٤/٢.

(٤) ظ: جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٩/١٢.

(٥) المصدر نفسه/ ٨/١٢.

(٦) المائدة / ٩٧.

(٧) ظ: ناصر مكارم الشيرازي / الامثل، ١٥٥/٤-١٥٦.

وإنَّ كعبة مكة هي الكعبة الوحيدة التي بقيت محافظة على اسمها ومقامها حتى اليوم من جميع الكعبات التي كانت منتشرة في جزيرة العرب فقد زالت الكعبات الأُخر واندثرت[١]. فالكعبة كانت بناء مربع والعرب تسمي كل بناء مربع كعبة[٢]. ((ومعنى الكعبة البيت المربع. واللفظ ذو صلة باللفظ الإنجليزي Cube (مكعب). ومن المعتقدات الشائعة أن الكعبة بنيت ثم أعيد بناؤها عشر مرات، فقد بناها في فجر التاريخ ملائكة السماء، وبناها في المرة الثانية آدم أبو البشر، وفي المرة الثالثة ابنه شيث، ثم بناها في المرة الرابعة إبراهيم وإسماعيل ابنه من هاجر .... وهي مقدمة في داخل بناء واسع هو المسجد الحرام))[٣].

المقصد الثالث: البيت العتيق

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾[٤]. جاء في معجم البلدان:" البيت العتيق هو الكعبة وقيل هو اسم من أسماء مكة سمي بذلك لعتقه من الجبارين ، أي لا يتجبرون عنده بل يتذللون ، وقيل: بل لأن جبارا لا يدعيه لنفسه وقد يكون العتيق بمعنى القديم وقد يكون معنى العتيق الكريم وكل شيء كرم وحسن قيل له عتيق "[٥]. وفي تسميته بالعتيق وجوه منها: **الوجه الأول:** وقيل سمي عتيقًا ، أي القديم. لأنَّه أوَّل بيت وضع للناس[٦]. سمي عتيق لقدمه، أي غارق في القدم سابق، وذلك استنادا للآية القرآنية ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٧]، وعند النظر للمعاني اللغوية نجدها تدور حول هذا المعنى: العتيق هو القديم. **والوجه الثاني:** إنَّما سمي بالبيت العتيق ، لأنَّ الله اعتقه من أن يكون ملكاً لأحد من الناس ومن أن يملكه العبيد بصورة عامة ، عن أبي جعفر (عليه السلام) أنَّه سُئل: لِمَ سمي البيت العتيق؟ فقال:" هو بيت حر عتيق من الناس لم يملكه أحد "[٨]، وعن الباقر عليه السلام إنه سئل لم سمي الله البيت العتيق قال: ((هو بيت حر عتيق من الناس لم

---

(١) ظ: جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٥/١٢.

(٢) ظ: فنسنك / موجز دائرة المعارف،٧٩/١.

(٣) ظ: وول ديورانت، قصة الحضارة: ١٨/١٣.

(٤) الحج / ٣٣

(٥) ياقوت الحموي / معجم البلدان، ٥٢١/١.

(٦) ظ: الرازي، مفاتيح الغيب: ١١٥/١١؛ السيوطي: الدر المنثور:١٤٦/٧

(٧) ال عمران / ٩٦.

(٨) الكليني ، الكافي، ٢٦٨/٤ .

لم يملكه أحد))[١]، وهذا القول عليه كثيرًا من المفسرين[٢]. وهنا معنى العتيق هو الحر الذي لا يملكه أحد، أي: أنَّه اعتق من أن يملكه الناس . **والوجه الثالث:** وقيل سمي عتيقاً؛ لأنه أعتق من الغرق[٣]، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنَّه قال:" إن الله عز وجل أغرق الأرض كلها يوم نوح إلا البيت فيومئذ سمي العتيق لأنه أعتق يومئذ من الغرق فقلت له: له أصعد إلى السماء؟ فقال لا لم يصل إليه الماء ورفع عنه "[٤]. وهذا المعنى ربما ينطبق مع حالة الطوفان وغرق الأرض في زمان نوح عليه السلام فرفع فرفع البيت الى سماء الدنيا وبقي مكانه، ومما يحكي أنَّ يستدل به قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾[٥] . وهذا يدل على أَن البيت الحرام رُفِع وبقي مكانُه. **والوجه الرابع:** قيل: سمي عتيقاً لأنه أعتق من أن تصل الجبابرة الى تخريبه[٦]، ((واختلف أهل التأويل في معنى قوله:(العَتِيق) في هذا الموضع، فقال بعضهم: بعضهم: قيل ذلك لبيت الله الحرام، لأن الله أعتقه من الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه وهدمه))[٧]. ونلحظ ونلحظ ان هذا المعنى ينطبق مع حالة أبرهة الحبشي حين أراد هدم الكعبة، وكيف أنَّ الله تعالى دمَّر جيشه.

ويرى الباحث أنَّ جميع الأوجه الأربعة تكاد أن تكون متفقة فيما بينها وفق تسلسل زمني، فالوجه الأول أن التسمية جاءت كونه أوّل بيت وضع لعبادة الله تعالى، ولذلك فهو قديم، قدم الخلق، والوجه الثاني أنَّ الله تعالى قد اعتقه من أن يملكه الناس فجعله حراً لا يملكه أحد، أما الثالث فرفعه إلى السماء الدنيا عند حصول الطوفان حتى لا يغرق، والرابع عتقه من الجبابرة حتى لا يمسوا البيت بسوء. وكلها مقبولة لأنَّها مؤيدة بالتتبع التاريخي للأحداث.

---

(١) الفيض الكاشاني/ تفسير الصافي ، ٣٨٩/٤، وظ: الصدوق/ علل الشرائع ،٣٩٩/٢.

(٢) ظ: السيوطي/ الدر المنثور، ١٤٦/٧، محمد حسين الطباطبائي/ الميزان،٢٠١/١٤.

(٣) ظ: الطوسي، البيان:١٢٩/٧، ابن كثير، تفسيره: ٥١٨/٥.

(٤) الصدوق/ علل الشرائع ،٣٩٩/٢.

(٥) الحج/ ٢٦.

(٦) ظ: القمي/ تفسير القمي،١/٦ ، الحويزي/ نور الثقلين،١٤٥/١، الفيض الكاشاني/ تفسير الصافي،٢١٠/١، السيوطيالدر المنثور،١٤٥/٧، ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ٢٦٦/٩.

(٧) الطبري/ جامع البيان، ٦١٤/١٨.

ذهب كثيرٌ من الباحثين والمستشرقين إلى القول أن مدينة **(مكورابا)** التي ذكرها الجغرافي اليوناني بطليموس انما هي مكة، وان (مكورابا) تعني (البيت) حسب اللغة البابلية واللغة الآرامية الشرقية، او المعبد حسب اللغة العربية الجنوبية(اليمنية)[١]. ((وأما أقدم ذكر للبلد الحرام في النصوص القديمة، فإنما يرجع إلى القرن الثاني الميلادي، إذ يحدثنا الجغرافي اليوناني بطليموس (١٣٨-١٦٥م) عن مدينة دعاها (ماكورابا) (مكربة) (Macoraba)، رأى العلماء أنها مكة المكرمة))[٢]. ومكة هي نفسها مكورابا التي ذكرها بطليموس[٣].

وبعد اطلاع على المدونات اليونانية والرومانية التي تناولت العرب، ان بطليموس أول من أشار من الكتاب الى مكة المكرمة حتى الآن، لأن الباحثين لم يتمكنوا الى يومنا هذا من الحصول على اسم مكة في كتابات المؤرخين قبله، ولكن من المؤكد أنَّ اسم المدينة ووجود مكة قد سبق عصر بطليموس بكثير وإلا كيف وصلت لمسامع هذا الجغرافي لولا شهرتها وقدمها وذيوع صيتها[٤].

بعض المؤرخين والمستشرقين يذكرون أنَّ المراد بقول بطليموس: مكربة هو مكة: مكان الميلاد النبي العربي والتي يُسميها بطليموس (مكربة) ربما لأن مكرب حسب العربية الجنوبية تعني (البيت)،(الهيكل)[٥]، وهناك من يرى أن :" مكربة فاللفظة ليست علما لمكة، إنَّما هي نعت لها كما في بيت المقدس والقدس إذ هما نعت لهما في الأصل ثم صار النعت علما للمدينة "[٦]، أي: إنَّ التسمية مكورابا تعني البيت حسب اللغة الآرامية الشرقية[٧].

وهناك راي يقول التسمية جاءت من مكا في اللغة البابلية أو الآشورية وذهب إلى هذا الرأي بعض المعاصرين إذ قال:" واختلف المؤرخون في أصل مكة، والأرجح عندنا أنه آشوري أو بابلي ، لأن مكا في البابلية تعني (البيت) وهو اسم الكعبة عند العرب، وما يؤيد هذه التسمية أنَّها بابلية لأنَّ العمالقة

---

(١) سيد مظفر الدين نادفي / التاريخ الجغرافي للقران/ ٦٤.
(٢) محمد بيومي مهران / دراسات في تاريخ العرب القديم/ ٣٥١-٣٥٢؛ ظ: فيليب حتي/ تاريخ العرب،١/ ١٤٤.
(٣) ظ: فنسنك/ موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ٥٩٢/٣١.
(٤) جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ٩/٤.
(٥) ظ: بروكلمان/ تاريخ الشعوب الإسلامية/٣١ .
(٦) جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،٩/٤.
(٧) ظ: بروكلمان/ تاريخ الشعوب الاسلامية/ ٣١.

هم من سكنوا مكة أثر هجرتهم من بلاد الرافدين، وسموا المكان بها إشارة إلى امتيازها بالبناء الحجري عن سائر ما يحيط بها من البادية "[١].

ولم يرد اسم مكة في نص الملك نيبوئيد ملك بابل ذلك النص الذي سرد فيه الملك أسماء المواضع التي خضعت لجيشه ووصل هو إليها في الحجاز فكانت يثرب آخر مكان وصل اليه حكمه في العربية الغربية على ما يبدوا النص [٢]، لكن هذا لا يعني أنَّ مكة غير موجودة حينها ولكن ربما الملك البابلي دوَّن فقط الأماكن التي وصل هو اليها ويبدوا أنَّه لم يصل إلى مكة المكرمة ولهذا فلم يدوِّنها في النص.

وهناك من رفض تفسيرات (مكورابا) بأنه البيت أو المعبد أو اسم يدل على مكة فقال((... وفيما ذكره بطليموس عن مكة تحت اسم مكورابا... والواقع ينبغي غض النظر تماماً عن كل هذه المحاولات التي سبق تقديمها... لذلك فإن فكرة مطابقة مكة (مكورابا) التي ذكرها بطلميوس وجدت تأييداً وقبولاً لدى بعضهم وهذه المضاهات قامت على أساس أَّن الأسماء الغامضة متشابهة، وإنَّ الأماكن الغامضة صحيحة، لذلك فان كلمة (مكورابا) يشتق منها (مكة ربة) أي مكة العظيمة، لكن هذه البنية اللغوية خطأ على طول الطريق، ففيها تم استبدال الاسم (مكراب) أو (ميكراب) وهي تعني المعبد، كما أنَّ الجذر اللغوي كرب ليس له معنى قداسة في اللغة العربية، على عكس الحال مع اللغة العربية الجنوبية))[٣].

وإن الاسم الذي يتكون من الحروف الساكنة (مك) لا يمكن ان يكون مشتقاً من الجذع كرب . ويترتب على ذلك ان (بطلميوس) كان يشير الى مدينة مقدسة ولكنها ليست مكة؟ لماذا إذن تمت المطابقة بين الاثنين؟ إنها محاولة من محاولات الإنقاذ التي في غايتها إيجاد ربط بين مكة وما ذكره (بطليموس) لأن لمكة تأثير سحري لبعض عقول المتخصصين ، مثلها محاولة مضاهاة (مكراب) بمكة، فالحقيقة واضحة ان اسم مكورابا ليس له ارتباط بمكة، إضافة ان المكان الذي يشير اليه (بطلميوس) لا يتطابق مع الاثنين. وان كانت (مكوراب) تقع في محيط يتحدث العربية فالاحتمال الأكبر ان يعكس اسمها الشكل العربي وهو (موكارابا) بدلا ان يشتق من كلمة كرب التي تعكس لغة العربية الجنوبية ،

(١) جرجي زيدان/ العرب قبل الإسلام مطبعة الهلال ، ٢٤٤/١.
(٢) ظ: جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام/ ٩/٤.
(٣) باتريشيا كرون/ تجارة مكة وظهور الإسلام، تر آمال الروابي/ ٢٣٥-٢٣٦.

وحتى واذا كانت تقع بين المتحدثين باللغة العربية الجنوبية، فلا يمكن ان تكون إشارة لمكة ، وان كان قدر (لبطلميوس) ان يذكرها فكان يجب ان يذكرها على النحو الاتي وهو (موكة)، وهي مدينة في البتراء العربية[١].

فالمستشرقة كرون تتبنى فكرة أنَّ البيت الحرام أو الكعبة كانت تقع في البتراء، وليس في الحجاز. وترفض تفسيرات مكورابا بأنها البيت الحرام أو المعبد أو أي شيء يدل على مكة. ومن الجدير بالذِّكر أَنَّ هذه شبهة وردت عليها ردودٌ منها:

١) إنَّ بناء الحقائق التاريخية على افتراضات لغوية، يعد من الخطورة وهو لا يستند إلى دليل علمي؛ لأنَّ الافتراض اللغوي قابل لجميع الاحتمالات، وإنَّ الباحثة حاولت بكل جهد الى إفراغ إشارات الكاتب بطلميوس السكندري(١٥٠م)[٢]، أمَّا بالنسبة لـ(موكه)، التي ذكرتها كرون فهي مدينة تقع في البتراء، وهي مدينة داخلية لا مواني‌ء فيها، والبتراء معروفة لدى الرومان باعتبار أنَّهم سيطروا عليها وأصبحت ولاية تابعة لهم بحكم روماني مباشر بعد أن قضوا على مملكة الأنباط فيها، ولهذا فان (بطلميوس) من المؤكد أنَّه يعرف البتراء وقد سمع عنها الكثير، فلا يحتاج ان يقول (مكورابا) بل يذكرها باسمها، ولكن هو حدد (مكورابا) في جزيرة العرب في الجانب الغربي، والبتراء تقع في شمال الجزيرة العربية، وما ذهبت إليه المستشرقة غير صحيح اطلاقاً، لكون الأوصاف لا تنطبق على (موكه)، وكذلك هناك جغرافي يوناني هو (سترابون) زار دولة الأنباط وأقام في عاصمتها البتراء أثناء إعداد الحملة الرومانية على اليمن في عام (٢٨/٢٧ق.م)، حيث أفرد هذا الجغرافي فصلا كاملا عن العرب في كتابه السادس عشر، وقد استهل وصف الحملة الرومانية على بلاد العرب آنذاك بالقول لقد علمتنا حملة أوليوس غاليوس على بلاد العرب أشياء كثيرة، فلم يذكر أنَّ للبتراء اسم آخر هو مكورابا[٣]، نقلًا عن جواد علي[٤]، وآمال الروابي[٥].

---

(١) ظ: باتريشيا كرون/ تجارة مكة وظهور الإسلام/ ٢٣٦

(٢) ظ: امال الروابي/ الرد على تجارة مكة وظهور الاسلام /٢٠

(٣) ظ: Strabo, Vol., 3, PP., 209, O'Leary, Arabia, P., 75 Strabo. BK. 16 Ch. 4. 22

(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ١/٥٨-٥٩ .

(٥) الرد على تجارة مكة وظهور الإسلام: ٢٠-٢١.

٢) إنَّ الادعاء بأنَّ مكورابا ليست مكة ولا تربطها أي صلة بها، هو ادعاء غير صحيح فان هناك إجماعًا في الدراسات الاستشراقية على أنَّ ماكورابا هي مكة ، ذكر هذا الاجماع دكتور موريس، في بحثه (مكة وماكورابا) الذي قدمه الى جامعة ايان، وقد تم تحليل ورقته البحثية بواسطة زكريا محمد علي(١)، منهم **وارند جان فنسك** في دائرة المعارف الإسلامية(٢)، و**تشارلز فورستر** في كتابه الجغرافية التاريخية لبلاد العرب(٣)، والمستشرقة **جاكلين شابي**(٤). وكذلك الادعاء أنَّ مكورابا مشتقة من مكة رابا غير صحيح، وصحة الترجمة هي مكة الرب أو مكة الله، لأنَّ الجذر مك الذي يعني البيت في اللغة البابلية(٥)، ورابه تعني الرب أو الإله في اللغة العربية الجنوبية، أي بيت الله فهي تركيب المضاف والمضاف إليه وليست في صورة اشتقاق لغوي(٦).

٣) أما في قول المستشرقة لماذا لا نجد انعكاسًا للغة في تسمية مكة بـ(مكورابا)، فهذا ادعاء لا يصمد أيضًا أمام الأدلة ومنها أنَّ كثيرًا من البلدان القديمة والقرى لا تعكس لغة سكانها ولا قومها مثلا مصر هي اسم سامي تعني الحد الفاصل بين أرضين، وفي اللغات الأوربية نجد اسمها (ايجبتوس) باللغة اليونانية بمعنى الأرض السوداء(٧)، وجاء في القرآن الكريم اللفظ باسم مصر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾(٨)، فإن اسم مصر يرجع إلى أصل سامي في اللغة العربية، وأصل يوناني في اللغة الأوربية، فها معنى ذلك أنَّ المصريين القدماء كانوا يتحدثون

---

(١) ظ : https://al-akhbar.com/Kalimat/295551 . تم الأطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢٢/١٠/١٩م .

(٢) ظ: أرند جان فنسك / دائرة المعارف الإسلامية، ٥٩٢/٣١

(٣) Charles Forster" The Historical Geography of Arabia: Or, The Patriarchal Evidences of Revealed Religion",P.265 نقلا من https://nilemessage.blogspot.com/2020/10/blog-post_518.html تم الأطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢٢/١٠/١٩م .

(٤) Encyclopedia of the Middle Ages, Jacqueline Chabbi,2/931. نقلا: https://nilemessage.blogspot.com/2020/10/blog-post_518.html تم الأطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢٢/١٠/٢٢م .

(٥) ظ: جرجي زيدان/ العرب قبل الإسلام ،٢٤٤/١ .

(٦) ظ: بروكلمان / تاريخ الشعوب الإسلامية/٣١، محمد بيومي مهران/ دراسات في تاريخ العرب/٣٥٠. آمال الروابي / / الرد على تجارة مكة وظهور الإسلام /٢٦ .

(٧) ظ: محمد بيومي مهران / مصر والشرق الأدنى القديم، الإسكندرية، ١٩٨٨م ، ٢/١.

(٨) يوسف / ٩٩ .

لغة سامية، أو اللغة الأغريقية في العصر الفرعوني بالتأكيد لا لأنَّ في عصر الفراعنة لم يبدأ الأغريق بعد صفحاتهم في التاريخ، وكذلك وجدت مدينة اسمها طيبة في غرب اليونان في العصور القديمة، كيف سميت بهذا الاسم فهل قامت مصر بتأسيسها وأطلقت عليها اسم طيبة، وبناءً على ذلك فإنَّه من الصعب إيجاد تفسير دقيق لأسماء الأماكن في العصور القديمة أو إلحاقها بلغة معينة(١).

٤) واذا كانت (مكورابا) مشتقة من اللغة العربية الجنوبية، والتي تعني (المعبد) فهذا لا ينزع عنها دلالتها على مكة المكرمة، بل أنَّ هذا الأمر يعزز الأدلة بان (مكورابا) هي مكة وذلك لكون أول من سكن مكة المكرمة هم أقوام يرجع اصلهم إلى جنوب الجزيرة العربية، " ولا أستبعد أن يكون سكان مكة القدامى هم من أصل يماني في القديم، فقد أسس أهل اليمن مستوطنات على الطريق الممتد من اليمن إلى أعالي الحجاز، حيث حكموا أعالي الحجاز وذلك قبل الميلاد. وقد سبق أن تحدثت عن ذلك في الجزء الثاني من هذا الكتاب، فلا يستبعد أن تكون مكة إحداها، ثم انضم إليهم العرب العدنانيون، ولأهل الأخبار روايات تؤيد هذا الرأي "(٢). وقد أورد الاخباريون أنَّ أول من سكن مكة هم قوم من العربية الجنوبية باسم قبيلة جرهم وقد سكنوا جنبا إلى جنب إسماعيل وأمه هاجر، حيث استقرت هذه القبيلة في مكة المكرمة عند تفجر بئر زمزم فيها، حتى أنَّ إسماعيل (عليه السلام) قد تزوج منهم على رواية الاخباريين(٣)، وأنَّ قولها: إنَّ الأسماء الغامضة متشابهة، والأماكن الغامضة صحيحة قول غير علمي كما تصفه الدكتورة آمال الروابي في تعليقها في حاشية الكتاب ؛ لأنَّ ذلك لا يستند على أسس علمية(٤).

يرى الباحث أنَّ ما ذهبت اليه المستشرقة كرون من رفضها لتفسيرات مكورابا التي ذكرها بطليموس لا يستند إلى ادلة علمية وإنَّ أغلب التفسيرات ترى أنَّ مكورابا تعني البيت أو الهيكل في اللغة البابلية وهي صفة أطلقت على مكة آنذاك.

---

(١) ظ: آمال الروابي/ الرد على تجارة مكة وظهور الإسلام/٢٨، محمد بيومي مهران/ دراسات في تاريخ العرب القديم،/١٩٢

(٢) جواد علي / المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٢/٧

(٣) ظ: االازرقي/ أخبار مكة،٦٣/١، الطبري/ تاريخ الطبري،١٥٥/١، ابن الاثير/ الكامل في التاريخ،٣٦/١

(٤) ظ: باتريشيا كرون، تجارة مكة وظهور الإسلام/٢٣٧ .

المطلب الثاني: ما تعلَّقَ بـ(المسجد)

المسجد في اللغة: مأخوذ من الفعل(سجد) على وزن فَعَلَ[١]، " وأما المسجد فإنه اسم للبيت، ولستَ تريد به موضع السجود وموضع جبهتك، لو أردت ذلك لقلت مسجدٌ "[٢]. وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي قال:" مَسْجَدٌ بفتح الجيم: محراب البيوت، ومُصلّى الجماعات: مَسْجِدٌ بكسر الجيم، والمَسَاجِدُ: جمعها "[٣]. وإن أول مسجد وضع على الأرض المسجد الحرام[٤].

اصطلاحاً: المسجد كل موضع في الأرض وذلك ما جاء في كتب الحديث قول للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) " جعلت لي الأرض طهورا ومسجدا "، وان العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلاة، والمسجد الحرام يراد به الكعبة ويراد به المسجد حولها ومعها وقد يراد به مكة كلها مع الحرم وسمي الحرام لأنه لا يحل انتهاكه[٥].

وقد عزا بعض الباحثين لفظ (مسجدٍ) إلى لغة الأنباط الذين فسدت لغتهم العربية وكانت سلفا للعامية المولدة بعد انتشار الإسلام[٦].

إنَّ حدود المسجد قبل الاسلام لم تكن معروفة وقد وسع مرات عدة بعد مجيء الإسلام ((وأما الحرم الذي أحاط بالكعبة فقد عرف بـ(المسجد) وبـ(المسجد الحرام) وبـ(الحرم). ولا نعرف حدوده في الجاهلية على وجه واضح معلوم... فلما استخلف "عمر" وكثر الناس، وسع المسجد، واشترى دورًا هدمها وزادها فيه، واتخذ للمسجد جداراً قصيرا دون القامة... وسَّع المسجد "عثمان" ومن جاء بعده، ثم صار كل من ولي من الخلفاء والسلاطين يزيد في اتساع الحي، حتى صار على ما هو عليه الآن))[٧].

---

(١) ظ: ابن منظور/ لسان العرب، ٢٠٤/٣، الزمخشري/ اساس البلاغه ،٢٠٩/١.

(٢) سيبوية/ الكتاب، ٢٥٤/١.

(٣) الازهري / تهذيب اللغة، ٤٥٦/٣.

(٤) ظ: الصاحب بن عباد/ المحيط في اللغة، ٨٨/٢.

(٥) مسلم/ صحيح مسلم، ٣٧١/١، ظ: الموسوعة الفقهية الكويتية/ صادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، ٢٣٥/٣٧.

(٦) ظ: عبد القدوس الانصاري، التاريخ المفصل للكعبة المشرفة /١٨ .

(٧) جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ٤٦/٧.

وفي تسميته بالمسجد قالوا:((ولُقب بالمسجد لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام جعله لإقامة الصلاة في الكعبة كما حكى الله عنه ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[1] ولما انقرضت الحنيفية وترك أهل الجاهلية الصلاة تناسوا وصفهُ بالمسجد الحرام فصاروا يقولون: البيت الحرام. وأما قول عمر: إني نذرت في الجاهلية أن اعتكف ليلة في المسجد الحرام، فإنه عبَّر عنه باسمه في الإسلام))[2]. ولُوحظ ابن عاشور ينسب تسمية البيت الحرام بالمسجد إلى الإسلام.

وورد ذكر المسجد والمساجد والمسجد الحرام في القرآن الكريم (بلفظها) (٢٨) مرة في سورة البقرة[3]، والمائدة[4]، والأنفال[5]، والتوبة[6]، والاسراء[7]، والفتح[8] . من بين الآيات التي تنطوي على على ذكر المسجد الحرام ثمة مالا يختص بالمسجد الحرام نفسه وإنَّما يمكن أنَّ يكون مصداقا للحرم او لمكة وذلك اضحى تفسير المسجد الحرام بالحرم ومكة باعثاً للبعض أن يعد المسجد الحرام اسما في عداد أسماء مكة [9].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۗ ﴾ [10]. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [11]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحًا قَرِيبًا ﴾[12].

---

(١) ابراهيم/ ٣٧.
(٢) ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ١٧٢/٨>
(٣) ظ: البقرة / ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٩٦، ٢١٧.
(٤) ظ: المائدة /٢.
(٥) ظ: الانفال /٣٤.
(٦) ظ: التوبة /٧، ١٩، ٢٨.
(٧) ظ: الاسراء /١.
(٨) ظ: الفتح /٢٥.
(٩) ظ: محمد هادي الاميني/ مكة / ١٩.
(١٠) البقرة /١٩٦.
(١١) البقرة /١٩١.
(١٢) الفتح /٢٧

ذهب أبرز المفسرين أنَّ المقصود بالمسجد الحرام في الآيات الثلاث لا يختص بالمسجد الحرام نفسه إنَّما جاءت بصيغة التعبير من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل[١].

ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ، أي: ليس لأهل مكة ومن يجري مجراهم وإنما هو لمن لم يكن من حاضري مكة وهو من يكون بينه وبينها أكثر من اثني عشر ميلا من كل جانب [٢]. [٢].

وفي ما كتبه الرضا (عليه السلام) للمأمون في أحكام الحج ((ولا يجوز القران والافراد الذى يستعمله العامة الا لأهل مكة وحاضريها))[٣].

عن زرارة بن أعين قال:" سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله ذلك لمن يكن أهله حاضري المسجد الحرام، قال: هو لأهل مكة ليست لهم متعة ولا عليهم عمرة قلت: وما حد ذلك ؟ قال : ثمانية وأربعين ميلا من نواحي مكة "[٤].

وأختلف في تحديد حاضري المسجد الحرام بين بين علماء أهل السنة ((فقال مالك: ما اتصل بمكة ذلك من ذي طوى وهو على أميال قليلة من مكة. وقال الشافعي: من كان من مكة على مسافة القصر ونسبه ابن حبيب إلى مالك وغلطه شيوخ المذهب. وقال عطاء: حاضرو المسجد الحرام أهل مكة وأهل عرفة، ومَر، وعُرنة ، وضجنان، والرجيع، وقال الزهري : أهل مكة ومن كان على مسافة يوم أو نحوه ، وقال ابن زيد: أهل مكة ، وذي طوى ، وفج ، وما يلي ذلك ... وقال أبو حنيفة: هم من كانوا داخل المواقيت سواء كانوا مكيين أو غيرهم ساكني الحرم أو الحل))[٥]. والرازي في معرض تفسيره للآية:﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[٦]. فقال ((... وحاضر المسجد الحرام من كان أهله

---

(١) ظ: الطبري/ جامع البيان،٧/٢٢، الطوسي/ التبيان: ١٨٩/٩، الرازي/ مفاتيح الغيب، ١٧٥/٣، ابن جزي/ التسهيل لعلوم التنزيل ، ١٣٨/١، ابن كثير/ تفسير القران العظيم، ٥٣٠/١، السيوطي/ الدر المنثور، ٤٣٢/١، محمد حسين الطباطبائي/ الميزان ، ٤٣/٢.

(٢) ظ: الطبرسي/ مجمع البيان ، ٣٢/٢.

(٣) الحويزي/ نور الثقلين، ٢٠٣/١.

(٤) الصدوق/ من لا يحضره الفقيه، ٣١٢، العياشي/ تفسير العياشي ، ١٠١/١.

(٥) ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ١٩٤/٢.

(٦) البقرة /١٩٦.

على مسافة أقل من مسافة القصر، فإن كان على مسافة القصر فليس من الحاضرين، وهذه المسافة تعتبر من مكة أو من الحرم))[١].

من العرض السابق لآراء العلماء يتحصل ان منطقة الحرم هي كلها مسجد ولهذا فحدود المسجد الحرام هي حدود الحرم وقد حددها العلماء بـ(اثني عشر) ميلا من كل جانب من جانبي الكعبة. في حين ذهب آخرون أنَّ المسجد هي مكة بأكملها.

وفي خصوص حاضري المسجد الحرام ذهب المفسرون إلى أقوال[٢]: **القول الأول:** انهم على مسافة أكثر من اثني عشر ميلا او على المسافة التي لا يقصر فيها الصلاة. **القول الثاني:** انهم اهل الحرم وذهب الى هذا القول ابن عباس وقتاده . **القول الثالث:** انهم بين مكة والمواقيت. **القول الرابع:** انهم اهل الحرم ومن قرب منزله منهم كعرفات.

وحين جاء الخطاب الإلهي بعدم مقاتلة المشركين عند المسجد الحرام والمعلوم أنَّ المشركين كانوا داخل مكة بأكملها وليس المسجد فقط، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٣]. ذهب كثيرٌ من المفسرين إلى أنَّ المراد بقوله تعالى ﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[٤]، يقصد منطقة الحرم التي حرمها الله وحاضرة مكة من ضمنها، لكون حاضرة مكة كانت تقع ضمن منطقة الحرم[٥].

---

(١) الرازي، مفاتيح الغيب: ١٦٩/٣.

(٢) ظ: ابن عطية/ المحرر الوجيز، ٢١٧/١ ، الماوردي/ النكت والعيون، ١٤١/١، أبو حيان/ البحر المحيط، ٤٤٦/٢، الثعالبي/ الجواهر الحسان ، ١١٢/١، الشنقيطي/ أضواء البيان ، ١٤٤/٥، محمد حسين الطباطبائي/ الميزان،٤٤/٢.

(٣) البقرة / ١٩١.

(٤) البقرة / ١٩١.

(٥) ظ: الطبري / جامع البيان ، ٥٦٦/٣، الماوردي/ النكت والعيون: ٩٣/٦، الطبرسي/ مجمع البيان، ٢٤/٢، الرازي/ مفاتيح الغيب ، ٣٣٥/٢، ابن كثير/ تفسير القران العظيم،٥٢٥/١، السيوطي/ الدر المنثور، ٩/٥، ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ٤٧٢/١، ناصر مكارم الشيرازي / الأمثل، ٢٣/٢.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (١).

في تفسير هذه الآية ذهب بعض المفسرين الى القول ان المراد بها دخول مكة وقد تحقق ذلك في العام الثامن للهجرة(٢).

هناك رأي جدير بالاهتمام قاله بعض المعاصرين :((ولمّا كانت أرض مكّة تستوعب منطقة واسعة (حولي ٤٨ ميلا) فقد عُدّت المنطقة كلها جزءاً من المسجد الحرام، كما نقرأ عن ذلك في الآية (١٩٦) من سورة البقرة، إذ تذكر موضوع حج التمتع وأحكامه فتقول: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾(٣). والمعروف عند الفقهاء وفتاواهم أن أحكام حج التمتع إنما تجب على من تبعد داره أو دار أهله أكثر من ٤٨ ميلا عن مكّة. فبناءً على ذلك لا مانع أبداً من أن يطلق على الحديبية، التي تبعد ١٥ ميلا عن مكّة، تعبير: عند المسجد الحرام))(٤).

إنَّ مكة جزء من المسجد الحرام وهو رأي يراه الباحث مقبولا لكون أحد أهم شروط العلماء في تحديد حدود المسجد ، هو اثنا عشر ميلاً من كل جانب فيكون مجموعها ثمان وأربعين ميلاً ، وهذه منطقة واسعهُ وتستوعب حاضرة مكة المكرمة بأكملها، وبناءً على هذه المعطيات يتحصل أنَّ المسجد الحرام أحد مسميات مكة المكرمة التي وردت في القرآن الكريم.

وذهب بعض المفسرين الى القول ان اسم المسجد الحرام من الألقاب القرآنية، حيث لم يكن يعرف بالمسجد في زمن الجاهلية بل يعرف بالبيت الحرام أو الحرم، وذلك أنَّ الجاهليين لم تكن لهم صلاة ذات سجود(٥).

---

(١) الفتح / ٢٧.

(٢) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٥٨/٢٢ ، المكي الفاسي/ شفاء الغرام،٧١/١، ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٩٥/٦، ابن عجيبه/ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، ١٧٠/٢

(٣) البقرة /١٩٦.

(٤) ناصر مكارم الشيرازي / الأمثل ، ٥٤٢/٥.

(٥) ظ: ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ٢٥/٢.

أطلق القرآن الكريم اسم المسجد في قصة أصحاب الكهف في قوله تعالى﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾[1][2]. والثاني في قوله تعالى﴿ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾[3]. والكلام موجه إلى بني إسرائيل وليدخلوا المسجد أي: بيت المقدس ونواحيه فكني بالمسجد وهو المسجد الأقصى عن البلد كما كنى بالمسجد الحرام عن الحرم ومعناه وليستولوا على البلد لأنه لا يمكنهم دخول المسجد إلا بعد الاستيلاء[4]. يلحظ من قول الطبرسي ان استخدم لفظ المسجد إشارة الى البلد وليس للمسجد نفسه. يتحصل ان لفظة المسجد قد استعملت قبل الإسلام ولم تكن لفظاً إسلاميا صرفا كما ذهب اليه الطاهر بن عاشور. في الجانب الاستشراقي نرى اغلب المستشرقين لا يفرقون بين الكعبة والمسجد فهي عندهم بمعنى واحد.

أطلق كاتب مادة بني شيبه في دائرة المعارف الإسلامية على المنطقة المحيطة بالكعبة الى بئر زمزم اسم المسجد الحرام، وكان قد حدد المسجد القديم يمتد إلى جوار بئر زمزم، هذا المنطقة يطلق عليها المسجد وكان سلطان بني شيبه لا يتعداها وهم سدنة الكعبة، ولكنه نفسه لم يوضح لماذا سمي مسجداً في العصر الجاهلي[5]. ونقد عند غيره ان لفظ المسجد الحرام يقصد به مكة وأهله هم قريش[6].

قريش[6].

يرى الباحث ان لفظة المسجد استعملت قبل الإسلام من قبل العرب ولكن إطلاقه على ما يسمى به حالياً لم يكن يستعمل قبل الإسلام.

المطلب الثالث: ما تعلق بالبلد

أوَّلاً :- البلد

(١) الكهف/ ٢١.
(٢) ظ: الطوسي/ التبيان، ٢٣/٧.
(٣) الإسراء/ ٧.
(٤) ظ: الطبرسي/ مجمع البيان، ١٩٩/٦.
(٥) ظ: خورشيد/ موجز دائرة المعارف، ٣٥٧/٢٠-٣٦٣(مادة بنو شيبه).
(٦) ظ: كارين آرمسترونج / سيرة النبي محمد/ ٢٥٨.

البلد لغة: (الْبَلَدُ) وَ(الْبَلْدَةُ) يذكر ويؤنث، وَالْجَمْعُ (بِلَادٌ) وَ(بُلْدَانٌ) والبلد والبلدة يطلق على كل موضع من الأرض عامراً كان او خلاء،((البَلَدُ: كلُّ موضعٍ مُسْتَحيزٍ من الأرض، عامرٍ أو غيرِ عامرٍ، خالٍ أو مَسكون، والطائفة منه بَلْدةٌ، والجميع البِلاد "[١]. ويضاف له:((البَلَدُ جنسُ المكان كالعراق والشام والبَلدةُ الجزءُ المخصَّصُ منه كالبصرة ودمَشق والبلدُ مكةُ تفخيماً))[٢].

والبلد: المكان المختطّ المحدود المتأنّس باجتماع قطّانه و إقامتهم فيه، وسمّيت المفازة بلدا لكونها موطن الوحشيّات، والمقبرة بلدا لكونها موطنا للأموات، والبَلْدَةُ: البلجة ما بين الحاجبين تشبيها بالبلد لتحدّده، وسمّيت الكركرة بلدة لذلك، وربّما استعير ذلك لصدر الإنسان، ولإعتبار الأثر قيل بجلده بلد أى أثر، وجمعه أبلاد . وبَلَدَ: لزم البلد ولمّا كان اللازم لموطنه كثيرا ما يتحيّر إذا حصل في غير موطنه قيل للمتحيّر بلد في أمره وأبلد وتبلّد، ولكثرة وجود البلادة فيمن كان جلف البدن قيل رجل أبلد عبارة عن العظيم الخلق [٣]. وعليه فالبلد هنا جاء بمعانٍ كثيرة منها الأرض المحدودة .

وكلمة بلد تقسم معانيها وفق معطيات قرآنية:((إنَّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو قطعة محدودة من الأرض مطلقا عامرة أو غيرها. وإطلاقه على المدينة باعتبار أنّها قطعة محدودة عامرة مسكونة، والصيغ المشتقّة منها انتزاعية. فقولهم بلد بالكسر: بمعنى لصق بالأرض ولزمها ، وهذا باعتبار الكسرة. وقولهم بلد بالضمّ فهو بليد: ينتزع من مفهوم البلد، فيطلق على من انحطّ فكره وتنزّل مقامه في مقابل الفطنة والذكاء، فكأنّه صار كالأرض المدحوّة الساقطة الدانية... ويدلّ على هذا الأصل، الإطلاق في الآيات الكريمة هذه قال تعالى ﴿ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ﴾[٤]. ﴿وَالْبَلَدُ ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾[٥]. فانّ توصيف البلد بالموات والحياة وإحياءه وإماتته وإسقاءه وإخراج النبات عنه : يدلّ على أنّ المراد به الأراضي المزروعة والحدائق ذوات الأشجار، لا المدائن المسكونة))[٦].

---

(١) الفراهيدي/ العين، ١١٩/٢.

(٢) ابن منظور/ لسان العرب، ٩٣/٣.

(٣) ظ: الراغب الاصفهاني/ المفردات في غريب القران/ ١٤٣.

(٤) الأعراف / ٥٧.

(٥) الأعراف / ٥٨.

(٦) المصطفوي/ التحقيق في كلمات القران، ٣٢٨/١.

وأمَّا اطلاق البلد على المدينة فيحتاج الى قرينة، كونه من مصاديقه الخاصة، قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ، وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَد ﴾[١]. ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾[٢]. ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾[٣]. ﴿ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ ﴾[٤]. فأسماء الإشارة في هذه الموارد تعيّن المفهوم. فإذا لم تكن قرينة مقاليّة أو مقاميّة فيحمل على الإطلاق.﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴾[٥]، ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾[٦] [٧]. اذاً لفظ البلد اذا اريد به قصد مدينة فهو يحتاج الى قرينة مثل اسم الإشارة حتى تحدد المفهوم.

وفي أدعية إبراهيم(عليه السلام) لأهل مكة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[٨] على التنكير. وفي قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[٩] على التعريف . قال المفسرون ان ذلك يحتمل وجوه: **الأول:** قوله (بلداً) بالتنكير ان دعوة ابراهيم وقعت ولم يكن المكان قد جعل بلداً أي انها كانت عند اسكانه هاجر واسماعيل في مكة، فدعي ان اجعل هذا الوادي بلداً آمنا لأنه اسكن من ذريته فيه والآمن احد اهم أسباب الاقامة في الاماكن والسكن فيها[١٠]. **الثاني:** قوله (البلد) بالتعريف ان الدعوة وقعت بعد ان جعلت مكة بلداً، بعد ان نبع بئر زمزم واصبحت مكة وادي ينعم بالحياة لوجود الماء فيه فأخذت القوافل المارة تقيم فيه وكذلك قبيلة جرهم سكنت في جواره مع اسماعيل وهاجر، والدعوة كانت كأنه قال اجعل هذا المكان الذي صيرته بلد ذا آمن

---

(١) البلد / ١ ، ٢.
(٢) التين/٣.
(٣) إبراهيم/٣٥.
(٤) النمل / ٩١.
(٥) الفجر / ١١.
(٦) الفجر/٨.
(٧) ظ: المصطفوي/ التحقيق في كلمات القران، ٣٢٩/١.
(٨) البقرة / ١٢٦.
(٩) إبراهيم/ ٣٥.
(١٠) ظ: الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣٤٤/٢، ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ٤٧٦/١، محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٦٢/١.

وسلامة[١]. **الثالث:** ان الدعوتان وقعتا وقد اصبحت مكة بلد ذا اهل وقد حملوا قوله (اجعل هذا بلداً آمنا) علة تقدير اجعل هذا البلد بلداً آمنا كقولك كان اليوم يوماً حاراً وهذا للمبالغة على وصفه بالحرارة لان التنكير يدل على المبالغة، فقوله (بلداً امنا) أي اجعله من البلدان الكاملة في الآمن، وقوله (البلد آمنا) فهو طلب الآمن لا طلب المبالغة[٢]. وذهب صاحب الميزان ان الدعائين كانا في زمانين مختلفين وما يؤيد ذلك هو ان الدعاء في قوله (بلداً) كان لأهل البلد بالرزق فأن مكة صحراء في وادي قاحل ولهذا طلبَ لهم الآمن والرزق، وفي الثاني قوله (البلد) دعاء لذريته خاصة مع امور أخرى منها تجنب عبادة الاصنام أي دعا به بعد ان عاد من فلسطين ووجد مكة بلد ذا اهل فدعا لهم[٣].

من أسماء مكة المكرمة البلد الامين وجاء ذكره في القرآن الكريم في (سورة التين)، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴾[٤]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾[٥]. قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد: يعني بالبلد مكة[٦]. والبلد الامين: مكة المكرمة المكرمة بلا خلاف[٧]، وهذا ما ذهب اليه المفسرون.

إمَّا سبب التسمية فقالوا يأمن فيها الخائف، في الجاهلية والإسلام، فالأمين يعني المؤمن من يدخله وقيل بمعنى الأمن ويؤيده قوله إنا جعلنا حرما آمنا [٨]. وقيل:((الآمن أهله من سبي أو قتل؛ لأن

(١) ظ: الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣٤٤/٢، محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ٢٤/١٢، ناصر مكارم الشيرازي / الأمثل، ٥٢٣/٧.

(٢) ظ: الرازي / مفاتيح الغيب ، ٣٤٤/٢، الالوسي / روح المعاني ، ٣/٢.

(٣) ظ: محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ٢٤/١٢

(٤) التين/٣.

(٥) إبراهيم/ ٣٥.

(٦) ظ: الطبري / جامع البيان،٥٠٥/٢٤، الطوسي/ التبيان ،٣٣٨/١٠، محمد حسين الطباطبائي/ الميزان،١٨٠/٢٠، ناصر مكارم الشيرازي / الامثل ،٣٥٠/٢٠.

(٧) ظ: ابو حيان الاندلسي/ البحر المحيط ،٤٩٨/١٠، الثعلبي/ الكشف والبيان،١٥٣/١٤، السيوطي/ الدر المنثور،٢٣٩/١٠، الحويزي/ نور الثقلين ،١٤٣/١٠، الشنقيطي/ اضواء البيان في تفسير القران،٢٢٦/٩.

(٨) ظ: الطبرسي، مجمع البيان:٣٥٠/١٠.

لأن العرب كانت تكف عنه في الجاهلية أن تسبي فيه أحداً أو تسفك فيه دما))[١]. وقيل: أن الله تعالى حفظه عن الفيل حين هاجم الكعبة[٢].

نستنتج مما سبق أن البلد الأمين يقصد به مكة المكرمة وهذا ما أجمع عليه المفسرون ، وتؤيده شواهد كثيرة منها فيما حكاه عن إبراهيم (عليه السلام)، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾[٣].

ثانيًا:- البلدة

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[٤]. وقوله تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾[٥].

البلدة يراد بها مكة[٦]، والبلدة التي جاء ذكرها في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ﴾[٧] ﴿ ٱلْبَلْدَةِ ﴾[٧] هي مكة[٨].

إنَّ الله تعالى اختص مكة دون غيرها من سائر البلاد بإضافة أسمه اليها((لأنها أحب بلاده إليه وأكرمها عليه وأشار إليها إشارة تعظيم لها دالاً على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه))[٩]، وفي تشريفها

(١) الماوردي / النكت والعيون، ٤/٤٣٤.
(٢) ظ: الرازي/ مفاتيح الغيب، ١٧/٩٧.
(٣) البقرة/ ١٢٦.
(٤) النمل/ ٩١.
(٥) سبأ/ ١٥.
(٦) ظ: ياقوت الحموي/ معجم البلدان، ١/٤٣٨.
(٧) النمل/٩١.
(٨) ظ: الطبري/ جامع البيان، ١٩/ ٥١٠.
(٩) الرازي/ مفاتيح الغيب، ١٢/٥٧.

وجهين:((إضافة الرب إليها، وتوصيفها بالحرمة حيث قال: رب هذه البلدة الذي حرمها))[١]. وهذا عليه أكثر المفسرين[٢].

وهناك من يرى ان المقصود بالبلدة هي منى، قَالَ سُفْيَانُ الثوري(١٢٦هـ) :((﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ﴾[٣] قَالَ: هِيَ مِنًى . وَلِذَلِكَ الْعَرَبُ تُسَمِّيهَا الْبَلْدَةُ إِلَى الْيَوْمِ))[٤]، وهناك من يرى انَّ فيها فيها قولين: الأول هي مكة، قاله ابن عباس(ت٦٨هـ)، والثاني هي منى، قاله أبو العالية(ت٩٣هـ)[٥].

وعند مراجعة أقوال المفسرين نجد أن أكثرهم ذهب إلى أنَّ البلدة هي إحدى أسماء مكة المكرمة التي أُخذت من القرآن الكريم.

ثالثاً:- أُمُّ الْقُرَى

أُمُّ الشي: أصلُهُ، ومَكَّة: أُمُّ القُرى، والأُمُّ: الوالدةُ، والجمع أُمَّاتٌ [٦]. وأضاف صاحب مختار الصحاح في ذلك فقال:((وأَصْل الأمّ أَمَّهَةٌ ولذلك تُجْمعُ على أُمَّهات وقيل الأُمَّهات للناس والأُمَّاتِ للبهائم))[٧]. يتحصل أنَّ الأم تعني اصل الشيء وبدايته .

إنّ كلمة (أُمّ القرى) وهي من أسماء مكة المكرمة تتكون من كلمتين: الاولى:(أُمّ) وتعني في الأصل الأساس والبداية في كلّ شيء، ولهذا السبب تسمى الأُمّ بهذا الأسم لأنّها أساس وأصل الأبناء. والثانية: كلمة (قرى) جمع (قرية) بمعنى أي منطقة معمورة أو مدينة، سواء كانت المدينة كبيرة أم صغيرة، أو مجرّد قرية[٨].

---

(١) محمد حسين الطباطبائي/ الميزان،٢٠٨/١٥.

(٢) ظ: ابن عطيه/ المحرر الوجيز،١٨٠/٥ ، ابن كثير/ تفسير القران العظيم، ٤٩٢/٨، البغوي/ معالم التنزيل،١٨٤/٦، التنزيل،١٨٤/٦، ابن عاشور/ التحرير والتنوير،٣٤١/١٠.

(٣) النمل/٩١.

(٤) الفاكهي/ أخبار مكة ، ٢١٩/٤.

(٥) ظ: الماوردي / النكت والعيون، ٢٦٣/٣، الطبرسي/ مجمع البيان،٣٧٠/٧، السيوطي/ الدر المنثور، ٤٦٧/٧، الطوسي/ التبيان، ١١٧/٨.

(٦) ظ: الجوهري/ الصحاح في اللغة:١/ (مادة: اسم).

(٧) الصاحب بن عباد، مختار الصحاح: ١٥/١.

(٨) ظ: ناصر مكارم الشيرازي / الامثل، ٤٦٨/١٥.

جاء في القران الكريم اسم أُمّ القرى مرتين في سورة الشورى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾[1]. وفي سورة الانعام :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾[2].

ذهب كثيرٌ من المفسرين أنَّ (أُمُّ الْقُرَى) هي مكة المكرمة. ((... أَسْمَاءَ مَكَّةَ: مَكَّةُ، وَبَكَّةُ، وَأُمُّ رَحِمٍ، وَأُمُّ الْقُرَى...))[3]. أم القرى، هي مكة ومن حولها، الأرض كلها[4]، وهذا عليه جمهور المفسرين[5].

المفسرين[5].

وقد اختلف العلماء في سبب تسمية مكة المكرمة بـ(ام القرى)، على أقوال منها **الاول:** لان الارض دحيت منها فصارت امًّا لها، أو لأن الأرض دحيت من تحتها[6]، روي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الشأن أنه قال:((دحيت الأرض من مكة ولذلك سميت أُم القرى قال: دفن نوح وهود وصالح وشعيب بين زمزم والمقام وقال قوم: انها الارض المعروفة وهو الظاهر))[7]، قيل إن مكة سميت (أمّ القُرى):((لتقدُّمها أمامَ جميعِها، وجَمْعِها ما سواها. وقيل: إنما سُميت بذلك، لأن الأرض

---

(١) الشورى/ ٧.

(٢) الأنعام/ ٩٢.

(٣) الازرقي/ أخبار مكة،٢٨٢/١.

(٤) ظ: الطبري/ جامع البيان ، ٥٣١/١١.

(٥) ظ: تفسير ابن ابي حاتم: ٣١٩/٥ ، القمي/ تفسير القمي،١٨/١٠، الثعلبي، الكشف والبيان: ٤٧/١، ابن عطيه الاندلسي/ المحرر الوجيز، ٤٤٤/٢، الماوردي/ النكت والعيون ، ٤٢٢/١، الطوسي/ التبيان ،٢١/١، الزمخشري، الكشاف: ١٤٢/٢، الطبرسي/ مجمع البيان،٣/١٠، الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٧٦/٦، أبو حيان/ البحر المحيط،٢٠٤/٥، ابن كثير/ تفسير القران العظيم ، ١٠٢/١ ، السيوطي/ الدر المنثور، ٢٤٧/١، الاحويزي/ نور الثقلين، ٥٢/١ ، الفيض الكاشاني/ التفسير الصافي ،١٦٦/٢، الالوسي/ روح المعاني، ٢٣٤/١٨، ابن عاشور/ التحرير والتنوير ، ٣٥/٥، طنطاوي/ الوسيط ، ٣٧٥٥/١، سيد قطب/ في ظلال القران،٩٨/٣، الطباطبائي/ الميزان ، ١٦٨/٧ ، ناصر مكارم الشيرازي/ الامثل، ٣٨١/٤.

(٦) ظ: الازرقي/ أخبار مكة، ٣١/١، الطبري/ جامع البيان، ١٠٨/١، ابن عطية الاندلسي/ المحرر الوجيز، ٤٤٤/٢، الطوسي/ التبيان، ٢١/١، أبو حيان الاندلسي/ البحر المحيط، ٢٠٤/٥، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٠٢/١، السيوطي/ الدر المنثور، ٢٤٧/١، الحويزي/ نور الثقلين، ٢٠٠/٤، سيد قطب/ في ظلال القرآن، ٩/١٦.

(٧) الطوسي/ التبيان،١٢٩/١.

دُحِيَتْ منها فصارت لجميعها أمًّا. ومن ذلك قولُ حُميد بن ثَوْر الهلاليّ: إذا كانتِ الخمسُونَ أُمَّكَ، لَم يكنْ ... لِدَائك، إلا أَنْ تَمُوت، طَبِيبُ لأن الخمسين جامعةٌ ما دونها من العدد، فسماها أمًّا للذي قد بلغها))[١].

والثاني: لأنها أول بقعة خلقها الله (عزوجل)، وهي أول موضع سُكنَ في الأرض[٢]

والثالث: لأنها أعظم القرى شأناً وأشهرها[٣].

والرابع: سميت بذلك لأن أول بيت وضع فيها فهي قبلة أهل القرى ومحجهم، فهي مركز ديني يستقطب الناس من كل القرى والمدن[٤].

والخامس: إنَّ التسمية جاءت لأنها اقدم المدن العربية ((أم القرى: مكّة، وكنيت: أم القرى لأنها أقدم المدن العربية فدعاها العرب: أم القرى، لأن الأم تطلق على أصل الشيء مثل: أم الرأس، وعلى مرجعه مثل قولهم للراية: أم الحرب، وقولهم: أم الطريق، للطريق العظيم الذي حوله طرق صغار))[٥]. وهو رأي رأي تفرد به ابن عاشور.

إنَّ مكة من الممكن أن تكون مثلث نواة لتجمع بشري بحكم وجود الكعبة فيها تجاوزت فيه كل مدن الحجاز الأخرى أمثال يثرب والطائف ولهذا يرى بعض الباحثين أن تسمية مكة بهذا الاسم تعني حرفيا أُم المدن[٦]. ونلحظ ان هذا المفهوم يدل على مركزية مكة المكرمة، بحكم وجود البيت الحرام فيها، وتفوقها وتفوقها على باقي مدن الحجاز الاخرى جعلها تشتهر بهذا التسمية.

وفي الجانب الاستشراقي أن أُم القرى تعني مكة[٧].

---

(١) الطبري/ جامع البيان:١٠٨/١، ظ: الطوسي/ التبيان ،٢١/١، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،١٠٢/١.

(٢) ظ: القمي/ تفسير القمي،١١٨/١٠، الطوسي/ التبيان،٢٠٠/٤، الرازي/ مفاتيح الغيب ، ٣٧٦/٦، علاء الدين الخازن/ تفسير الخازن، ٤١٨/١، الحويزي/ نور الثقلين،٥٢/١، الفيض الكاشاني/ تفسير الصافي،١٦٦/٢، النيسابوري/ غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، ٢١٢/٣.

(٣) ظ: الطوسي/ التبيان:٢٠٠/٤، الزمخشري/ الكشاف، ١٤٢/٢، ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٣٥/٥.

(٤) ظ: الزمخشري/ الكشاف ، ١٤٢/٢، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣٧٦/٦، سيد قطب/ في ظلال القران ،٩٨/٣.

(٥) ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ٨٤/١٣.

(٦) ظ: هشام جعيط ، نشاة المدينة العربية الاسلامية/ ٢٠٦.

(٧) ظ: د. عبد الرحمن عبد اللّه الشيخ/ موجز دائرة المعارف:٢٥٣/٢٦.

رابعًا:- القرية

قَرَيْتُ الضيف أَقْرِيهِ من باب رمى قرى، والاسم القَرَاءُ، والقَرْيَةُ: هي الضيعة، والقرية كل مكان اتصلت به الأبنية، الجمع قُرًى، على غير قياس، لأنّ فعلة من المعتلّ يجمع على فعال كظبية وظباء، والنسبة اليها قرويّ على غير قياس[١]. ((القاف والراء والحرف المعتل أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على جمعٍ واجتماعٍ. من ذلك القَرْية، سمِّيت قريةً لاجتماع النَّاس فيها. ويقولون: قَرَيت الماء في المِقْراةِ: جمعتُه، وذلك الماءُ المجموع قَرِيٌّ. وجمع القَرية قُرىً...))[٢]. القرية اسم للمكان الذي يجتمع فيه الناس وللناس جميعا، ويستعمل في كلّ واحد منهما[٣].

إنَّ معاجم اللغة وكتب التفسير اختلطت عليهم معاني القرية وقد حملوها على معنى معتل الياء ((وقد اختلطت معاني هذه الموادّ في كتب اللغة والتفسير، وقد تشتبه الموادّ في بعض الصيغ، ولا بدّ من التشخيص بالقرائن. فالاستقراء من المهموز: يدلّ على طلب التفهّم و الضبط. وبالواو: يدلّ على طلب القصد في إقدام. وبالياء: يدلّ على طلب جمع و تنظيم))[٤].

ويكمل العلامة المصطفوي يقول وأمّا القَرْيَةُ: فهي بمعنى هيئة واحدة من التجمّع، أي مجتمعة واحدة متشكّلة، وقد استعملت في القرآن الكريم في مورد الأبنية والعمارات، وفي مورد الأفراد والجماعات، وفي موردهما معا: **المورد الأول:** قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٥]. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾[٦]. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾[٧].

---

(١) ظ: الفيومي/ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٣٨٦/٧.
(٢) ابن فارس/ مقاييس اللغة ٥/ مادة: (قرى).
(٣) ظ: الراغب الأصفهاني/ مفردات غريب القران، ٢٥٢/٩.
(٤) المصطفوي، التحقيق في كلمات القران:٢٥٢/٩.
(٥) البقرة: ٥٨.
(٦) البقرة/ ٢٥٩.
(٧) العنكبوت/ ٣١.

المورد الثاني: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾ [١]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [٢]. **المورد الثالث:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [٣]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾[٤][٥].

وان البلد يختلف عن المدينة والقرية، فالبلد كما سبق ذكره هو القطعة المحدودة من الأرض عامرة كانت أو غير عامره، أما القَرْيَةُ فهي التجمّع سواء كان في عمارة أو في أفراد من الناس، وبينهما عموم وخصوص من وجه، والمدينة: يلاحظ فيها مفهوم الاقامة والنظم والتدبير، ويلاحظ على وفق هذا المفاهيم فإنه يطلق على الهلاك والانذار وإرسال الأنبياء في قبال القرية الدالة على تجمع الناس والبناء والعمارات، أما البلد فإن تقابل هذه المعاني فلا يتناسب مع مفهومه ولهذا فلا يقال أرسلنا الى بلد، أو أهلكنا بلد، وأيضاً لا تناسب هذه المعاني بالمدينة من حيث إنّها مدينة وفيها نظم وتدبير[٦].

ويفهم أنَّ للقرية في القرآن الكريم مفهوماً غير المفهوم المتعارف عليه عند الناس، وهو أنَّ القرية هي البلدة الصغيرة قليلة الناس، بينما في القران قد تطلق على قرية صغيرة قليلة الناس أو على مدينة كبيرة مترامية الأطراف ((إنَّ القرية قد أطلقت في القرآن الكريم على مدينة متّسعة كبيرة إذا خلت عن النظم الصحيح والمدنيّة))[٧].

إنَّ القرية هي احد أسماء مكة المكرمة التي أُخذت من القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ

---

(١) الاعراف/٤.
(٢) الحج/٤٨.
(٣) الاحقاف/٢٧.
(٤) القصص/٤٨.
(٥) ظ: حسن المصفوي/ التحقيق في كلمات القران، ٢٥٢/٩-٢٥٣.
(٦) ظ: المصدر نفسه ، ٢٥٣/٩
(٧) المصدر نفسه/ ٢٥٣/٩.

وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾[1]. فقالوا ان القرية التي ذكرت في الآية المذكورة آنفًا يقصد بها مكة المكرمة وهذا عليه ابن عباس(ت٦٨هـ)، ومجاهد(ت١٠٤هـ)، وقتادة(ت١١٨) وأكثر المفسرين[2].

إنَّ من أسماء مكة المكرمة، القرية وكانت تدعى القرية القديمة[3]، وهو قول الازرقي. وأشار الطبري الى ذلك:" أن القرية التي ذُكِرت في هذا الموضع أريد بها مكة "[4]، والدليل على ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ ﴾[5]، وهذا ادل على ان القرية مكة [6].

وعن ابن عباس في قوله: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ ﴾[7] قال :" يعني مكة "[8].

نستنتج مما سبق أنَّ القرية هي إحدى اسماء مكة المكرمة التي أُخذت من القرآن الكريم استنادا للآية الكريمة: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ [9]، حيث ذهب أغلب المفسرين إلى أنَّ المراد بالقرية هي مكة المكرمة.

نعم ذكر بعضهم أنَّ القرية يقصد بها المدينة المنورة، لقول لعائشة أنَّ المقصود بالقرية هي المدينة آمنت برسول الله صلى الله عليه واله وسلم ، ثم كفرت بأنعم الله بقتل عثمان بن عفان وما حدث بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بها من الفتن[10]، وروي عن حفصة كذلك قولها القرية هي

---

(١) النحل/ ١١٢.

(٢) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٣٠٩/١٧، الماوردي/ النكت والعيون، ٣٩٩/٢، السيوطي/ الدر المنثور، ١٧٧/٦، الفاسي المكي/ شفاء الغرام باخبار البلد الحرام،٦٧/١، الحسني الفاسي/ العقد الثمين، ١٨٠/٥، ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ١٤٥/٨، الطباطبائي/ الميزان، ١٩٤/٣.

(٣) ظ: الازرقي/ اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار،٢٧٩/١-٢٨٠، الفاكهي/ اخبار مكة ،٣٤/٥

(٤) الطبري، جامع البيان: ٣٠٩/١٧.

(٥) النحل/ ١١٣.

(٦) ظ: محمد بن يوسف اطفيش(ت١٣٣٢هـ) / تيسير التفسير ، ١٨٠/٥.

(٧) النحل/١١٢ .

(٨) السيوطي/ الدر المنثور، ١٧٧/٦.

(٩) النحل/١١٢.

(١٠) ظ: الماوردي/ النكت والعيون ، ٣٩٩/٢.

المدينة، والصحيح هي مكة وليست المدينة[١]، والراي أنَّ القرية يقصد بها المدينة المنورة هو رأي ضعيف فالذي عليه أغلب المفسرين أنَّ القرية يقصد بها مكة المكرمة.

تعامل المستشرقون في بحوثهم ودراساتهم عن مكة بوصفها مدينة مركزية ولهذا فهم لم يناقشوا التسميات التي وردت في القرآن الكريم أمثال البلد والبلدة والقرية وأُم القرى فتعاملوا معها باسم واحد وهو مدينة مكة[٢].

أمَّا **التوراة** فقد أشارت الى موطن إسماعيل(عليه السلام) باسم **(ميشا)** وهو إشارة الى بلد النبي إسماعيل وموطن ابنائه. ورد في سفر التكوين الإصحاح العاشر:((وَيَقْطَانُ وَلَدَ: أَلْمُودَادَ وَشَالَفَ وَحَضَرْمَوْتَ وَيَارَحَ . وَهَدُورَامَ وَأُوزَالَ وَدِقْلَةَ، وَعُوبَالَ وَأَبِيمَايِلَ وَشَبَا . وَأُوفِيرَ وَحَوِيلَةَ وَيُوبَابَ. جَمِيعُ هؤُلاَءِ بَنُو يَقْطَانَ. وَكَانَ مَسْكَنُهُمْ مِنْ مِيشَا حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ سَفَارَ جَبَلِ الْمَشْرِقِ))[٣].

نلاحظ أنَّ أغلب الأسماء الواردة هي لأماكن عربية مثل حضرموت وكذلك شبا وهي نفسها سبأ المذكورة في اليمن، وحويله ذكرت انَّها منطقة في شمال اليمن حيث جاء ((... حويله بين العرب اليقطانيين... وأنها كانت في الجزيرة العربية... وما زالت هناك منطقة بهذا الاسم في تهامة وكذلك في الجنوب الشرقي من صنعاء))[٤]، ويتفق المؤرخون كذلك أن يقطان، هو نفسه قحطان التي تنسب له بعض القبائل العربية[٥]. وعليه نرى أنَّه لا بد أن يكون سكن هؤلاء كما هو ظاهر من سياق النص هو الجزيرة العربية ، النص في الفقرة (٣٠)، يحدد أن مسكنهم من ميشا حينما تجيء نحو سفار جبل المشرق إذن نفهم بوضوح أن الحد الغربي لمنطقة سكن أبناء يقطان(قحطان) هو ميشا وأن الحد الشرقي لها هو سَفار جبل المشرق.

وهذا ما يؤكده ((ميشا: اسم مكان جنوبي شبه الجزيرة العربية، كان يشكل الحدود الغربية للمنطقة التي يسكنها بنو يقظان بن عابر من نسل سام بن نوح... ولا يعلم موقعها بالضبط ، فيظن البعض انها

---

(١) ظ: الجوزي / زاد المسير، ١٣٢/٤.

(٢) ظ: لامنس/ دراسة المستشرق لآمنس عن مكة/ المندرج في كتاب مكة في الدراسات الاستشراقية/١٣٣، باتريشيا كرون/ تجارة مكة وظهور الاسلام/٣٧.

(٣) الكتاب المقدس/ سفر التكوين الاصحاح العاشر(٢٧-٣٠).

(٤) دائرة المعارف الكتابية، القس صموئيل حبيب وآخرون، تحرير وليم وهبه، دار الثقافة: المجلد الثالث، ص١٩٦.

(٥) ظ: جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ٥/٢.

كانت تقع على الشواطىء الشمالية الغربية للخليج العربي، ويظن البعض انها هي نفسها (مسأ) التي تذكر كثيرا في النقوش المسمارية وأنها المنطقة الصحراوية الممتدة غربا وجنوبا من بابل))[١].

كما نرى أن ميشا مكان في شبه الجزيرة العربية، تحديداً الأرض التي سكنها اليقطانيون، ويحدد عدة فرضيات لمكان ميشا، الفرضية الأولى على الجهة الغربية للخليج العربي والفرضية الثانية صحراء الضفة الغربية في العراق ، والفرضية الثالثة أن ميشا هي نفسها (مسَّا) وهو أحد أبناء إسماعيل (عليه السلام) ولكنه يعطي الاسم فقط دون تحديد لمكان أو منطقة . بالطبع الفرضية الأولى والثانية يمكن استبعادهما بسهولة لأنها لأماكن تبعد عن المنطقة التي تضم حضرموت واليمن وكذلك لأن سياق النص وما ذكر في دائرة المعارف الكتابية، أن (ميشا) تمثل الحد الغربي للأرض التي سكنها اليقطانيون .

وإنَّ مسأ ورد في دائرة المعارف الكتابية بالنحو الاتي:((اسم سامي معناه حمل، وهو احد احفاد ابراهيم من ابنه اسماعيل... ولعله نسله هم المساني الذين ذكرهم بطليموس وكانوا يقطنون شرقي الجزيرة العربية بالقرب من بابل، وجاء في العدد الأول من الاصحاح الحادي والثلاثين من سفر الامثال كلام لموئيل ملك (مسأ)، وهذا يعني انه كان ملكا على قبيلة (مسا) من نسل إسماعيل او منطقة استوطنتها هذه القبيلة))[٢].

ورأى أحد الأعلام أنَّ (ميشا) تحريف من مسا فيقول:" وذهب ديلمن (Dillmann) إلى أن (ميشا)، تحريف مسا (Massa)، وهو اسم أحد أبناء إسماعيل"[٣]. ونجد في نسخة الكتاب المقدس لسنة (١٨١١م) طبعة نيوكاسل (وترجمة نيوكاسل هي مأخوذة عن طبعة لندن متعددة اللغات مع بعض التعديلات التي قام بها (جوزيف كارلايل) و(هنري فورد) دون شرح أو ملاحظات ، وعنيت بطباعة هذا الكتاب المقدس السيدة (سارة هودجسون) ، ولعل هذا هو أول كتاب مقدس باللغة العربية يطبع منفصلا دون ظهور لغة أخرى معه ودون تعليقات ويشمل الأسفار التي تقبلها كلها الكنائس) ذكر مكان قبيلة (مسّا) باللفظ الواضح والاسم الصريح (مكة)، ففي سفر التكوين الفصل العاشر، العدد الثلاثين:" وَكَانَ مَسْكَنُهُمْ مِنْ مكة إلى أن تَجِيءُ المدينة نحو الجَبَلِ الْشْرِقِى "[٤]. حيث تحدد نسخة نيوكاسل ١٨١١م، أنَّ مسكنهم مكة، وسفار هي المدينة المنورة وفي ترجمة (سعاديا الفيومي) وهو: سعيد بن يوسف (٨٩٢ –

(١) القس صموئيل حبيب وآخرون / دائرة المعارف الكتابية، ، ٢٧٤/٧.

(٢) المصدر نفسه ، ١٦٠/٧(مسأ)

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي : ٧٤/٢.

(٤) الكتاب المقدس ، طبعة نيوكاسل ١٨١١م .

٩٤٢م) أول من ترجم العهد القديم إلى العربية، كما كتب تفسيراً لمعظم أجزائه، وهو ما جعله متاحاً للجماهير اليهودية التي كانت لا تعرف العبرية. ويُعَدُّ أوائل الذين درسوا اللغة العبرية دراسة منهجية، وتُعدُّ ترجمته للتوراةِ هي أول وأهم التراجم العربية للتوراة على الإطلاق، وقد ترجمها سعاديا الفيومي مباشرةً من العبرية وكتبها بالخط العبري، وأصبحت هي النسْخة القياسية لجميع اليهود في البلاد الإسْلامية. ولقد مارست هذه النسْخة تأثيرها على نصارى مِصْر ، وتبنى هذه الترجمة أبو الحسَن السامري، ونقلها إلى التوراة السامرية في القرن الحادي عشر والثاني عشر الميلادي[١]. جاء النص كالاتي:" وكان مسكنهم من مكة إلى أن تجيء إلى المدينة إلى الجبل الشرقي "[٢].

اما الدكتور **جواد علي** فقد تحدث عن قحطان، وأكد أنَّهم هم الواردون في التوراة باسم (يقظان) وإنَّ امكانهم في جنوب الجزيرة العربية[٣].

نستطيع إذن أن نرجح أن (مشَّا) التي وردت في سفر التكوين والتي تمثل الحد الغربي للأرض التي سكنها اليقطانيون أو القحطانيون هي نفسها مكة لأن ذلك متفق تماما مع التشابه اللفظي بين الكلمتين ومع جغرافيا المنطقة وسياق النص وتحليل دائرة المعارف الكتابية ومع الأماكن والأسماء الواردة في النص، وترجمة الكتاب المقدس لكل من سعاديا الفيومي وطبعة نيوكاسل ١٨١١م . وكذلك مع ما ذكره المؤرخون عن أماكن تواجد العرب القحطانيين. ونستطيع أيضا أن نرجح أن هذا الإسم(مسَّا) يرجع إلى أحد أبناء إسماعيل عليه السلام.

ويذكر أنَّ الكثير من الكتاب العرب قد تبنى فكرة أنّ (ميشا) الواردة في الكتاب المقدس هي إشارة الى مكة المكرمة[٤].

وهناك من يرى أن (**فاران**) الواردة في سفر التكوين انما هي اشارة الى مكة المكرمة، وان **الماوردي**(٤٥٠هـ) أول من أشار أنَّ أسفار التوراة قد اشارت الى مكة المكرمة، وذهب الى أنَّ فاران

---

(١) ظ: بدران بن مسعود بن حسن / تفسير التوراة بالعربية لسعاديا الفيومي والاثر العربي والإسلامي فيها/كلية الدراسات الإسلامية / جامعة حمد بن خليفه– قطر /٥٨ وما بعدها.

(٢) الكتاب المقدس/ سفر التكوين،١٠/٣٠، سعاديا بن يوسف الفيومي، تحرير جاي ديرينبورج ، باريس طبعة ١٨٩٣م.

(٣) ظ: جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ١/٣٥٥ وما بعدها.

(٤) ظ: جرجي زيدان/ العرب قبل الإسلام، ١٦٤، سيد مظفر الدين نادفي / التاريخ الجغرافي للقران، ٦٠–٦٥، محمد جواد البلاغي/ الرحلة المدرسية ،١/ ٥٧٦ –٥٧٧.

هي جبال مكة[١]، وقد تبنى هذا الرأي بعضهم :((وَجِبَالُ فَارَانَ هِيَ جِبَالُ مَكَّةَ، قَالَ: وَلَيْسَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ خِلَافٌ فِي أَنَّ فَارَانَ هِيَ مَكَّةُ، فَإِنِ ادَّعَوْا أَنَّهَا غَيْرُ مَكَّة قُلْنَا: أَلَيْسَ فِي التَّوْرَاةِ " أَنَّ إِبْرَاهِيمَ أَسْكَنَ هَاجَرَ وَإِسْمَاعِيلَ فَارَانَ "؟! وَقُلْنَا لَهُمْ: دُلُّونَا عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي اسْتَعْلَنَ اللَّهُ مِنْهُ وَاسْمُهُ فَارَانُ، وَالنَّبِيِّ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابًا بَعْدَ الْمَسِيحِ))[٢]، ونقل إنَّ جبال فاران هي جبال مكة المكرمة[٣].

وجاء في الكتاب المقدس الاتي:((فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَأَخَذَ خُبْزًا وَقِرْبَةَ مَاءٍ وَأَعْطَاهُمَا لِهَاجَرَ، وَاضِعًا إِيَّاهُمَا عَلَى كَتِفِهَا، وَالْوَلَدَ، وَصَرَفَهَا. فَمَضَتْ وَتَاهَتْ فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ. وَلَمَّا فَرَغَ الْمَاءُ مِنَ الْقِرْبَةِ طَرَحَتِ الْوَلَدَ تَحْتَ إِحْدَى الأَشْجَارِ، وَمَضَتْ وَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ بَعِيدًا نَحْوَ رَمْيَةِ قَوْسٍ، لأَنَّهَا قَالَتْ: (لاَ أَنْظُرُ مَوْتَ الْوَلَدِ). فَجَلَسَتْ مُقَابِلَهُ وَرَفَعَتْ صَوْتَهَا وَبَكَتْ. فَسَمِعَ اللهُ صَوْتَ الْغُلاَمِ، وَنَادَى مَلاَكُ اللهِ هَاجَرَ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ لَهَا: مَا لَكِ يَا هَاجَرُ؟ لاَ تَخَافِي، لأَنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ لِصَوْتِ الْغُلاَمِ حَيْثُ هُوَ. قُومِي احْمِلِي الْغُلاَمَ وَشُدِّي يَدَكِ بِهِ، لأَنِّي سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً . وَفَتَحَ اللهُ عَيْنَيْهَا فَأَبْصَرَتْ بِئْرَ مَاءٍ، فَذَهَبَتْ وَمَلأَتِ الْقِرْبَةَ مَاءً وَسَقَتِ الْغُلاَمَ. وَكَانَ اللهُ مَعَ الْغُلاَمِ فَكَبِرَ، وَسَكَنَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَكَانَ يَنْمُو رَامِيَ قَوْسٍ. وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ))[٤]. فالتوراة تقول ان اسماعيل سكن في برية فاران، وقد انتشر أبناؤه في هذه المنطقة، وتقول:((هؤُلاَءِ هُمْ بَنُو إِسْمَاعِيلَ، وَهذِهِ أَسْمَاؤُهُمْ بِدِيَارِهِمْ وَحُصُونِهِمْ. اثْنَا عَشَرَ رَئِيسًا حَسَبَ قَبَائِلِهِمْ. وَهذِهِ سِنُو حَيَاةِ إِسْمَاعِيلَ: مِئَةٌ وَسَبْعٌ وَثَلاَثُونَ سَنَةً، وَأَسْلَمَ رُوحَهُ وَمَاتَ وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ. وَسَكَنُوا مِنْ حَوِيلَةَ إِلَى شُورَ الَّتِي أَمَامَ مِصْرَ حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ أَشُّورَ))[٥]. وحويلة كما جاء في دائرة المعارف الكتابية منطقة قرب صنعاء في شمال اليمن، بينما شور في جنوب فلسطين[٦]، وقد ذهب **شيرنكر** إلى أن خولان هي (حويلة) إحدى القبائل العربية المذكورة في التوراة[٧].

فالنصوص الواردة في الكتاب المقدس تخبرنا أنَّ في برية فاران نبع بئر ماء وقد شربت منه السيدة هاجر وابنها اسماعيل، وهذا يتفق مع الرواية الاسلامية بقصة هاجر وابنها وكيف تفجر بئر زمزم، وإلى هذا الرأي ذهب بعض الباحثين:((قامت الأدلة التاريخية على أن فاران هي الحجاز، حيث

---

(١) ظ: الماوردي/ اعلام النبوة/ ١١٩.

(٢) ابن القيم/ هداية الحيارى ، ٣٤٥/٢-٣٤٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ، ٣٤٦/٢.

(٤) الكتاب المقدس ، سفر التكوين ، الاصحاح (٢١ :١٤-٢١) ، نسخة فان دايك، الرسالة السريانية ٢٠٢٠م.

(٥) سفر التكوين: ١٦/٢٥-١٨

(٦) ظ: القس صموئيل حبيب وآخرون / دائرة المعارف الكتابية ، ١٩٦/٣

(٧) ظ: جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٥١/٨ .

بنى إسماعيل وأبوه الكعبة، وحيث تفجر زمزم تحت قدميه، وهو ما اعترف به عدد من المؤرخين كما نقل عنهم المؤرخ الهندي مولانا عبد الحق فدرياتي في كتابه (محمد في الأسفار الدينية العالمية) ومن هؤلاء المؤرخين المؤرخ جيروم واللاهوتي يوسبيوس فقالا بأن فاران هي مكة. وجاء في قاموس Strong's Hebrew Bible Dictionary أن فاران في صحراء العرب، حيث يقول: Paran, a desert of Arabia))[١]، وفي اطلس الكتاب المقدس وردت فاران هي تلال مكة المكرمة[٢].

وفاران: هي برية شاسعة في اقصى جنوب فلسطين، ويرجح كثير من العلماء أنها كانت تقع في الشمال الشرقي من شبه جزيرة سيناء[٣].

إنَّ جبال مكة المكرمة او جبال الحجاز فاران، المراد البرية التي اقام فيها إسماعيل(عليه السلام) برية الحجاز [٤]

ولهذا يرى الباحث أنَّ هناك خلافًا حول موقع فاران ولا يمكن الجزم أنَّ فاران يقصد بها مكة المكرمة، ولكن يمكننا أن نستنبط من النص التوراتي أنَّ النص التوراتي تحدث عن مكان التيه لهاجر فقال في بئر سبع أي صحراء فلسطين، ثم حدد مكان سكن هاجر وابنها فقال في برية فاران، وكان في البرية بئر ماء، وهذه الأوصاف ربما تنطبق على ما حصل مع السيدة هاجر وابنها النبي إسماعيل وكيف نبع بئر زمزم، وعلية نستطيع أنَّ نرجح ان فاران أحد أسماء الحجاز.

وهناك اسم آخر ورد في العهد القديم (مدبار) وكلمة(مدبار) الواردة في العهد القديم إشارة إلى موطن إسماعيل وإنَّ هذه الكلمة تعني الصحراء أو الأرض القاحلة وهي تقابل الوصف القرآني (وادي غير ذي زرع)[٥].

(١) محمود شرقاوي/ محمد في بشارات الأنبياء/١٤ .

(٢) ظ: يوسف توما/ اطلس الكتاب المقدس وتاريخ المسيحية(النسخة العربية) /٤٢

(٣) ظ: القس صموئيل حبيب وآخرون / دائرة المعارف الكتابية/ المجلد السادس ،١.

(٤) ظ: جرجي زيدان/ العرب قبل الإسلام/ ١٦٤.

(٥) ظ: سيد مظفر الدين نادفي / التاريخ الجغرافي للقران/ ٦٠ .

المبحث الثاني

التَّفسيرُ بلحاظِ (قدسيَّتِها)

المطلب الأوَّلُ: التَّقديسُ باللَّفظ (مباركًا) .

المطلب الثاني: التَّقديسُ باللَّفظ (الحرام) .

المطلب الثالث: التَّقديسُ باللَّفظ (آمنًا) .

المبحثُ الثَّاني

التَّفسيرُ بلحاظِ (قدسيَّتِهَا)

اختص الله سبحانه وتعالى أماكن وجعل لها خصوصية وقدسية ومنها الكعبة في بيت الله الحرام والمسعى والصفا والمروة وبئر زمزم بمائه الطاهر وجميع أرض مكة المكرمة كل هذه الأماكن لها الخصوصية والقدسية.

ويدلنا التاريخ أنَّ العرب ادخلوا صفة القداسة في كثير من الأشياء ونزعوها من كثير، وتسرد كتب التاريخ كيف أقام العرب مزارات ومقامات دينية لاحتفالاتهم واضفوا عليها صفات التقديس وأحاطوها بالكثير من الاحترام والحرمة وقد ظهرت عندهم نتيجة لذلك مقامات التحريم والتقديس ما يسمى بالحمى[١].

وفي الإسلام أنَّ المكان المقدس هو اختيار إلهي كما يصفه القرآن بقوله ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[٢]، أي إنَّ الله (عزَّ وجلّ) هو من حدد هذا المكان ليكون مقدسا، وجاءت الابحاث والدراسات الغربية بهذا الصدد: ((البشر ليسوا أحرارًا في اختيار المكان المقدس ولا يفعلون سوى البحث عنه واكتشافه بمساعدة آيات سرية))[٣]. هذا يعني أنَّ الاماكن المقدسة انما تحدد بواسطة قوى غيبية وما الإنسان إلا مكتشف تلك الأماكن.

الباحث في هذا المبحث يتناول قدسية مكة المكرمة من جوانب حرمة البيت وبكونه مباركا وبكونه آمناً.

---

(١) ظ: مرسيا آالياد/ المقدس والمدنس/ ٧.

(٢) الحج/ ٢٦.

(٣) مرسيا آالياد/ المقدس والمدنس/ ٣٠.

المطلبُ الأوَّلُ: التَّقديسُ باللَّفظ (مباركًا)

مباركاً لغة: من بارَكَ يُبَارِكُ مُبَارَك بمعنى كثير البركة والخير((البَرَكة النَّماء والزيادة والتَّبْريك الدعاء للإنسان أو غيره بالبركة يقال بَرَّكْتُ عليه تَبْريكاً أي قلت له بارك الله عليك وبارك الله الشيءَ وبارك فيه وعليه وضع فيه البَرَكَة))[١]. والمبارك: ما يأتي من قبله الخير الكثير [٢].

وسمى محبس الماء بركة والبركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء، قال تعالى:﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٣]، وسمى المبارك بذلك لثبوت الخير فيه ثبوت الماء في البركة، والمبارك ما فيه ذلك الخير ومنه قوله تعالى ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾[٤] . تنبيها على ما يفيض عليه من الخيرات الالهية [٥]. والمبارك هو ما يأتي من قبله الخير والبركة، وبارك فيه عُلُوُّه على كل شيء، ومعناه البركة الكثيرة[٦].

يتحصل أنَّ مباركا اسم مفعول يدل على فعل الفاعل وعليه يدل على الثبوت والدوام وكثرة الخير والبركة.

ولفظ (مبارك) أصلها :((هو الفضل والفيض والخير والزيادة ماديّا كان أو معنويّا، فالمبارك ما فيه الخير ويكون متعلّقا للفيض والفضل))[٧].

وصيغة (فاعل) تدلّ على طول النسبة وامتدادها: فكلمة (بَارَكَ) التي هي على وزن (فاعل) تدلّ على امتداد البركة واستمرارها. كما أنّ صيغة تفاعل تدلّ على قبول نسبة فاعل، أي: الوفاق وانطباق النسبة وتحقّقها: فكلمة تبارك تدلّ على تحقّق امتداد البركة، كقولنا- باعد- اي أطال البعد وامتد بعده، وتباعد- طال وامتدّ البعد. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٨]

---

(١) ابن منظور/ لسان العرب، ٣٩٥/١٠.
(٢) ظ: الازهري/ تهذيب اللغة، ٣٧١/٣.
(٣) الأعراف/ ٩٦.
(٤) الأنبياء/ ٥٠.
(٥) ظ: الراغب الاصفهاني/ مفردات غريب القران، ٤٤/١.
(٦) ظ: الفراهيدي/ العين، ٤٤٢/١، الجوهري/ الصحاح في اللغة،٤٠/١، الزمخشري/ أساس البلاغة،٢٣/١.
(٧) حسن المصطفوي/ التحقيق في كلمات القران، ٢٥٩/١ .
(٨) آل عمران/ ٩٦.

يعني أنَّ هذا البيت هو دائم البركة والخير، ومحلّ نزول البَرَكَةِ ومورده، فالبركة فيه ممتدة ومستمرة الى ما شاء الله(عزّ وجلّ)[١].

ذهب أغلب المفسرين إلى أنَّ المراد من قوله تعالى(مباركاً) كون البيت الحرام هو أول بيت باركه الله تعالى وجعله هدى للخلق، وجاء عن أمير المؤمنين(عليه السلام) انه، قال: ((أول بيت خص بالبركة الكعبة)) [٢].

وبكونه مباركاً فيه قولان: **الاول:** أوّل بيت رغب فيه وطلب منه البركة بيت الله في مكة[٣]. و**الثاني:** ان للبركة معنيان: احدهما: النمو والتزايد والآخر الدوام[٤].

الأوّل: النمو والتزايد، أي الزِّيَادَةِ وَالنمَاءِ بصورة متواصلة في الخيرات والعبادات والطاعات، أي: إنَّ هذا البيت الحرام كثير الخير والبركة والنفع لمن حجه أو اعتمره أو اعتكف فيه، أو طاف حوله، بسبب مضاعفة الأجر، وإجابة الدعاء، وتكفير الخطايا لمن قصده بإيمان وإخلاص وطاعة لله رب العالمين وهذا البيت في الوقت ذاته وفير البركات المادية والمعنوية[٥].

إنَّ تفسير البركة بالنمو والتزايد ، فإن هذا البيت مباركًا من وجوه :((أحدها: أن الطاعات إذا أتى بها في هذا البيت ازداد ثوابها. قال صلى الله عليه[واله] وسلم: فضل المسجد الحرام على مسجدي ، كفضل مسجدي على سائر المساجد... وثانيها :... ويجوز أن يكون بركته ما ذكر في قوله تعالى :

---

(١) ظ: حسن المصطفوي/ التحقيق في كلمات القران: ٢٥٩/١.

(٢) ظ: الطبرسي / مجمع البيان، ٣١٠/٢، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣٠٨/٤، ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ١٦٢/٣، محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٢٤/٧.

(٣) ظ: الزمخشري/ الكشاف،٢٩٩/١، الطبرسي/ مجمع البيان، ٣١٠/٢.

(٤) ظ: الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣٠٨/٤، الالوسي/ روح المعاني، ١٣٥/٣.

(٥) ظ: طنطاوي/ الوسيط ،٦٧٩/١ .

﴿ يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[1] فيكون كقوله ﴿ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا ﴾[2]))[3]، أي البقاء والدوام، وخلود البركة وثبوتها فيه وقيل يضاعف فيه ثواب العبادة[4].

الثاني: الدوام: إنَّ تفسير البركة بالدوام لأنه الكعبة لا تنفك من الطائفين والعاكفين والركع السجود ، وأيضاً لأن الأرض كروية ، وفيها أوقات الصلاة مختلفة فكل وقت يمكن أن يفرض فهو صبح لقوم ، وظهر لقوم آخرين وهكذا ، ومتى كان الأمر كذلك لم تكن الكعبة منفكة قط عن توجه قوم إليها من طرف من أطراف العالم لأداء الصلاة ، فكان الدوام حاصلاً من هذه الجهة ، وأيضاً بقاء الكعبة على هذه الحالة ألوفاً من السنين دوام أيضاً فثبت كونه مباركاً من الوجهين[5].

إنَّ بعض المفسرين ذهب إلى القول إنه يجوز حمل معنى (مباركا) على الوجهين:((مباركا: يعني كثير الخير والبركة وقيل مباركا لثبوت العبادة فيه دائما حتى يحكى على أن الطواف به لا ينقطع أبدا وقيل لأنه يضاعف فيه ثواب العبادة عن ابن عباس ورووا فيه حديثا طويلا وقيل لأنه يغفر فيه الذنوب ويجوز حمله على الجميع إذ لا تنافي))[6].

إنَّ الكعبة بيت الله هي أكثر بقاع الأرض بركة وخير وذهب بعض المفسرين إلى أنَّ بركات البيت هي بركات مادية ومعنوية: **المادية:** قدوم الناس للحج والعمرة من أنحاء مختلفة أدى ذلك لازدهار النشاط التجاري والحركة الاقتصادية مما جلب معيشة لأهلها، كون مكة تقع في وادي قاحل كما وصفه القرآن غير ذي زرع، وبسبب بركة البيت فيها كانت وما زالت من أكثر المدن عمرانا وحركة وذلك إجابة لدعاء إبراهيم(عليه السلام)، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[7][1].

(١) القصص / ٥٧.
(٢) الإسراء / ١.
(٣) الرازي، مفاتيح الغيب:٣٠٨/٤.
(٤) ظ: الماوردي/ النكت والعيون، ٢٤٧/١، الطوسي/ التبيان، ٥٣٤/٢، ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ١٦٣/٣، ناصر مكارم الشيرازي/ الامثل، ٥٠٦/٢.
(٥) ظ: الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣٠٨/٤.
(٦) الطبرسي/ مجمع البيان، ٣١١/٢.
(٧) إبراهيم/ ٣٧.

المعنوية:((... وأما البركات المعنوية التي تتحلى بها هذه الأرض وهذه المنطقة من اجتماع الحجيج فيها، وما ينجم عن ذلك من حركة وتفاعل ووحدة، وما يصحبه من جاذبية ربانية تحيي الأنفس والقلوب وخاصة في موسم الحج فمما لا يخفى على أحد. ولو أن المسلمين لم يقصروا إهتمامهم . في موسم الحج . على الجانب الصوري لهذه الفريضة بل أحيوا روحها، والتفتوا إلى فلسفتها، لاتضحت . حينذاك . البركات المعنوية، وتجلت للعيان أكثر فأكثر))[٢].

إنَّ بركات البيت الحرام هي بركات دنيوية، وفق ما تضمنه دعاء ابراهيم(عليه السلام)، قال:((المباركة مفاعلة من البركة وهي الخير الكثير، فالمباركة إفاضة الخير الكثير عليه وجعله فيه، وهي وإن كانت تشمل البركات الدنيوية والأخروية، إلا أن ظاهر مقابلتها مع قوله: هدى للعالمين أن المراد بها إفاضة البركات الدنيوية وعمدتها وفور الأرزاق وتوفر الهمم والدواعي إلى عمرانه بالحج إليه والحضور عنده والاحترام له وإكرامه فيؤول المعنى إلى ما يتضمنه قوله تعالى في دعوة إبراهيم:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾[٣]))[٤]. يتحصل أنَّ معنى مباركا هو كثير الخير والبركة لمن حولة ولمن يقصده وهذه البركة دائمة مستمرة لا تنقطع، وهي بركات معنوية ومادية كل ذلك لكون بيت الله هو أول بيت وضعه الله وجعله قبلة للصلاة والحج وأداء العبادة.

بين المفسرين والمحدثين حوار ونقاش قديم، تمتد جذوره الى العهد النبوي الأقدس(صل الله عليه وآله وسلم) حول التفاصيل الأولية بين بيت الله الحرام والمسجد الأقصى وأيهما أفضل وأشرف من الآخر، فقد زعم اليهود أنَّ المسجد الأقصى أشرف وأفضل من المسجد الحرام والمسلمين تصدوا لهذا الادعاء وجاؤا بأدلة من العقل والنقل تبطل مزاعم اليهود[٥].

قال مجاهد(ت١٠٤هـ):((تفاخر المسلمون واليهود فقالت اليهود بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة لأنه مهاجر الأنبياء والأرض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة أفضل فأنزل الله تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ

---

(١) ظ: ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١٣٥/٣، طنطاوي، الوسيط: ٦٧٩/١.

(٢) ناصر مكارم الشيرازي / الامثل ، ٥٠٦/٢.

(٣) إبراهيم/ ٣٧.

(٤) محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٩١/٣.

(٥) ظ: محمد هادي الاميني/ مكة / ٣٣ .

﴿[1] أول بيت مبارك و هدى وضع للناس عن علي (عليه السلام) والحسن وقيل أول بيت رغب فيه وطلب منه البركة مكة عن الضحاك وروى أصحابنا أن أول شيء خلقه الله من الأرض موضع الكعبة ثم دحيت الأرض من تحتها وروى أبو ذر أنه سئل النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) عن أول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس))[2].

وروي عن أبي ذرّ (رضوان الله عليه) أنَّه ، قال :((سألت رسول الله : أيّ مسجد وُضِعَ أولُ؟ قال : المسجدُ الحرام ، قلت : ثمّ أيّ؟ قال: المسجدُ الأقصى ، قلت : كم كان بينهما؟ قال : أربعون سنة . فاستشكله العلماء بأنّ بين إبراهيم وسليمان قروناً فكيف تكون أربعين سنة ، وأجاب بعضهم بإمكان أن يكون إبراهيم بنى مسجداً في موضع بيت المقدس ثُمّ درس فجدّده سليمان))[3].

وذهب بعض المفسرين إلى أنَّ سبب التفضيل هو أنَّ الكعبة قد بناها إبراهيم(عليه السلام) وابنه إسماعيل دون معونة أحد، وأما البيت المقدس قد بناه العمال بأمر من سليمان، إلى جانب آخر أنَّ إبراهيم أفضل وأعظم منقبة من سليمان[4].

والتفضيل هو بسبب الاولية قال:((واعلم أن دلالة الآية على الأولية في الفضل والشرف أمر لا بد منه، لأن المقصود الأصلي من ذكر هذه الأولية بيان الفضيلة، لأن المقصود ترجيحه على بيت المقدس، وهذا إنما يتم بالأولية في الفضيلة والشرف، ولا تأثير للأولية في البناء في هذا المقصود))[5].
))[5].

وقد أجمع المفسرون أنَّ بيت الله الكعبة أفضل وأشرف بيت على وجه الارض وهي أفضل من بيت المقدس ومن المسجد النبوي وأنَّ الكعبة أول بيت وضعه الله لعبادة الله (عز وجل) .

في الكتاب المقدس وردت الإشارة إلى وادي مبارك وهو وادي بكه، أي: بكة المباركة. واستعمل الكتاب المقدس بكة للإشارة إلى مكة المكرمة، وقد وردت في الكتاب المقدس باسم **(بكة أو بكا)**، ونص المزمور في العدد السادس من الإصحاح الرابع والثمانين:((عَابِرِينَ فِي وَادِي الْبُكَاءِ، يُصَيِّرُونَهُ يَنْبُوعًا.

---

(١) آل عمران/ ٩٦.

(٢) الطبرسي / مجمع البيان، ٣١٠/٢.

(٣) البخاري/ صحيح البخاري، ١٢٦/١٢، ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ١٦٢/٣.

(٤) ظ: الماوردي/ النكت والعيون، ٢٤٧/١، أبو حيان/ البحر المحيط، ٢٢٥/٣، الجزائري/ ايسر التفاسير، ١٨٦/١.

(٥) الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣٠٨/٤

أَيْضًا بِبَرَكَاتٍ يُغَطُّونَ مُورَةَ))[١]. ووادي البكاء هو بكة هذا ما أثبته باحثان في دراسة لهما، ثم توصلا من خلالها أنَّ وادي البكاء هو وادي بكة. قام باحثان في جامعة الملك عبد العزيز في العربية السعودية، دراسة على المزمور الرابع والثمانين من سفر المزامير توصلا الى ان وادي بكة، يقصد به مكة المكرمة، ولكن الاسم تعرض للتحريف من قبل القائمين على ترجمة الكتاب المقدس، فُبدل وادي بكة الى وادي البكاء، وأكد الباحثان أنَّهما اطلعا على الترجمات والنسخ والطبعات المختلفة للكتاب المقدس حتى بلغ عددها(٥٨) طبعه ، ثم توصلا إلى أنَّ اسم بكة ورد في (٢٩) نسخه من أصل (٥٨)، أي ما نسبته ٥٠% من مجموع ما اطلعا عليه من مختلف ترجمات الكتاب المقدس وهي نسخ ترجح كفه وادي بكه[٢].

وقد ورد في النسخة الإنكليزية للكتاب المقدس نسخة الملك جيمس الاتي:

((As they pass through the Valley of Baka, they make it a place of springs; the autumn rains also cover it with pools)) [٣]

وردت كلمة(Baka)، حيث تم ترجمتها في النسخ الحديثة إلى وادي البكاء، ومعظم التراجم الإنجليزية لا تقول وادي البكاء بل تذكر لفظ وادي بكة، ومن هذه التراجم ترجمة الملك جيمس التي سبقت ترجمة الفاندايك الشائعة اليوم. لهذا أنَّ وادي بكة هو اسم لمكان ولذلك فترجمتها بوادي البكاء هو تحريف للمعنى لأنَّ بكة اسم مكان فالمفروض أن تكتب كما هي لا أن تترجم الى البكاء[٤].

الخلاصة

١- إن لفظة المبارك تعني دوام الخير والبركة وثبوتها.
٢- إنَّ البيت الحرام هو أول بيت طلب منه البركة فهو مبارك من هذه الجهة.
٣- إنَّ بركات البيت بركات معنوية ومادية ، وهي بركات دنيوية.
٤- البيت الحرام هو أفضل وأشرف بيت وضع للعبادة على وجه الأرض .
٥- أشارت التوراة في سفر المزامير إلى بركات البيت الحرام.

---

(١) سفر المزامير/ طبعة بيروت ١٨٤٦/ المزمور ٨٤/ العدد ٦.
(٢) ظ: عصام احمد سيف وليليى صالخ زعزوع / مكة والمدينة في الكتاب المقدس/٥٥-٥٦.
(٣) (Psalm 84:6)، https://biblehub.com/psalms/84-6.htm تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢٢/١١/١٧م
(٤) ظ: عصام احمد سيف وليليى صالخ زعزوع/ مكة والمدينة في الكتاب المقدس/٥٢-٥٣ .

المطلبُ الثَّاني: التَّقديسُ باللَّفظ (الحرام)

الحرام لغة: من حَرَم، الحاء والراء والميم أصل واحد، وجمع الحرام حرم، والحرام هو المنع والتشديد، وهو ما لا يحل انتهاكه، الحَرَم: حَرَم مكَة وما حولها، والحرمان مكة والمدينة، وحرم الشيء حرمانا منعه اياه، وحرم الرجل ما يقاتل عنه ويحميه(١). ((الحاء والرام والميم، أصلٌ واحدٌ وهو المنع والتشديد... والحَرمَان: مكة والمدينة، سُميا بذلك لحرمتها أنه حرم أن يحدث فيها أو يؤوي مُحدثٌ))(٢).

الحَرَم: حَرَم مكَة، وحَرم الرسول (صلّى اللهّ عليه وآله وسلّم): المدينة. وحُرمَة الرجل التي لا تَحلُّ لغيره، وحريم الرجل: ما يجب علمه حِفظُه ومنعُه. وأحرمَ الرجلُ إحراماً من إحرام الحج. ورجل حِرْميّ: منسوب إلى الحَرَم ، والحَرام: ضدّ الحَلال (٣). ((حَرُمَ الشَّيْءُ بِالضَّمِّ حُرْمًا وَحُرُمًا مِثْلُ: عُسْرٍ وَعُسُرٍ امْتَنَعَ فِعْلُهُ... حُرْمَةُ بِضَمِّ الْحَاءِ وَكَسْرِهَا وَحَرُمَتْ الصَّلَاةُ مِنْ بَابَيْ قَرُبَ وَتَعِبَ حَرَامًا وَحُرْمًا امْتَنَعَ فِعْلُهَا أَيْضًا... وَجَمْعُ الْمُحَرَّمِ مُحَرَّمَاتٌ...وَالْحُرْمَةُ بِالضَّمِّ مَا لَا يَحِلُّ انْتِهَاكُهُ وَالْحُرْمَةُ الْمَهَابَةُ ... وَالْبَيْتُ الْحَرَامُ وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ وَالْبَلَدُ الْحَرَامُ أَيْ لَا يَحِلُّ انْتِهَاكُهُ وَيُقَالُ ذُو رَحِمٍ مَحْرَمٍ أَيْ لَا يَحِلُّ نِكَاحُهُ...))(٤). والحرام: وزن فَعال بمعنى مفعول، كالقول: امرأة حَصان، أي ممنوعة بعفافها عن الناس(٥).

يتحصل ان الحرام لغة هو الذي لا يحل انتهاكه، والحرم هو المكان ذو الحرمة.

وفي تحقيق كلمة الحرام في القرآن الكريم :((أنّ الحرام هو المنع من الأصل وقبل أن يوجد ويبدو، فمعنى حرمة الرباء ممنوعيّة ظهوره ووجوده، والمحروم من كان من الأصل ممنوعا لم يصل الى الخير... فالحرام والحرم والحريم على أوزان جبان وحسن وشريف : صفات مشبهة ومعناها ما كان

---

(١) ط: الفراهيدي/ العين: ١/مادة: (حرم)؛ الرازي/ مختار الصحاح ،١/مادة: (حرم).
(٢) ابن فارس/ مقاييس اللغة، ٢/ مادة: (حرم).
(٣) ظ: ابن دريد/ جمهرة اللغة، ١/ مادة : (حرم).
(٤) الفيومي/ المصباح المنير، ٢/ مادة: (حرم).
(٥) ظ: ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ١٧٢/٨.

ممنوعا عقلا أو شرعا أو عرفا. فالحرام يجمع على حرم :﴿ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[١]﴿ الشَّهْرُ ٱلْحَرَامِ ﴾[٢]، ﴿ الْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ﴾[٣]، ﴿ الْبَيْتَ ٱلْحَرَامِ ﴾[٤]))[٥].

والحرم أشد ثبوتا من الحرام على ما يراه المصطفوي وامثلة ذلك قوله تعالى:﴿ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ﴾[٦]﴿ ﴾[٦]﴿ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ ﴾[٧] ،﴿ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ) ﴾[٨]، ﴿ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾[٩]، ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا آمِنًا ﴾[١٠]، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ﴾[١١][١٢].

وجاءت لفظة الحرام في القران الكريم ثماني عشرة مرة[١٣]. ولفظة (حُرُمٌ) وردت ثلاث مرات في سورة التوبة: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾[١٤] ، وفي سورة: المائدة: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾[١٥] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾[١٦] . وردت لفظة حرماً في القرآن الكريم مرتين في سورة القصص: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

---

(١) البقرة / ١٤٤.
(٢) البقرة / ١٩٤.
(٣) البقرة / ١٩٨.
(٤) المائدة / ٢.
(٥) المصطفوي، التحقيق في كلمات القران:٢/٢٣٨.
(٦) المائدة/ ١.
(٧) التوبة/ ٥.
(٨) التوبة/٣٦.
(٩) المائدة/ ٩٦.
(١٠) القصص/٥٧.
(١١) العنكبوت/٦٧.
(١٢) المصطفوي، التحقيق في كلمات القران:٢/٢٣٨: ٢/٢٣٩-٢٤٠.
(١٣) البقرة/ ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٩١، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٨، ٢١٧، المائدة/ ٢، ٩٧، الانفال/ ٣٤، التوبة/ ٧، ١٩، ٢٨، الاسراء/١، الحج/٢٥، الفتح/ ٢٥، ٢٧.
(١٤) التوبة/٣٦.
(١٥) المائدة/١ .
(١٦) المائدة/ ٩٥ .

لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]. وفي سورة العنكبوت: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا ﴾[2]. والآيتان كلاهما في مكة، قال المفسرون إنَّ الحرم هي مكة المكرمة وقد جعلها الله تعالى حرم آمن[3].

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنَّه قال:((...أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهِيَ حَرَامٌ بِحَرَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَلَمْ تَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ))[4]، ومكة المكرمة هي الحرم الامن[5]، والبيت الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام كله يراد به مكة [6].

إنَّ الله قد جعل مكة المكرمة حرم آمن منذ أنَّ خلق السماوات والأرض ((عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [واله] وَسَلَّمَ لِمَكَّةَ حِينَ افْتَتَحَهَا:" هَذِهِ حَرَمٌ حَرَّمَهَا اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَوَضَعَ هَذَيْنِ الْأَخْشَبَيْنِ، لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ"[7]. قَالُوا: فَمَكَّةُ مُنْذُ خُلِقَتْ حَرَمٌ آمِنٌ مِنْ عُقُوبَةِ اللَّهِ وَعُقُوبَةِ الْجَبَابِرَةِ))[8]. وقد اشتهر بين العرب قبل الاسلام وصف مكة بالبلد الحرام أي: الممنوع عن الجبابرة والظلمة والمعتدين ووصف بالمحرم في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم ﴿ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾[9]، أي : المعظم المحترم ، فوصف الكعبة بالبيت الحرام وحرم مكة بالحرم أوصاف قديمة شائعة عند العرب [10].

---

(١) القصص/ ٥٧

(٢) العنكبوت/٦٧

(٣) ظ: الطبري/ جامع البيان،٢٩/٢، الطوسي/ التبيان، ٤٥١/١، الطبرسي/ مجمع البيان، ٣٥/٨ ، الرازي/ مفاتيح الغيب، ١٦٦/٦، ابن كثير/ تفسير القران العظيم، ٥١٢/٤، محمد حسين الطباطبائي/ الميزان:١٤٤/٦.

(٤) الازرقي/ اخبار مكة: ١٢١/٢، البخاري/ صحيح البخاري، ٤٩٥/٧، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣٣٦/٢، ظ: الفيض الكاشاني/ نور الثقلين، ١٤٠/١.

(٥) ظ: الفاكهي/ اخبار مكة، ١٠/٣

(٦) ظ: ياقوت الحموي/ معجم البلدان ، ٢٤٤/٢

(٧) الصدوق/ من لا يحضره الفقيه، ١٦٨/٥، الحر العاملي/ وسائل الشيعة، ١٧/١٢

(٨) الطبري/ جامع البيان: ٥٣٩/٢.

(٩) إبراهيم / ٣٧.

(١٠) ظ: ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ٢٧/٢.

والحرم هو المكان المتسع المحيط بالكعبة، او هو ما أحاط بالكعبة وطاف بها من جوانبها، ويبعد عنها أميالاً وجعلت منطقة الحرم آمنة لا يحل لأحد انتهاك حرمتها، وهو محدود بأنصاب من جميع جوانبها[١].

إنَّ مكة المكرمة هي أرضٌ مباركة قد اختارها الله تعالى وجعلها حرما لكي يتفرغ ويتجرد فيها الناس للعبادة بكل سموها وصفائها ((ولعظم حرمته أنَّ من جنى جناية والتجىء اليه لا يقام عليه الحد حتى يخرج لكن يضيق عليه في المطعم والمشرب، والبيع والشراء، حتى يخرج منه، فيقام عليه الحد. فإن أحدث فيه ما يوجب الحد أقيم عليه فيه، لأنه هتك حرمة الحرم. ولأنَّ الله تعالى جعل الاشهر الحرم لا يحل فيها القتال، والقتل وكل ذلك بسبب البيت الحرام، فهو آمن بهذه الوجوه))[٢]. فالطوسي يذهب إلى ان حرم مكة هي الحرم الآمن من القتل والاعتداء وكل مظاهر العنف فهي حرم إلهي لا يحل انتهاكه. روي عن ابن عباس انه قال:" يريد حراما محرما لا يصاد طيره ولا يقطع شجرة ولا يختلى خلاؤه "[٣].

وفي تسمية بالحرام وجوه عدة [٤]: الوجه الأول: إنَّه ممتنع عزيز يهابه كل جبار، فهو كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب. والوجه الثاني: إنَّ الله حرم التعرض للبيت او التهاون به ، أي: إنَّ الله قد جعل لهذا البيت حرم . والوجه الثالث: إنَّه محل احترام عظيم لا يحل انتهاكه او استباحته. والوجه الرابع: إنَّه حرم على الماء يعلوه في الطوفان فهو فلم يغرق عندما حصل الطوفان في زمن نوح. والوجه الخامس: أمر الله الوافدين إليه أن يحَرموا على أنفسهم أمورًا مباحة لهم في أماكن أخرى. والوجه السادس: إنَّ موضع البيت حرمه الله حين خلق السماوات والأرض والوجه السابع: حرم على عباده ان يقربوه بالدماء والاقذار. واختلف في زمان تحرميه على أقوال :

القول الأول: إنَّ الحرم كان آمن قبل دعوة ابراهيم(عليه السلام) ولكنه أصبح بعد دعوة حرماً فهو قبل ابراهيم كان كسائر البلاد، وحرمه الله بعد دعاء ابراهيم(عليه السلام). والقول الثاني: إنَّ التحريم هو منذ الأزل، وإنَّ الأمن تحقق بدعوة إبراهيم. والقول الثالث: إنَّها كانت حرام قبل دعوة إبراهيم عليه السلام

(١) ظ: ابن عاشور/ التحرير والتنوير ،٣٠٧/٤.
(٢) الطوسي/ التبيان ،٤٥١/١٠.
(٣) الطبرسي/ مجمع البيان، ٣٥٠/١.
(٤) ظ: الزمخشري/ الكشاف، ٢٨٨/٢، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٢٦٩/٩.

بوجه غير الوجه الذي صارت عليه بعد الدعوة، فالتحريم الاول جعل الله في النفوس من تعظيمها، والثاني جاء على السنة الرسل وإبراهيم أولهم(١).

وهناك رأي يجمع فيه بين التحريم الالهي الازلي وبين التحريم بدعاء إبراهيم:((والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الله تعالى ذكره جعل مكة حرما حين خلقها وأنشأها، كما أخبر النبي صلى الله عليه[وآله] وسلم،" أنه حرمها يوم خلق السموات والأرض"، بغير تحريم منه لها على لسان أحد من أنبيائه ورسله، ولكن بمنعه من أرادها بسوء، وبدفعه عنها من الآفات والعقوبات، وعن ساكنيها، ما أحل بغيرها وغير ساكنيها من النقمات. فلم يزل ذلك أمرها حتى بوأها الله إبراهيم خليله، وأسكن بها أهله هاجر وولده إسماعيل. فسأل حينئذ إبراهيم ربه إيجاب فرض تحريمها على عباده على لسانه، ليكون ذلك سنة لمن بعده من خلقه، يستنون به فيها، إذ كان (تعالى ذكره) قد اتخذه خليلا وأخبره أنه جاعله، للناس إماما يقتدى به، فأجابه ربه إلى ما سأله، وألزم عباده حينئذ فرض تحريمه على لسانه، فصارت مكة... محرمة بدفع الله عنها، بغير تحريمه إياها على لسان أحد من رسله، فرض تحريمها على خلقه على لسان خليله إبراهيم عليه السلام...))(٢).

وفي سبب تحريمه قيل لما اخاف آدم(عليه السلام) على نفسه عند هبوطه إلى الأرض أرسل الله ملائكته فحفوا بمكة من كل جانب وكان وقوفهم في موضع حدود الحرم يحرسون آدم فصار ما بين موضع نزول آدم وموضع موقف الملائكة حرما، وقيل ان ابراهيم لما وضع الحجر الأسود أضاء من الحجر في كل الجوانب فحرم الله حيث انتهى نور الحجر الأسود، وقيل: لأن الله (سبحانه وتعالى) حين قال للسموات والأرض: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾(٣). لم يجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم، ولذلك حرمها(٤).

عن يحيى بن أكثم(ت٢٤٢هـ) أنه قال في مجلس الواثق(ت٢٣٢هـ) :((من حلق رأس آدم حين حج؟ فتعايا الفقهاء عن الجواب فقال الواثق : أنا أحضر من ينبئكم بالخبر . فبعث إلى علي بن محمد

---

(١) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٢/٥٠، الماوردي/ النكت والعيون، ١/١٩٣، الطوسي/ التبيان، ١/٤٥٥، الطبرسي/ مجمع البيان، ١/٣٥٠، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٢/٣٤٤.، الحويزي/ نور الثقلين، ١/١٤٠، الطباطبائي/ الميزان، ٦/١٢٤.

(٢) الطبري/ جامع البيان، ٢/٥٠.

(٣) فصلت/ ١١.

(٤) ظ: الازرقي/ اخبار مكة: ٢/١٢٧، الفاكهي/ أخبار مكة، ٤/ ١٥، الفاسي المكي/ شفاء الغرام، ١/٧٣.

بن جعفر بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فسأله . . . قال " قال رسول الله صلى الله عليه[واله] وسلم : أمر جبريل أن ينزل بياقوتة من الجنة فهبط بها ، فمسح بها رأس آدم ، فتناثر الشعر منه ، فحيث بلغ نورها صار حرماً "))[١].

عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنَّه قال :((ان الله تبارك وتعالى لما اهبط آدم عليه السلام من الجنة أهبط على ابن قبيس ، فشكا إلى ربه (عز وجل) الوحشة فانه لا يسمع ما كان يسمع في الجنة ، فاهبط الله تعالى عليه ياقوتة حمراء ، فوضعها في موضع البيت ، فكان يطوف بها آدم عليه السلام وكان ضوؤها يبلغ موضع الاعلام ، فعلمت الاعلام على ضوئها، فجعله الله حرما))[٢].

ويرى الباحث أن لعنصري الزمان والمكان أهمية كبرى في مسألة حرمة مكة، أو المنطقة المحيطة بالكعبة المشرفة، فبما انها القبلة والمكان الذي اختاره الله سبحانه وتعالى لبيته، ومكان للحج الذي يقصده عباده حيث أمرهم، فجعل الله سبحانه الحرمة ملازمة له لا تنفك عنه ابدًا منذ أنَّ اختاره للعبادة إلى يوم الدين وجعله حرماً امنًا ليحس الحاج بالسكينة والطمأنينة والراحة النفسية عند وجوده بقرب البيت.

والحرم هو (حمى) للكعبة ((ويظهر أن أرض مكة كانت كلها في الأصل قبل أيام (قصي) حمى للكعبة، على عادة الجاهليين في تخصيص (حمى) لأربابهم تكون حول بيوتها، ولهذا كانت أشجار هذا الحمى أشجارًا مقدسة لا يجوز قطعها ولا احتطابها، سوى أخذ بعض أغصانها أو لحائها لعمل قلائد منها للاحتماء منها))[٣]. ولم يكن للحرم سور في الجاهلية انما كانت انصاب تحدد حدوده لتكون علامة تدل على ابتدائه وانتهائه[٤].

(١) السيوطي/ الدر المنثور، ٨٦/١، حسين النوري(١٣٢٠هـ)/ مستدرك الوسائل، ٢٣٥/٩.
(٢) المجلسي/ بحار الانوار، ٢١٠/١١، الحويزي/ نور الثقلين، ١٧٠/١.
(٣) جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٦/١٢ .
(٤) ظ: المصدر نفسه، ١٧/١٢.

فالحرم هو:((الممنوع أو المقدس ومن ثم إسم المنطقة الحرام لمدينتى مكة والمدينة (تطلق عليها غالبًا صيغ المثنى الحرمين). وهى تطلق أيضًا على مساكن الحريم التى يحرم دخولها على الغرباء، كما تطلق على ساكنيها، وهى بهذا المعنى مرادف لكلمة حرام))[١].

وإنَّ أرض الحرم يقصد بها مكة[٢]. وللمستشرقين آراء فيها: الأول: إنَّ أرض الحرم هي تلك المنطقة المحيطة بمكة[٣]، والثاني:" ان قطع الاشجار كان في مكة يعد مشكلة خطيره بسبب حرمة مكة "[٤].

ذهب بعض المستشرقين إلى القول ، ليس كل العرب تقدس مكة وحرمها والقبائل تقسم الى قسمين قسم يقدسون مكة وحرمها ويحجون ويطلق عليهم (المحرمون)، وقسم آخر لا يقدس مكة ولا حرمها ويطلق عليهم المحلون :((يشمل المحرمون الحمس وبعض قبائل الحلة الذين كانوا يؤدون الحج، أمَّا المحلون فلم يأبهوا بقدسية مكة ولم يحترموا الاشهر الحرم وقد كانوا خطرا على مكة "[٥].

إنَّ العرب في احترامهم للأشهر الحرم ينقسمون الى أهواء مختلفة، الأول: ناس يمتنعون من انتهاك حرمة الأشهر ويحترمون تلك الأشهر، والثاني: أناس يرتكبون الأعمال المحرمة ولا يحترمون قدسية الحرم يقتلون ويسرقون في الأشهر الحرم وهؤلاء هم الحلة، والثالث: أناس اتبعوا المبدأ الذي شرعه لهم رجل من تميم هو صلصال بن أوس بن مخارش حيث شرع لهم مقاتلة منتهكي الأشهر الحرم[٦].

أفرد العرب أربع شهور في السنة كانت حراماً لا يحل فيها القتال والغاية منها هي الحج الى البيت المقدس الكعبة في مكة، والاتجار بعض الاحيان[٧]. وإنَّ مكة هي الارض الوحيدة التي غدت حرمًا محرمًا، في القرآن فقد قضى الله تعالى في تحريمها في سورة الإسراء[٨].

---

(١) الشنتناوى/ موجز دائرة المعارف الاسلامية، ١٥٤/١٢.
(٢) ظ: المصدر نفسه، ٣٤١/١٧ .
(٣) ظ: لامنس/ دراسات الاب لامنس عن مكة/ المندرج في كتاب مكة في الدراسات الاستشراقية/ ٦٣ .
(٤) كستر/ دراسة المستشرق كستر عن مكة/ المندرج في كتاب مكة في الدراسات الاستشراقية/ ١٨٥.
(٥) المصدر نفسه / ٢٠٩-٢١٠.
(٦) ظ: المصدر نفسه /٢١٢ .
(٧) ظ: الشنتاوي/ موجز دائرة المعارف، ٦١٧/٩-٦١٨ .
(٨) ظ: المصدر نفسه، ٣٣٩/١٤ .

يعد كاتب مادة الحرم في دائرة المعارف التحريم هو الهي وجاء ذلك في القران الكريم.

إنَّ إعلان منطقة الحرم هو للحفاظ على السلام بين القبائل المتحاربة دائمًا، تم إعلان مكة بوصفها ملاذًا حيث لا يُسمح بالعنف على بعد ٣٠ كيلومترًا (٢٠ ميلًا) من الكعبة. سمحت هذه المنطقة الخالية من القتال لمكة بالازدهار ليس فقط بوصفها مكانًا للحج ، ولكن أيضًا بوصفها مركزًا تجاريًا[١]. فهي تعّد ان مسألة الحرم اتفاق قبلي لضمان الأمن لمكان العبادة المقدس عند العرب.

إنَّ أكثر الدراسات الاستشراقية التي تناولت الإسلام وسيرة الرسول والقران الكريم تقول: إنَّ الحرم يقع في مكة التي ولد فيها الرسول وهي مدينة مقدسة ولها تاريخ بعيد في القدم. ولكن بعض المستشرقين جاء بنظرية غريبة مفادها ان الحرم المقدس والامن الذي تحدث عنه القرآن الكريم يقع في صحراء النقب في مدينة تدعى (عبدات) في موقع اثري يسمى سدي بوكير[٢].

وخلص هوتينغ إلى أن المسجد الحرام في المرحلة الجاهلية كان المساحة الفارغة على مدار الكعبة والذي كانت جدرانه هي جدران المباني حولها وبواباته كانت الشوارع كانت الشوارع أو الممرات بين المنازل التي تؤدي الى هذه المساحة، ويلحظ هوتينغ أن هذا الوصف لا يتناسب مع منطقة الكعبة تماما، فهو يرى أنَّ أوصاف الكعبة تختلف عما يراه من أوصاف نقلها للمسجد الحرام، هو أنَّ هذا الاوصاف تتناسب مع حرم سدي بوكير في صحراء النقب، ويتابع ان مصطلح المسجد الحرام قد نشأ في سياق توحيدي غير مكة، وأنَّ مكة كانت قرية وثنية يعبد فيها الإله هبل، وان الاوصاف التي وردت في القرآن الكريم وكذلك ما نقله الأخباريون المسلمون تشابه إلى حد كبير حرم سدي بوكير في النقب بصورة أوثق مما هو عليه الحرم المكي[٣].

وإن سبب نقل الكعبة إلى الموقع الحالي جاء نتيجة الصراع السياسي الذي حصل في الإسلام ((إنَّ الصراع السياسي الذي حصل في الإسلام هو الذي تسبب بنقل القبلة من مدينة الإسلام المقدسة التي تقع في صحراء النقب إلى مكة الحالية وأنَّ صراعًا نشأ على الكعبات بين المسلمين، أدَّى في الأخير

---

(١) ظ: أرمسترونج / القدس: مدينة واحدة ، ثلاثة ديانات / ٢٢١ – ٢٢ .

(٢) ظ: نيفو وجوديت كروين / أوصاف المسلمين للحرم المكي الجاهلي(بحث)/ المدرج في كتاب مكة قبل الاسلام/٥.

(٣) ظ: يهودا دي نيفو و جوديث كروين ، اوصاف المسلمين للحرم المكي الجاهلي(بحث)، المدرج في كتاب مكة قبل الإسلام، ترجمة هشام شاميه، المركز الاكاديمي للأبحاث، ط١، بيروت ٢٠١٩م:٣٧-٣٨-٣٩.

الى نقل أغلب أوصاف المدينة المقدسة عند المسلمين ألى مكة وذلك لكون جغرافيتها تقترب من جغرافية المدينة المقدسة عند المسلمين ولكون موقعها في وسط جزيرة العرب يعطيها استقلالية أكبر... إنَّ التوحيدية الموجودة في الطائف قدمت من الشام عبر معاوية، فقد قام معاوية بمشروعات بناء في منطقة الطائف في الاربعينيات من الهجرة، ولهذا فان النقوش التوحيدية التي عثر عليها في الطائف فهي جاءت من الشام عن طريق معاوية، أكثر من كونها سمات اصلية تعود الى الحجاز))[١].

وإنَّ الجهود العلمية في الحقبة العباسية المبكرة هي من أسفرت عن إنشاء التأريخ المدون في الحجاز العربي ، والذي يتكامل ديموغرافيا وثقافيا ودينيا مع الدولة العربية الجديدة، وأن ذلك كان نتيجة قرار سياسي ، وكان بحد ذاته استجابة لحاجة ملموسة لتاريخ العرق والنسب العربي لكل من الدولة وتطور الدين العربي، وان معظم الأقاليم التي يحكمها العرب كانت عبارة عن مشاهد من التاريخ العرقي للأخرين، الحجاز كانت على النقيض من ذلك، منطقة فارغة نسبيا لم يطلب بتملكها أي شعب من الشعوب الأخرى، أي: انَّها كانت منطقة عربية خالصة [٢].

وقد أجريت هذه الدراسات وفق المنهج الأركيولوجي(الأثري)، من خلال تتبع الاثار التي وجدت في سدي بوكير فهما يعتقدان أنَّ المسجد الحرام يوجد في هذا المكان وقد نقلت تفاصيله المعمارية لمكة حتى يتناسب مع الدين العربي ويكسب استقلالية مطلقة، فموقع مكة يشابه موقع الحرم الأصلي الذي نشأ فيه الاسلام ومنه انطلقت فتوحاته، وقد حصل ذلك في القرن الثامن الميلادي.

وقد تغافل كتابها عمدًا عن كل الأدلة والمصادر اليونانية والرومانية والجاهلية والمصادر الإسلامية، وحتى ما ورد في الكتاب المقدس من ذكر لمكة المكرمة وقدسيتها منذ عهد بعيد، ومخالفين جميع المستشرقين من تأكيدهم على أنَّ مكة هي مدينة الإسلام المقدسة وأنَّ البيت الحرام والحرم هو المنطقة التي تحيط بمكة، منذ لحظة انبثاقه وكانت ذات قدسية قبل الإسلام بسبب وجود الكعبة فيها، وهو اقتطفاف من المصادر ما يمكن أن يؤيد الرأي المخالف وترك جميع المصادر الأخرى التي تخالف هذا الرأي التي اعتمد عليها المستشرقون . وهذا العمل نراه أنَّه يدخل ضمن سلسة التشكيك بما هو قطعي فيما يتصل بالأديان بغية إعادة تشكيلها وفق معطيات الآركيلوجيا.

---

(١) يهودا دي نيفو وجوديث كروين/ أوصاف المسلمين للحرم المكي الجاهلي(بحث)، المدرج في كتاب مكة قبل الإسلام/ ٥٨-٥٩.

(٢) ظ: المصدر نفسه / ٦١.

الخلاصة

١- الحرام هو الممنوع الذي لا يحل انتهاكه . والحرم هو ما أحاط بالكعبة وله حدود وعلامات تدل عليه.

٢- إنَّ تحريم مكة كان منذ الأزل ، وسبب التحريم قيل عندما خاف آدم على نفسه حين هبوطه الى الأرض .

٣- أدعى بعض المستشرقين أن هناك قسم من العرب كانوا لا يحترمون البيت الحرام وينتهكون منطقة الحرم حين تتوفر لهم الفرصة ويسمون بالحلة.

٤- أجمع المفسرون والمستشرقون على أن منطقة الحرم تقع في مكة المكرمة .

٥- جاء بعض المستشرقين بنظرية مفادها ان حرم مكة المقدس يقع في صحراء النقب أو في البتراء ، وإن سبب معالمه إلى مكة الحجاز جاء نتيجة الصراع السياسي الذي حصل في الإسلام.

المطلبُ الثَّالثُ: التَّقديسُ باللَّفظ (آمنًا)

لغة: الأمْنُ والآمِنُ: ضِدُّ الخَوْفِ، أمِنَ، أمْناً وأماناً، وأمَناً وأمَنَةً، وإمْناً، فهو أمِنٌ وأمِينٌ[١]، ويقال:" أمِنْتُ الرّجُلَ أَمْناً وأَمَنَةً وأَماناً، وآمنني يُؤْمنني إيماناً. والعرب تقول: رجل أُمَّانٌ، إذا كان أميناً "[٢]. الأمن هو (نقيض الخوف) والفعل الثلاثي (أمِن) أي حقق الأمان، ((أمنت فأنا آمن، وأمنت غيري أي ضد أخفته، فالأمن ضد الخوف، والأمانة ضد الخيانة، والإيمان ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق، وضده التكذيب، فيقال آمن به قوم وكذب به قوم))[٣].

أَمِنَ: أمن زيد الأسد أمنا، و أمن منه: مثل سلم منه وزنا و معنى. والأصل أن يستعمل في سكون القلب يتعدّى بنفسه و بالحرف، و يعدّى الى ثان بالهمزة، فيقال: آمنته منه و أمنته عليه و ائتمنته عليه، فهو أمين، و أمن البلد اطمأنّ به أهله فهو آمن و أمين. و آمنت الأسير: أعطيته الأمان فأمن، و آمَنْتُ

(١) ظ: الخليل الفراهيدي/ العين،٢/مادة: (آمن) ، الجوهري/ الصحاح في اللغة، ١/ مادة: (آمن).
(٢) ابن فارس/ مقاييس اللغة، ١/ مادة: (آمن).
(٣) ابن منظور/ لسان العرب، ١٣/ مادة: (آمن).

باللّهِ إيمَاناً: أسلمت له. و أَمِنَ أَمَانَةً فهو أمين، ثمّ استعمل المصدر في الأعيان مجازا، فقيل الوديعة أمانة و الجمع أمانات [١].

يتحصل أنَّ الأمن في اللغة هو الطمأنينة وعدم الخوف، وسكون القلب. فيشير عموماً إلى تحقيق حالة من انعدام الشعور بالخوف، وإحلال شعور الأمان ببعديه النفسي والجسدي.

وفي تحقيق لفظة آمنا:" أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الأمن والسكون ورفع الخوف والوحشة والاضطراب "[٢]. ويتابع العلامة تحقيقه، وامن امناً أي زال عنه الخوف واطمأن فهو آمن وبلدة آمنة اذا لم يكن فيها خوف ولا وحشة، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ. جعلهم في الأمن. بَلَداً آمِناً، كانَ آمِناً، قَرْيَةً كانَتْ آمِنَةً، بِسَلامٍ آمِنِينَ، أي الساكن المطمئنّ من دون خوف وأضطراب ووحشة[٣].

أذًا الحرم الآمن، البلد الآمن، البلد الامين، كلها يراد بها مكة المكرمة[٤].

البلد الآمن : قال تعالى:﴿ ءَامِنَا ﴾[٥]، ﴿ آمِنًا﴾[٦]. والحرم الآمن: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٧]. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا ﴾[٨]. والبلد الأمين جاء في سورة التين: وقال تعالى:﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾[٩]. اذاً البلد الآمن، والحرم الآمن والبلد الأمين كلها اوصاف لمكة وردت في القرآن الكريم.

---

(١) ظ: الفيومي/ المصباح المنير، ١/ مادة: (آمن).
(٢) المصطفوي/ التحقيق في كلمات القران، ١٥٠/١.
(٣) ظ: المصطفوي/ التحقيق في كلمات القران، ١٥١/١.
(٤) ظ: الثعلبي/ الكشف والبيان،١٥٣/١٤، ابو حيان الاندلسي / البحر المحيط،٤٩٨/١٠ ، السيوطي/ الدر المنثور،٢٣٩/١٠، الحويزي/ نور الثقلين ،١٤٣/١٠، الشنقيطي/ اضواء البيان في تفسير القران،٢٢٦/٩.
(٥) إبراهيم/ ٣٥، ال عمران/٩٧.
(٦) البقرة/١٩٦.
(٧) القصص/ ٥٧.
(٨) العنكبوت/٦٧.
(٩) التين/ ٣.

البلد الأمين هو مكة. قاله ابن عباس(ت ٦٨هـ) ومجاهد(ت١٠٤هـ) وقتاده(ت١١٨هـ) [١].

وقد جعل أمنا من عدة وجوه فقالوا :((وانما جعله أمنا بان حكم ان من والتجأ لا يخاف على نفسه مادام فيه بما جعله في نفوس العرب من تعظيمه فكان من فيه آمنا على ماله ودمه))[٢]. أي:((جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي آمنا اهله عن القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا إذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب))[٣] وكان أهل الحرم آمنين((يذهبون حيث شاءوا فإذا خرج أحدهم قال : إنا من أهل الحرم لم يعرض له أحد ، وكان غيرهم من الناس إذا خرج أحدهم قتل وسلب))[٤].

إنَّ الحرم الأمن هو مكة وماحولها وقد جعلها الله مأمنا بدعاء إبراهيم(عليه السلام) كانت آمنة وسط محيط من التخطف وهو استلاب الشيء بسرعة وكان حول مكة العرب يعيشون النهب والإغارة والقتل والسلب وأهل مكة آمنون بالحرم الآمن لا يتعرض لهم[٥].

يتحصل أن الحرم آمن وكان من حوله العرب في حالة من انعدام الآمن والقتل والاعتداء، ولكن كانت منطقة الحرم محل احترام وتقدير عند العرب فهم لا يغزون احد فيها ولا يقتلون ولا يسلبون.

إمَّا سبب التسمية فقالوا يأمن فيها الخائف:((وإنما سماه الله أمنا، لأنه كان في الجاهلية معاذا لمن استعاذ به، وكان الرجل منهم لو لقي به قاتل أبيه أو أخيه، لم يهجه ولم يعرض له حتى يخرج منه))[٦]. وقالوا :" الآمن أهله من سبي أو قتل؛ لأنَّ العرب كانت تكف عنه في الجاهلية أن تسبي فيه أحداً أحداً أو تسفك فيه دماً "[٧]. وقيل :((سماه أميناً؛ لأنه آمن... يقال أمن الرجل أمانة فهو أمين . قال

---

(١) ظ: الطبري/ ٢٤/ ٥٠٥، التبيان، الطوسي:٣٣٨/١٠، الميزان، الطباطبائي:١٨٠/٢٠، الامثل، مكارم الشيرازي:٣٥٠/٢٠.

(٢) الطوسي/ التبيان، ٤٥١/١.

(٣) الفيض الكاشاني/ التفسير الصافي، ١٢٤/٥.

(٤) السيوطي/ الدر المنثور، ٧/٨.

(٥) ظ: محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٧/١٦.

(٦) الطبري/ جامع البيان، ٢٩/٢.

(٧) الماوردي/ النكت والعيون، ٤٣٤/٤.

الفراء وغيره : الأمين بمعنى الآمن ، ويجوز أن يكون، فعيلاً بمعنى مفعول من أمنه؛ لأنه مأمون الغوائل))[١].

وفي تسميته بالأمين وجهان: **الوجه الاول:** إن مكة تحفظ الأرواح والأموال لمن التجأ إلى الحرم فمباح الدم من الحيوانات عند الالتجاء اليها آمن الصيد وحتى السباع، فهي تحفظ من التجأ إليها[٢]. **والوجه الثاني:**" ما روى أن عمر كان يقبل الحجر، ويقول: إنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه[واله] وسلم يقبلك ما قبلتك ، فقال له علي عليه السلام: إما أنه يضر وينفع إن الله تعالى لما أخذ على ذرية آدم الميثاق كتبه في رق أبيض ، وكان لهذا الركن يومئذ لسان وشفتان وعينان ، فقال : افتح فاك فألقمه ذلك الرق وقال: تشهد لمن وافاك بالموافاة إلى يوم القيامة ، فقال عمر : لا بقيت في قوم لست فيهم يا أبا الحسن"[٣].

ذهب المفسرون إلى أنَّ الله تعالى جعل الحرم آمن من خلال وجهين[٤]: **الأول: جعل تكويني:** هو هو جعل في نفوس الخلق، فان الله قدره وأوجد أسبابه، أي: طبع النفوس عليه من السكون إليه بترك حتى لا ينفر منه كالغزال والذئب، والحمام وغيرهم. **والثاني: حكم تشريعي:** أي بالأمر الوارد منه بما حكم به على العباد وأمرهم أن يؤمنوا من يدخله ويلوذ به، ولا يتعرض له. واختلف المفسرون في أنَّ مكة هل كانت آمنة قبل دعوة إبراهيم(عليه السلام) أو انها صارت آمنة بدعوته. **القسم الأول:** إنَّها كانت آمنة منذ ان خلق الله السماوات والأرض[٥]. **والقسم الثاني:** إنَّ الآمن تحصل بعد دعوة إبراهيم(عليه السلام)[٦].

ولبعض المفسرين رأي في الآمن الذي طلبه إبراهيم(عليه السلام) لمكة، فهم يرون أنَّها آمنة من الخسف والكوارث الطبيعية منذ أن خلقها الله ولكن الآمن الذي أراده إبراهيم هو آمن معيشي(اقتصادي)،

---

(١) الشوكاني/ فتح القدير، ٢٤/٨.

(٢) ظ: الرازي/ مفاتيح الغيب، ٩٧/١٧.

(٣) ابو عوانه(ت٣١٦هـ)/ مستخرج ابي عوانه، ٢٩٣/٤، ظ: ظ: الرازي/ مفاتيح الغيب، ٩٧/١٧.

(٤) ظ: الماوردي/ النكت والعيون،٢٨٠/٣الطوسي/ التبيان، ١٥٦/٨، ابن عاشور/ التحرير والتنوير،٤٧٢/١

(٥) ظ: الطوسي/ التبيان، ٤٥٥/١، الطبرسي/ مجمع البيان، ٣٥٠/١، ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ٤٧٢/١.

(٦) ظ: الماوردي/ النكت والعيون، ١٩٣/١، الزمخشري/ الكشاف، ٣٠٠/١، ابن كثير/ تفسير القران العظيم، ٥١٢/٤.

أي: توفير سبل العيش لأهلها فهم في وادي غير ذي زرع، وإنَّما سؤال إبراهيم أن تكون آمنة من الجذب والقحط[١].

وهناك رأي آخر هو أنَّ النبي إبراهيم بعد بناء الكعبة وأصبحت مكة بلدًا ذي أهل يعيشون فيه أراد لها آمن تشريعي، قال:((والدليل على أنه (عليه السلام) يريد بالأمن (الأمن التشريعي) الذي هو معنى اتخاذه حرما دون الأمن الخارجي من وقوع المقاتلات والحروب وسائر الحوادث المفسدة للأمن المخلة بالرفاهية قوله تعالى:﴿ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾[٢] فإن في الآية امتنانا عليهم بأمن الحرم وهو المكان الذي احترمه الله لنفسه فاتصف بالأمن من جهة ما احترمه الناس لا من جهة عامل تكويني يقيه من الفساد والقتل، والآية نزلت وقد شاهدت مكة حروبا مبيدة بين قريش وجرهم فيها، وكذا من القتل والجور والفساد ما لا يحصى، وكذا قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا ويتخطف الناس من حولهم ﴾[٣]، أي: لا يتخطفون من الحرم لاحترام الناس إياه لمكان الحرمة التي جعلناها. وبالجملة كان مطلوبه (عليه السلام) هو أن يكون لله في الأرض حرم تسكنه ذريته، وكان لا يحصل ذلك إلا ببناء بلد يقصده الناس من كل جانب فيكون مجمعا دينيا يؤمونه بالسكونة واللواذ والزيارة إلى يوم القيامة فلذلك سأل أن يجعله بلدا آمنا، وقد كان غير ذي زرع فسأل أن يرزقهم من الثمرات حتى يعمر بسكانه ولا يتفرقوا منه))[٤].

إنَّ ما ذهب اليه الطبرسي والرازي والطباطبائي أنَّ ليس المراد من الآمن عدم وقوع القتل أو القتال في الحرم إنَّما منع ذلك الله سبحانه من خلال تشريع حرمته، وأنَّ القتل والقتال فيه حرام وجاء هذا التشريع على لسان انبيائه إبراهيم والرسول محمد(صلى الله عليه وآله). على وفق هذا التفسير نستطيع أن نفهم معنى الآمن الوارد في القرآن الكريم من جهة، ومن جهة أخرى الأحداث التي حصلت في الحرم من قتل وقتال، ويرى الباحث أنَّ هذا المفهوم هو الذي من خلاله نفهم الآمن لا يقصد منع القتل والقتال إنَّما آمن تشريعي بحيث يعاقب الله منتهكه وجعله حرمة يجب حفظها.

---

(١) ظ: الطوسي/ التبيان: ٤٥٦/١، الطبرسي/مجمع البيان،٣٥٠/١، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣٣٥،٢/٢/ ٣٤٤.

(٢) القصص/٥٧.

(٣) العنكبوت/٦٧.

(٤) محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٢٤/٦.

وعند النظر الى سؤال إبراهيم نجده أول ما سأل ربه الأمن في أرض مكة وهذا يوضح أن الأمن نعمة وهي من أهم الشروط لحياة الانسان وسكنه فالمكان غير الأمن لا يمكن العيش والسكن فيه حتى لو توفرت النعم الأخرى، وان إستجابة الله لدعاء إبراهيم (عليه السلام) بخصوص أمن مكّة له فمن جهة منحها أمناً تكوينيّاً، ولذلك لم تشهد في تاريخها إلاّ النزر القليل من إخلال الأمن، ومن جهة ثانية منحها الأمن التشريعي، أي أنّ الله أقرّ أن يأمن جميع الناس، وحتّى الحيوانات، في هذه الأرض(١).

ناقش المستشرقون مسالة حرمة مكة والبيت الحرام، وذهب أغلبهم بأن مكة كانت تتمتع بأمن ممتاز نتيجة وجود الكعبة فيها، يقر أحدهم أنَّ الامتياز الديني كان يضمن لقريش سلامة أرزاقهم في منطقة بعيدة عن القبائل المحيطة بهم، ولكنه يرفض أنَّ مكة آمنة وأنَّ العرب المحيطين بها يحترمونها بل يقول: أنَّ بعض أصحاب المطامع المحيطين بمكة يندفعون أحيانا إلى منطقة الحرم وينهبون حتى الكعبة(٢). فهو يذهب إلى أنَّ الآمن في مكة كان سببه عقد قريش اتفاقات مع بعض القبائل لتوفير الحماية لمكة ولهم(٣).

لقد كانت مكة آمنة حتى انهم كانوا يصفون ذلك الآمن في اشعارهم(٤). وفي الحديث عن أسواق مكة والحج وأزدهار أسواقها ((وقد كان نشاط تلك الأسواق يتكثف ويزدهر في ظل الهدوء والامن والسلم الديني... وقد كان امتياز لأهل مدينة النبي محمد ان يسكنوا في حرم آمن ... وقد اعتبر القرآن ذلك رحمة ونعمة على أهل مكة))(٥). فهو يعتبر الأمن هو امتياز لأهل مكة وخاص بمنطقة الحرم فقط دون غيرها.

وفي تحليله قوله تعالى:﴿ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾(٦). إنَّ محمدًا (صلى الله عليه وآله) ظل مقتنعا ببقاء السلام الإلهي للحرم المكي لو غادر المكيون اعتقاداتهم الوثنية وانظموا إلى الإسلام وبهذا المعنى يمكن فهم الآية (٥٧) من

(١) ظ: ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل، ٥٣٤/٧.
(٢) ظ: لامنس/ دراسة المشترق لآمنس عن مكة(بحث)/ المندرج في كتاب المكة في الدراسات الاستشراقية/ ١٢
(٣) ظ: المصدر نفسه/ ٤٦.
(٤) ظ: كستر، دراسة المستشرق كستر عن مكة(بحث)/ المندرج في كتاب مكة في الدراسات الاستشراقية/ ٢٠٧.
(٥) رودي باريت، محمد والقران/ ٣٢.
(٦) القصص/٥٧.

سورة القصص[١]، ولكنه يرفض فكرة أنَّ ابراهيم هو من طلب الأمن لمكة أو يكون قد بنى الكعبة إنَّما مسألة الحرم والامن جاء نتيجة تقديس الوثنين العرب لمعبدهم الكعبة على حد وصفه، لأنه يرفض رفضاً قاطعا هجرة النبي ابراهيم وبنائه الكعبة وهذا تعصب مكشوف ؛ لأنَّه رأي بخلاف الأدلة[٢].

الخلاصة

١- مكة هي حرم آمن بالرغم ما كان حولها من انعدام للأمن ، وكانت تحظي منطقة الحرم محل احترام وتقدير عند العرب .

٢- وسمي بالآمن لأن الخائف يأمن فيه الجاهلية كان بحكم أن الله جعل في نفوس الناس احترام البيت وعدم انتهاك حرمة، وفي الإسلام كان الأمن فيه تشريعي.

٣- اختلف في أمن الحرم هل كان قبل دعوة ام بعده ، وذهب بعض المفسرين الى الأمن الذي طلبه إبراهيم (عليه السلام) هو أمن معيشي ، وأنَّ هي أمنة منذ ان خلقها الله تعالى.

٤- يرى المستشرقون أنَّ أمن مكة كان نتيجة تقديس العرب للكعبة.

خلاصةُ الفصلِ الأوَّل

١- البيت الحرام هو أول بيت وضع للناس فيه بركة وهدى، وكان قبلة للصلاة والعبادة حتى قبل عهد ابراهيم، فإن اكثر آراء العلماء قائمةٌ على أنَّ من بنى البيت هو آدم(عليه السلام). إنَّ البيت الحرام عتيق قديم قدم الخلق وقد نجا من الغرق ومن تسلط الجبابرة علية ومن أن يملكه أحد من الخلق. وإنَّ مباركاً احد مسميات البيت ذات القدسية وهي تعني أنَّه كثير البركة والخير وبركة دائمة ومستمرة.

٢- إن الدراسات الاستشراقية ترى على أنَّ مدينة(مكورابا) التي ذكرها الجغرافي بطليموس هي مكة وكانت تعني البيت حسب اللغة البابلية في حين رفضت المستشرقة الامريكية باتريشيا كرون تفسيرات مكة بأنَّها مكورابا ورجحت مكان مكورابا في مدينة البتراء.

٣- أُطلق المسجد الحرام في القرآن الكريم في بعض الأحيان على منطقة الحرم وهو من باب اطلاق الجزء على الكل، والبلد والبلدة والقرية وام القرى كلها مسميات يراد بها مكة.

---

(١) ظ: رودي باريت/ محمد والقران/٣٢.

(٢) ظ: المصدر نفسه / ١٩٦.

٤- أشارت التوراة إلى موطن إسماعيل(عليه السلام) بأسماء هي: (ميشا)، (فاران)، (مدبار).

٥- أشار العهد القديم الى وادي (بكة) بأنَّه مكان مقدس بارك الله فيه لإسماعيل وأمه هاجر (عليهما السلام)، ووادي (بكة) الوارد في العهد القديم اثبتته الدراسات التي قام بها الباحثون أنَّه وادي مكة. وأنّ لفظة (حراماً) اشارة إلى البيت الحرام وهو الذي لا يحل لأحد انتهاكه كون حرم الكعبة. الحرم الآمن، والبلد الآمن، والبلد الأمين كلها أوصاف لمكة وردت في القرآن الكريم ، وأنَّ مكة آمنة منذ ان خلقها الله سبحانه وتعالى وكان هذا الآمن من الخسوف والزلزال وغيرها، ولكنها بعد دعوة ابراهيم (عليه السلام) أصبحت آمنة من القحط والجدب، وأنَّ الأمن الذي أرادهُ لها إبراهيم هو أمن تشريعي.

الفصلُ الثّاني

البعدُ الدّينيّ لمكّةَ قبل الإسلام بينَ المفسّرينَ والمستشرقينَ

- المبحثُ الأوّلُ: البعدُ الدّينيّ لمكة قبل الإسلام عند المفسّرينَ.
- المبحثُ الثّاني: البعدُ الدّينيّ لمكة قبل الإسلام عند المستشرقينَ.

الفصلُ الثَّاني

البعدُ الدِّينيّ لمكَّةَ قبل الإسلام

بينَ المفسِّرينَ والمستشرقينَ

كان العرب في الجاهلية على مذاهب، فمنهم من آمن بالله والتوحيد، ومنهم من آمن بالله وتعبد بالأصنام بزعمهم أنَّها تقربهم من الله زلفى، ومنهم تعبد بالأصنام وزعم أنَّها تنفع وتضر، ولكن معظمهم يتمسك بإرث من ملة إبراهيم الخليل(عليه السلام)[١].

يقول أحد المؤرخين المعاصرين:" ومذهب اهل الاخبار ان العرب كانوا على دين واحد هو دين إبراهيم دين الحنفية ودين التوحيد ... وكان العرب مثل غيرهم ضلوا الطريق وعموا عن الحق وغووا بعبادتهم الاصنام حببها لهم الشيطان ومن اتبع هواه من العرب وعلى رأسهم ناشر عبادة الاصنام في جزيرة العرب عمرو بن لحي"[٢].

وذهب جوزيف ارنست رينان (١٨٢٣- ١٨٩٢):" إلى أن العرب هم مثل الساميين الاخرين موحدون بطبعهم وان ديانتهم هي من ديانات التوحيد "[٣]، نقلاً عن جواد علي[٤] .

وقال غيره من المستشرقين:" إنَّ المفهوم السامي العام للألوهية كان موجودا عند العرب أيضاً وربما كان سائداً بشكل عام "[٥].

منذ أن بعث الله نبيه إبراهيم عليه السلام وأمره ببناء البيت على التوحيد، واستوطنت ذريته مكة، ومعظم العرب يدينون بدينه، ويتبعون ملته فكانوا يعبدون الله ويوحدونه، ويلتزمون بشعائر دينه الحنيف، وظل الحال على ذلك قروناً من الزمان حتى بدأ الانحراف يدب إليهم مع طول العهد وتقادم الزمن، ولم

---

(١) ظ: أبو إسحاق النيجرمي(ت٣٥٥هـ)/ ايمان العرب في الجاهلية/ ١٢ .

(٢) جواد علي / المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام /٦/٣٤

(٣) Ency, Religi, Vol, II, p. 383 (مصدر اجنبي غير مترجم) .

(٤) جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام /٦/٣٤-٣٥ .

(٥) رودي باريت/ محمد والقران /٢٣.

يبقَ من التوحيدي الخالص البعيد عن عبادة الاوثان إلا أقلية من الناس منهم عائلة الرسول محمد(صلى الله عليه واله) وكانوا يسمون بالأحناف[١].

والرأي الشائع بين الناس أنَّ العرب في الجاهلية كانوا على قدر كبير من الانحطاط الديني، وأنَّ تفكيرهم في ذلك لا يتجاوز القبائل البدائية وهو رأي خاطئ يفنده القرآن الكريم، لأن ملامح التوحيد في جزيرة العرب تصب كلها إلى وجود التوحيد الرباني الذي كان قائما في وقت ما وقد ذكرَ القرآن الكريم هذا المنحنى [٢] بقوله تعالى﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[٣].

فقد قالت مستشرقة واصفة ديانة قريش:" ان قريش كانت تؤمن بالله رب السماوات ولكنهم بنفس الوقت استمروا في عبادتهم للآلهة الأخرى "[٤].

إذن هناك جذور توحيدية عند العرب قبل الإسلام بقيت بعض طقوسها حتى ظهور الإسلام ، ولبيان البعد الديني لمكة قبل الإسلام خصصنا هذا الفصل ، لبيانه عند المفسرين والمستشرقين ، وقد خصصنا كلٌّ منهما مبحثًا خاصًا به . وقد بدأنا بـ(المفسرين)

(١) ظ: عماد الصباغ / الاحناف / ٧-٨ .

(٢) ظ: جرجس داود/ اديان ومعتقدات العرب قبل الاسلام/ ٤٧-٤٨ .

(٣) الزخرف/ ٨٧.

(٤) كارين ارمسترونج / سيرة النبي محمد /١٠٩ .

المبحث الأول

البعدُ الدِّينيّ لمكة قبل الإسلام عند المفسِّرينَ.

المطلب الأوَّلُ: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بالأنبياء ومكَّة.

المطلب الثاني: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بديانة العباد.

المبحثُ الأوّلُ: البعدُ الدّينيّ عند المفسّرينَ

الإنسان بوصفه كائنًا إجتماعيًا له حاجات كثيرة تتعدى لقمة العيش ومن بين هذه الحاجات حاجته إلى التدين ، فالدين ظاهرة متأصلة في الإنسان منذ أن وجد على ظهر الأرض لأنَّه نظام إجتماعي يقوم بخدمة وظائف حيوية لها أهميتها للفرد وللمجتمع على حد سواء والعرف والقانون يعينها على أداء مهمتها في المجتمع . فاللدين دور هام في عملية التماسك الاجتماعي والتآلف بين الأفراد المكونين للمجتمع ، ذلك أنّه يوحد بين هؤلاء الأفراد في القيم والأهداف والمعاني ، ويسوغ هذه القيم مما ينسق تفاعل الافراد ويدعو إلى التعاون بينهم فضلاً عن قيامه بتوحيد صفوفهم ، ونلمس ذلك واضحاً فيما فعله الاسلام في مجتمع الجزيرة العربية فقد الف بين قلوبهم ومكنهم من الانتشار وإلحاق الهزيمة بأعدائهم ، لم يكن الدين عملًا فرديًا أو محاولة شخصية لا ظهار الروح الإنسانية ، بل هو عملية حية متبادلة بين الانسان والقوى فوق الطبيعة والاديان القديمة غالباً هي جماعية تتعلق بالقبيلة كلها فالإله هو للقبيلة يحميها ويشمل برعايته أفرادها كافة[١].

وقد كان لعرب ما قبل الإسلام على وفق هذا المفهوم العام للدين حياة دينية متنوعة تمتد جذورها إلى حقب تاريخية قديمة وقد اتخذت صورًا واشكالاً مختلفة تبعًا لتطورهم الثقافي وطبيعة ظروف حياتهم الإقتصادية والإجتماعية ، لقد كانت دياناتهم قبل الاسلام متباينة مختلفة فكان غالبيتهم وثنين وهم الذين عبدوا الأصنام وحجوا البيت واعتمروا ومارسوا طقوس العبادة من إحرام وطواف وسعي ووقفوا المواقف كلها[٢] وحصل أصل الشرك من طريق التقرب الى الله بالتماثيل والأصنام، ثم تحولوا تدريجيًا إلى عبادة الأصنام نفسها وشبوا على تعظيم الكعبة[٣].

(١) ظ: صلاح عباس حسن السوداني / الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الإسلام / ٢٦٨-٢٦٩ .
(٢) ظ: القلقشندي / نهاية الارب في معرفة انساب العرب/٤٥٢ .
(٣) ظ: المسعودي / مروج الذهب ، ٢ / ١٠٢ .

المطلبُ الأوّلُ: النُّصوص القرآنيّة المتعلّقة بالأنبياء ومكَّة

الفرعُ الأوَّلُ: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بإبراهيم وإسماعيل

ورد أسم إبراهيم(عليه السلام) في تسعة وستين موضعًا من القرآن الكريم وتحدث عنه في آيات تتوزع بين خمس وعشرين سورة، والقرآن أثنى كثيرًا عليه وذكره بصفات عظيمة وأنَّه لقدوة وأسوة حسنة في كل المجالات ونموذج للإنسان المتكامل، ووصفه القرآن بانَّه من ﴿ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[1] ومن ﴿ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[2] و ﴿ قَانِتًا ﴾ [3] و﴿ صِدِّيقًا ﴾[4] و﴿ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴾ [5] و ﴿ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴾[6] [7].

قسم الاخباريون والمفسرون حياة إبراهيم (عليه السلام) المليئة بالأحداث الى ثلاث فترات:

الأولى: فترة ما قبل النبوة ، والثانية: فترة النبوة ومحاربة للأصنام في بابل، والثالثة: فترة الهجرة من بابل وتجواله في أرض مصر وفلسطين ومكة. والمرحلة الثالثة هي التي تعني دراستنا.

ولد النبي إبراهيم(عليه السلام) في مدينة (بابل)، وقيل في (أور) التي تتبع لبابل، وسط أجواء من التعتيم بكون الملك البابلي النمرود الذي أخبره الكهنة وأرباب المعابد والمنجمين بانَّه سيولد ولد ينال من آلهة بابل وملكها ولهذا قد عملت حكومة النمرود في البحث عن هذا المولود، ولكنه ولد خفية وتربى بمعزل عن الناس حتى لا يعرف بشأنه، ونسبه يرجع إلى النبي نوح(عليه السلام) واختلف كثير حول والده هل هو صانع الأصنام آزر أم غيره، والمتحصل أنَّ آزر كان عمه لان إبراهيم يتيم وقد تكفل به عمه، وهو رأي مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، بخلاف رأي بعض اعلام مدرسة الصحابة ذهبوا إلى أنَّه أبيه ، والأمر راجع إلى خطاب إبراهيم لآزر بـ(ياأبتي) بنص القرآن ، وإلى القول أنَّ الأنبياء

(١) الصافات/ ١٠٥.
(٢) النحل/ ١٢٢.
(٣) النحل/ ١٢٠.
(٤) مريم/ ٤١.
(٥) التوبة/ ١١٤.
(٦) النجم/ ٣٧.
(٧) ظ: الطباطبائي/ الميزان، ١١٨/٧.

والأوصياء لا يولدون إلا من آباء موحدين ، فمن قال بأبوة آزر تمسّك بظاهر القرآن[١]، ومن تبنى بعمومة آزر تمسّك بـ(العصمة)[٢] .

فلما بلغ مرحلة الرشد نزلَ إبراهيم(عليه السلام) إلى المجتمع يشرح لهم دروس التوحيد التي استلهما من دخيلة نفسه وتأملاته الفكرية، وهو بذلك تحمل أعباء الرسالة في مرحلة مبكرة من حياته، ولا يمكن تحديد العمر الذي بعث فيه إبراهيم بالنبوة ولكن المؤرخين ذهبوا إلى أنَّه حين القي في النار كان عمره ست عشرة سنة أي كان في ريعان شبابه ويؤيده أنَّ من اتهموه بتحطيم الأصنام حين قالوا ﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾[٣]، وقد حطَّم الأصنام التي يعبدها قومه، أدى ذلك بهم إلى أن يحرقوه وينصروا آلهتهم، فاجمعوا الحطب واشعلوا نارًا والقوه فيها وأن النار التي اشعلوها كانت كبيره لدرجة أن حرارتها تحرق الطير إذا مر في السماء بقربها وكذلك لم يستطيعوا أن يقتربوا منها ويلقونه فيها فاستخدموا المنجنيق وقذفوه بوسط تلك النار ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾[٤]، لكن الله الذي بيده بيده كل شيء حتى النار لا تحرق إلا بأذنه شاء أن يخرج منها إبراهيم حيًا سالما من وسط تلك النار بعد أن تحولت إلى برد وسلام ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[٥] خرج وسط ذهول الجميع، وحاجج النمرود ودعاه الى عبادة الله الواحد الأحد ولكن النمرود رفض تلك الدعوة وجادل إبراهيم مستخدمًا المغالطات، وقد صور القرآن الكريم ذلك ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٦][٧].

---

(١) ظ: الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣٣٦/٦، ابن كثير/ تفسير القران العظيم، ٢٨٨/٤، ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ٤٦٥/١.

(٢) ظ: الطوسي/ التبيان، ١٧٤/٤، الطباطبائي/ الميزان، ٣١٥/٢، ناصر مكارم الشيرازي/ الامثل، ٣٤٣/٤.

(٣) الأنبياء/ ٦٠.

(٤) الأنبياء/ ٦٨.

(٥) الانبياء/٦٩.

(٦) البقرة: ٢٥٨.

(٧) ظ: الطباطبائي/ الميزان،١١٨/١، ناصر مكارم الشيرازي/ قصص الأنبياء/ ٨٦-٩١.

أولا: هجرة إبراهيم(عليه السلام) من بابل

بعد أن هزت معجزات إبراهيم (عليه السلام) أركان بابل فكان لابُدَّ أن يخرج لأن النمرود لم يعد يطيق وجود إبراهيم (عليه السلام) في دولته، ومن جهة أخرى فإنَّه قد أدى رسالته في بلاد بابل ، ولذلك صمم على الهجرة الى موطن آخر لإيجاد أرضية لرسالته هناك فهاجر إلى الشام ومعه زوجته (ساره) وابن أخيه لوط وثلة من الذين آمنوا معه من أهل بابل، حيث استقروا في نهاية تجوالهم بارض فلسطين، وأكمل إبراهيم (عليه السلام) رحلته في التبليغ برسالته إلى مصر وقد حل عليها ولكنه سرعان ما غادرها وعاد أدراجه الى فلسطين وقد تزوج من امرأة مصرية يقال لها (هاجر) قد أعطيت كهدية من فرعون مصر إلى زوجته الأولى سارة [١].

ثانيًا: انتقال إسماعيل (عليه السلام) وهاجر إلى مكة

مرت سنوات طوال وإبراهيم (عليه السلام) يدعو ربه أن يرزقه ولدًا صالحًا، قَالَ تَعَالَى:﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[٢]، وأخيرًا أستجاب الرَّبُّ لدعائه، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[٣]، فوهب له إسماعيل وبعده إسحاق وكان كلٌ منهما نبياً. وذهب المؤرخون إلى أنَّ حسد سارة على هاجر وابنها أدى بإبراهيم إلى أن يأخذ هاجر وإسماعيل الرضيع إلى مكة ويسكنهم فيها[٤]، وتلك الآراء التي ذهب اليها بعض المؤرخين لا يمكن القبول بها لأنَّ إبراهيم (عليه السلام) حين سالته هاجر عن سبب وضعهم في وادي مكة الجاف وسط الصحراء أجابها بأنَّ ربي أمرني بذلك[٥].

وعلى كل حال فقد امتثل إبراهيم لأمر ربه وأسكن هاجر وإسماعيل في وادي مكة بين الجبال، وهم بالرجوع الى فلسطين فضجت هاجر وطفلها بالبكاء فهز ذلك إبراهيم فدعا ربه من الأعماق ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ

(١) ظ: د. محمد شحرور/ القصص القرآني قراءة معاصرة ، ١٠١/٢-١٠٢ .
(٢) الصافات/ ١٠٠.
(٣) العنكبوت/ ٢٧.
(٤) ظ: الطبري/ جامع البيان، ١٩/١٧.
(٥) ظ: ناصر مكارم الشيرازي/ قصص الأنبياء/ ٩٥.

إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾[1]، وفي هذه الآية اختلف المفسرون فقد ذهب القسم الأغلب منهم إلى أن هذا الدعاء قاله إبراهيم حين اسكن إسماعيل وهاجر مكة[2]، بينما ذهب آخرون إلا أن إبراهيم (عليه السلام) قال هذا الدعاء في آخر عمره حين أصبحت مكة بلد ذات أهل[3]. وقول إبراهيم (عليه السلام) بعض ذريتي يراد به اسماعيل دون اسحاق، قال بعض المفسرين:" أي بعض ذريتي وهو إسمعيل ومن ولد منه (بِوَادٍ) هو وادي مكة (غَيْرِ ذِى زَرْعٍ) أي ليس فيه شيء من زرع "[4].

ثالثًا: جغرافية سكن إسماعيل (عليه السلام) وأمه

تقع مكة في وادٍ ضيق قاحل طويل الجبال، وتشرف الجبال عليه فتزيد من قسوة مناخه، وصف القرآن الكريم هذا الوادي بقوله ﴿ بِوَادٍ غَيۡرِ ذِى زَرۡعٍ ﴾[5]، ليس فيها ماء، غير ماء زمزم، وآبار أخرى مياهها مالحة حفرها أصحاب البيوت، وليس فيها مياه جارية أو أنهار، وأن الجبال تحيط بها وتضيق عليها ولكن هذه الجبال قد سهلت مهمة الدفاع عنها، وأن لهذه الجبال وديان وسهول تجري فيها السيول بعد الأمطار، وكثيرًا ما تهدد هذه السيول أودية مكة وتغرقها في بعض الأحيان، وقد أغرقت تلك السيول الكعبة مرات عدة، قبل الإسلام وبعده، وفي تلك الجبال شعب كانت ملاذًا لمن يكرهه أهل مكة أو يكرهونه، وفي أحد تلك الشعب حوصر بني هاشم وتمت مقاطعتهم وذلك لوقوفهم بجانب الرسول، ودافعوا عنه ومنعوا قريش من التعرض له ولا سيما عبد المطلب وبعده أبو طالب، وكذلك اتخذ المسلمون من بعض الشعب مركزًا يقيمون به طقوسهم[6].

وتقع مكة بين درجتي عرض (٢١-٢٨) شمالا، وبين خطي طول (٣٠-٣٨) شرقا، ضمن منطقة الحجاز، وهي المنطقة التي تمتد فيها سلسلة جبال السراة، مخترقة شبه الجزيرة العربية من شمالها

---

(١) إبراهيم: ٣٧.

(٢) ظ: الطبري/ جامع البيان، ١٩/١٧، الماوردي/ النكت والعيون، ٣٣٤/٢، الطوسي/ التبيان، ٢٥٩/٦، ابن عطيه/ المحرر الوجيز،١٠٨/٤، الثعلبي/ الكشف والبيان، ٣٢٦/٧، الطبرسي/ مجمع البيان، ٧٢/٦، ابن كثير/ تفسير القران العظيم، ٤٢٧/١، السيوطي/ الدر المنثور، ٢٤٢/١، الحويزي/ نور الثقلين، ١١٠/٤، ناصر مكارم الشيرازي/ الامثل: ٤٥٣/١.

(٣) ظ: الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣٤٤/٢، الطباطبائي/ الميزان، ٣٨/١٢.

(٤) المصدر نفسه ، ٢٦٠/٩.

(٥) إبراهيم/ ٣٧ .

(٦) ظ: جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب، ٥/٧، صالح العلي/ تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية /١٢٩-١٣٠.

الى جنوبها[١]، وسميت بالحجاز لأنها تحجز بين نجد وتهامة، أي تحجز بين ساحل البحر الأحمر وبين المنطقة الواسعة الممتدة شرقي هذه الجبال حتى الخليج العربي[٢].

قال أحد المؤرخين :" ومكة بين جبال عظام وهي أودية ذات شعاب، فجبالها المحيطة بها: أبو قبيس الجبل الأعظم منه تشرق الشمس على المسجد الحرام، وقعيقعان، وفاضح، والمحصب، وثور عند الصفا، وحراء، وثبير، وتفاحة، والمطابخ، والفلق، والحجون، وسقر"[٣].

وعلى الرغم من إحاطة الجبال بمكة فلها ثلاثة منافذ، منفذ اليمن، ومنفذ بلاد الشام، ومنفذ البحر الأحمر، الذي يبعد عنها قرابة (٨٠) كيلو مترًا، وموقعها هذا، جعلها في طريق القوافل التجارية، فهو موقع يتوسط الطريق التجاري بين اليمن وبلاد الشام[٤].

إنَّ شدَّة الحرارة في مكة جعل بعض أهلها يهرعون الى الظلال في أكناف الجبال المحيطة بالوادي، كي يحتمون بها من الحر، فإنَّ صيف مكة حار جاف، ممَّا زاد من القساوة شحة المياه فيها، جعلت من مهمة توفير المياه لأهلها مهمه ليست يسيرة، حتى ان سقاية الحجاج كانت من الوظائف الحيوية في مكة، وفضيلة عظيمة في نظر اهلها[٥].

أمَّا الأمطار فهي تسقط في فصلي الخريف والشتاء ولكن سقوطها متفاوت ربما تمر سنة دون أن تسقط، وامطارها قليله، ولهذا كانت ميائها شحيحة، ولكن في بعض الأحيان يكون سقوطها غزيز وتتشكل السيول، فكان المكِّيون يعيشون رعب السيول، وتاريخ مكة يشهد على ذلك فقد حدثت سيول مدمرة اجتاحت الوادي، والاخباريون نقلوا ذلك أنَّ عدد منها حصل منذ عهد جرهم، وحصلت سيول في عهد خزاعة، والأخير كان مدمر فأحاط بالكعبة، وجرف معه امرأة من بني بكر كانت قد أغرقت من السيول يقال لها فارة ولهذا سمي السيل باسمها[٦].

---

(١) ظ: سلوى بوشارب / مكة وعلاقتها بالحواضر الحجازية والدول المجاورة /١١.

(٢) ظ: الاصفهاني/ بلاد العرب/١٤.

(٣) اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢هـ)/ البلدان/ ٢٠٩.

(٤) ظ: سلوى بوشارب/ مكة وعلاقتها بالحواضر الحجازية والدول المجاورة /١٢-١٣.

(٥) ظ: صالح العلي/ مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول/ ٢٦/١.

(٦) ظ: الازرقي/ اخبار مكة ،١٦٦/٢-١٦٧.

في هذا الوادي القاحل وضع إبراهيم هاجر وطفلها وعاد الى فلسطين، وفي حديث طويل عن هشام بن الحكم عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنَّه قال: أنَّ إبراهيم (عليه السلام) كان نازلا في بادية الشام فلما ولد له من زوجته هاجر إسماعيل اغتمت سارة من ذلك غما شديدا لأنه لم يكن له منها ولد وكانت تؤذي ابراهيم في هاجر وتغمه فشكا إبراهيم ذلك إلى الله (عزوجل) فاوحى الله اليه أن يخرج اسماعيل وامه، فقال يا رب إلى اي مكان؟ قال إلى حرمي وامني واول بقعة خلقتها من الارض وهي مكة فانزل الله تعالى عليه جبرائيل فحمل هاجر واسماعيل وكان ابراهيم لا يمر بموضع حسن فيه شجر ونخل وزرع الا قال يا جبرئيل إلى ههنا إلى ههنا فيقول لا امض، امض حتى اتى مكة فوضعه في موضع البيت ، فلما نزلوا في ذلك المكان كان فيه شجرة فالقت هاجر على ذلك الشجر كساء وكان معها فاستظلوا تحته فلما سرحهم ابراهيم ووضعهم واراد الانصراف منهم إلى سارة قالت له هاجر يا ابراهيم لم تدعنا في موضع ليس فيه انيس ولا ماء ولا زرع فقال ابراهيم الله الذي امرني ان اضعكم في هذا المكان ، ثم انصرف عنهم فلما بلغ كداء وهو جبل بذي طوى التفت اليهم ابراهيم فقال: ﴿ رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾[1][2]، ثم مضى وبقيت هاجر فلما ارتفع النهار عطش اسماعيل وطلب الماء فقامت هاجر في الوادي في مضوع المسعى ونادت هل في الوادي من انيس، فغاب عنها اسماعيل فصعدت على الصفا ولمع لها السراب في الوادي وظنت انه ماء فنزلت في بطن الوادي وسعت فلما بلغت المسعى غاب عنها اسماعيل ثم لمع لها السراب في ناحية الصفا فهبطت إلى الوادي تطلب الماء فلما غاب عنها اسماعيل عادت حتى بلغت الصفا فنظرت حتى فعلت ذلك سبع مرات فلما كان في الشوط السابع وهي على المروة نظرت إلى اسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجله فعادت حتى جمعت حوله رملا فانه كان سائلا فزمته بما جعلته حوله فلذلك سميت (زمزم)[3]، وكانت جرهم نازلة بذي المجاز وعرفات فلما ظهر الماء بمكة عكفت الطير على الماء فنظرت جرهم إلى تعكف الطير على ذلك المكان فاتبعوها حتى نظروا إلى امرأة وصبي في ذلك الموضع قد استظلوا بشجرة وقد ظهر الماء لهما فقالوا لهاجر من انت وما شأنك وشأن هذا الصبي؟ فقالت انا أم ولد إبراهيم خليل الرحمن وهذا ابنه امره

(١) إبراهيم/ ٣٧ .

(٢) ظ: القمي/ تفسير القمي ، ١/٦٠.

(٣) ظ: الطبرسي، مجمع البيان، ١/٣٢٥ .

الله أن ينزلنا هيهنا فقالوا لها إيها المباركة أفتاذني لنا أن نكون بالقرب منكما؟ فقالت حتى يأتي ابراهيم فلما زارهم ابراهيم (عليه السلام) يوم الثالث فقالت هاجر يا خليل الله أن ههنا قوما من جرهم يسألونك ان تأذن لهم حتى يكونوا بالقرب منا افتأذن لهم في ذلك فقال ابراهيم نعم فأذنت فنزلوا بالقرب منهم وضربوا خيامهم فآنست هاجر واسماعيل بهم فلما زارهم ابراهيم في المرة الثالثة نظر إلى كثرة الناس حولهم فسر بهم سرورا شديدا فلما ترعرع اسماعيل عليه السلام وكانت جرهم قد وهبوا لإسماعيل كل واحد منهم شاة وشاتين فكانت هاجر واسماعيل يعيشان بها [١].

ومن تلك القصة بدأ تاريخ السكن في مكة فقبل ذلك لم تكن مكة سوى جبال جرداء لا ماء فيها ولكن بعد ان أسكن إبراهيم (عليه السلام) زوجته هاجر وابنه إسماعيل فيها بنيت مكة وأصبحت بلد ذا اهل[٢].

وفي أسباب وضع البيت في وادي مكة ورد :((إن الله تعالى وضعها بواد غير ذي زرع ، والحكمة من وجوه أحدها : إنه تعالى قطع بذلك رجاء أهل حرمه وسدنة بيته عمن سواه حتى لا يتوكلوا إلا على الله وثانيها: أنه لا يسكنها أحد من الجبابرة والأكاسرة فإنهم يريدون طيبات الدنيا فإذا لم يجدوها هناك تركوا ذلك الموضع ... وثالثها: أنه فعل ذلك لئلا يقصدها أحد للتجارة بل يكون ذلك لمحض العبادة والزيارة فقط ورابعها: أظهر الله تعالى بذلك شرف الفقر حيث وضع أشرف البيوت في أقل المواضع نصيباً من الدنيا، فكأنه قال : جعلت الفقراء في الدنيا أهل البلد الأمين ، فكذلك أجعلهم في الآخرة أهل المقام الأمين ، لهم في الدنيا بيت الأمن وفي الآخرة دار الأمن وخامسها : كأنه قال : لما لم أجعل الكعبة إلا في موضع خال عن جميع نعم الدنيا فكذا لا أجعل كعبة المعرفة إلا في كل قلب خال عن محبة الدنيا))[٣].

---

(١) ظ: الطباطبائي/ الميزان، ١٦٧/١، الطبرسي / مجمع البيان ، ٣٥٢/١، والطبري اورد الحديث بنفس المعنى ولكن عن طريق اخر فقد رواه عن ابن عباس. ظر: الطبري/ جامع البيان، ١٩/١٧-٢٠، وتبع الطبري عدة مفسرين في نقل الحديث بنفس سند الطبري منهم ابن كثير في تفسيره، ٤٢٧/١-٤٢٩، الثعلبي في الكشف والبيان، ٣٢٦/٧-٣٢٧، والسيوطي في الدر المنثور، ٦٩/٦.

(٢) ظ: الطباطبائي/ الميزان، ١١٨/١.

(٣) الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣١٠/٤.

رابعًا: بناء الكعبة

جاء الأمر الى إبراهيم (عليه السلام) لبناء البيت الحرام وذلك بعد ان عين موضعه ودل عليه في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[1].

جاء في بعض كتب التفسير:((وتقصد هذه الآية حسبما يراه المفسّرون أنّ الله هدى إبراهيم (عليه السلام) إلى مكان الكعبة بعد أن هدمت بطوفان نوح وخفيت معالمها. إذ حدثت عاصفة فأزالت التراب وكشفت عن أُسس البيت، أو بعث الله سحابة ظلّلت مكان البيت، أو بأيّ أُسلوب آخر كشف الله لإبراهيم (عليه السلام) أسّس الكعبة، فقام هو وإبنه إسماعيل (عليهما السلام)بتجديد بناء بيت الله الحرام))[2].

والحالة التي كان عليها البيت قبل إبراهيم (عليه السلام) على قول أهل الأخبار:((كان موضعُ الْكَعْبَةِ قَد خَفِيَ، وَدَرَسَ في زمن الغرق فيما بين نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) ، قال: وكان موضعه أَكَمَةً حمراء مَدَرَةً لَا تعلوها السيول غير أَنَّ النَّاسَ يعلمون أَنَّ موضع البيت فيما هنالك، وَلَا يثبت موضعه... وكان الناس يبحجون إِلَى موضع البيت حَتَّى بَوَّأَ اللَّهُ مكانه إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لما أراد من عمارة بيته، واظهار دينه وشرائعه، فلم يزل منذ أَهْبَطَ اللَّهُ آدَمَ (عليه السلام) إِلَى الْأَرْضِ مُعَظِّمًا مُحَرِّمًا بَيْتَهُ تتناسخه الْأُمَمُ، والملل أُمَّةٌ بعد أُمَّةٍ، وَمِلَّةٌ بعد مِلَّةٍ "، قال: وقد كانت الْمَلَائِكَةُ تَحُجُّهُ قبل آدَمَ))[3].

اختلف المؤرخون في تاريخ بناء الكعبة على أقوال وقد ذكر القرآن الكريم إنَّ الله تعالى أمر نبيه إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما السلام) أن يعيدا بناء الكعبة على أسها الأول، فأعادا بناءها، كما أنزل في القرآن، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[4]، فان الكعبة نُبيت أولا بيد آدم ثم انهدمت في طوفان نوح، ثم أعيد بناؤها على يد إبراهيم وإسماعيل[5].

---

(١) الحج/ ٢٦.

(٢) ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل، ٣٢٠/١٠.

(٣) الازرقي/ اخبار مكة، ٥٢/١-٥٣.

(٤) البقرة: ١٢٧.

(٥) ظ: ناصر مكارم الشيرازي/ الامثل ، ٣٨٣/١.

ذهب المفسرون أن الكعبة قد بناها آدم (عليه السلام)، ثم اندرس أثرها بعد الطوفان، وبقيت الأساسات فجدد إبراهيم بناءها على نفس الاساسات والموضع الذي بناه آدم وهذا عليه أغلب المفسرين والاخباريين[١]. وإن الذين ذهبوا إلى هذا القول من المفسرين عللوا ذلك بعدة أمور أولها أن إبراهيم حين اسكن هاجر وابنها إسماعيل قال ﴿ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾ هذا يعني أن إبراهيم كان يعرف مكان البيت على نحو الاجمال دون التفصيل ، أو على نحو التحديد بمعنى يعلم المنطقة ولا يعلم الأساسات منها، فبالقرائن أهتدى إليها كالسحابة ونحوها، والامر الثاني أن تلك القواعد كانت موجودة متهدمة إلا أن إبراهيم (عليه السلام) رفعها وعمرها[٢].

لكن ذهب غيرهم إلى أنَّ إبراهيم وإسماعيل هما أول من بنى الكعبة وليس آدم حيث قال أحدهم:((... ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُمَا هُمَا اللَّذَانِ بَنَيَا هَذَا الْبَيْتَ لِعِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى فِي تِلْكَ الْبِلَادِ الْوَثَنِيَّةِ، وَلَكِنَّ الْقَصَّاصِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ جَاءُونَا مِنْ ذَلِكَ بِغَيْرِ مَا قَصَّهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْنَا، وَتَفَنَّنُوا فِي رِوَايَاتِهِمْ عَنْ قِدَمِ الْبَيْتِ، وَعَنْ حَجِّ آدَمَ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَيْهِ، وَعَنِ ارْتِفَاعِهِ إِلَى السَّمَاءِ فِي وَقْتِ الطُّوفَانِ، ثُمَّ نُزُولِهِ مَرَّةً أُخْرَى، وَهَذِهِ الرِّوَايَاتُ يُنَاقِضُ أَوْ يُعَارِضُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَهِيَ فَاسِدَةٌ فِي تَنَاقُضِهَا وَتَعَارُضِهَا، وَفَاسِدَةٌ فِي عَدَمِ صِحَّةِ أَسَانِيدِهَا، وَفَاسِدَةٌ فِي مُخَالَفَتِهَا لِظَاهِرِ الْقُرْآنِ، وَلَمْ يَسْتَحِ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ إِدْخَالِهَا فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَإِلْصَاقِهَا بِهِ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْهَا))[٣].

ويبدو أن الذي ذهب اليه صاحب المنار غير صحيح من وجهة نظر بعض المفسرين المعاصرين، إذ((ما ذكره لا يخلو من وجه في الجملة، إلا أنه أفرط في المناقشة، فاعترضه من خبط القول ما هو أردى وأشنع. أما قوله: إن هذه الروايات فاسدة أولا من جهة التناقض والتعارض وثانيا من جهة مخالفة الكتاب، ففيه أن التناقض أو التعارض إنما يضر لو أخذ بكل واحد واحد منها، وأما الأخذ بمجموعها من حيث المجموع بمعنى أن لا يطرح الجميع لعدم اشتمالها على ما يستحيل عقلا أو يمنع نقلا فلا يضره التعارض الموجود فيها وإنما نعني بذلك: الروايات الموصولة إلى مصادر العصمة، كالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والطاهرين من أهل بيته، وأما غيرهم من مفسري الصحابة، والتابعين،

(١) ظ: الطوسي/ التبيان، ٣٥٢/١، الثعلبي/الكشف والبيان، ٢٣٦/١، ابن كثير/ تفسير القران العظيم ، ٤٣٢/١، البغوي/ معالم التنزيل، ١٤٩/١، ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل، ٣٨٢/١.

(٢) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٥٧/٣، السيوطي/ الدر المنثور، ٢٤٥/١.

(٣) محمد رشيد رضا/ المنار، ٣٨٣/١.

فحالهم حال غيرهم من الناس وحال ما ورد من كلامهم الخالي عن التناقض، حال كلامهم المشتمل على التناقض وبالجملة لا موجب لطرح رواية، أو روايات، إلا إذا خالفت الكتاب أو السنة القطعية، أو لاحت منها لوائح الكذب والجعل، كما لا حجية إلا للكتاب و السنة القطعية، في أصول المعارف الدينية الإلهية. فهناك ما هو لازم القبول، وهو الكتاب والسنة القطعية، وهناك ما هو لازم الطرح، وهو ما يخالفهما من الآثار، وهناك ما لا دليل على رده، ولا على قبوله، وهو ما لا دليل من جهة العقل على استحالته، ولا من جهة النقل أعني: الكتاب و السنة القطعية على منعه. وبه يظهر فساد إشكاله بعدم صحة أسانيدها فإن ذلك لا يوجب الطرح ما لم يخالف العقل أو النقل الصحيح))[١].

إذن يتحصل أنَّ القرائن القرآنية والروائية تؤيد أن الكعبة بنيت أوّلا بيد آدم، ثم هدمت في طوفان نوح، ثم أُعيد بناؤها على يد إبراهيم وإسماعيل. وعدم صحة إشكال صاحب المنار، الذي ينكر هذا الموضوع ، ويرى أن إبراهيم وإسماعيل هما أول من بنى الكعبة.

وفي معنى القواعد قال المفسرون أنَّه يراد بها الاساسات التي يرتكز عليها البناء او السافات بين الأسطر[٢].

ويؤيده قول أحدهم:((قوله: (وَإِذْ يَرْفَعُ) حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الأساس، والأصل لما فوقه، وهي صفة غالبة، ومعناها الثابتة، ومنه أقعدك الله أي أسأل الله أن يقعدك، أي: يثبتك ورفع الأساس البناء عليها ، لأنها إذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز أن يكون المراد بها سافات البناء لأن كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه، ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لأنه إذا وضع سافاً فوق ساف فقد رفع السافات))[٣].

والقواعد جمع قاعدة وهي ما قعد من البناء على الأرض، واستقر عليه الباقي، ورفع القواعد من المجاز بعد ما يوضع عليها منها، ونسبة الرفع المتعلق بالمجموع إلى القواعد وحدها[٤]، أي: إنَّ

---

(١) محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٦٩/١.

(٢) ظ: الطبري/ جامع البيان، ١/ ٤٥٩، الماوردي/ النكت والعيون، ٩٣/١، الطبرسي/ مجمع البيان، ٣٥١/١، ابن كثير/ تفسير القران العظيم، ٤٣٣/١، السيوطي/ الدر المنثور، ٢٤٥/١.

(٣) الرازي/ مفاتيح الغيب ، ٣٤٧/٢.

(٤) ظ: محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٦٣/١.

المفسرين في تفسيرهم للقواعد يقولون هي الأساسات وسافات البناء وأنَّ إبراهيم وإسماعيل قد رفعا أساسات البيت بالبناء.

اعترض باحث معاصر على ما ذهب اليه المفسَّرون فقال:((إننا لا نعرف سبباً يدعو المفسرين على الإصرار منفردين بعيداً عن أهل الاخبار وغيرهم على أن القواعد هي الأساسات والسافات بلغة المعماريين عند الرازي وان إبراهيم وإسماعيل هما اللذان رفعا قواعد البيت وأساساته رغم انف الدلائل القرآنية التي تشير الى ذلك))[١]. ويضيف قائلا:((اذا كان الرازي لا يرضى ان يأخذ من اهل الاخبار تفسيرهم للقرآن، فنحن ايضاً بدورنا لا نرضى ان نأخذ منه التعاريف في علم العمارة والهندسة ، فالقواعد عند اهل العلم هي الانشغالات فكل المنشآت الخشبية المؤقتة التي يقيمها الباعة المتجولون على الأرصفة في الساحات العامة إشغالات وكل اكوام المخلفات في المواقع الهندسية إشغالات... والقواعد في التنزيل الحكيم جمع مؤنث مفرده قاعدة خلاف واقفه، ووردت بمعنى لا علاقة له بالأساسات من قريب ولا من بعيد في قوله تعالى ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ﴾[٢]...))[٣].

إن محمد شحرور يرى أن البيت كان موجودًا قبل قدوم إبراهيم ويسوق أدلته على ذلك، الأول: إن إبراهيم وإسماعيل قاما بالتطهير لا البناء، والثاني: لو كانت القواعد هي الأساسات كما ذهب المفسرون لقال (قواعد البيت) بدلاً من (القواعد من البيت) ، ويقول أن هذا يضعنا للأنصاف أمام احتمال وجود قواعد وأساسات سليمه ومثلها مخربه والمطلوب إعادة بناء المخرب وأن هذه العملية تسمى ترميم لا بناء والترميم عادة لا يطال الأساسات، والثالث: إن رفع القواعد جاء للتطهير وتطهير البيوت سواء المساجد منها والمساكن لا يشمل عقلًا حفر الأساسات وبناءها[٤].

نلحظ أن ما ذهب اليه شحرور يفتقر الى الدليل الروائي وكذلك لم يأتِ لنا بأدلة على قوله من أهل الاخبار الذين استشهد بهم في رده على الرازي، بل أن الأخباريين قد اجمعوا على أن البيت قد اندرس وضاعت معامله بعد طوفان نوح وأن الوادي قد امتلأ من الأشجار الصحراوية التي تنبت على

(١) محمد شحرور/ القصص القرآني قراءة معاصرة، ٢/ ١٠٣.
(٢) النور/ ٦٠ .
(٣) محمد شحرور/ القصص القرآني قراءة معاصرة ،٢/ ١٠٤.
(٤) ظ: المصدر نفسه ،٢/ ١٠٣.

مياه السيول التي تتشكل بعد سقوط الامطار ولم يجده إبراهيم إلا بعد أن ارشده الله سبحانه اليه[١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[٢].

قال الطبري(ت٣١٠هـ):" ... وإذ جعلنا البيت مرجعا للناس ومعاذا، يأتونه كل عام ويرجعون إليه، فلا يقضون منه وطرا "[٣].

وذكر الطباطبائي أنَّ في الآية إشارة الى تشريع الحج والآمن في البيت، أي: حجوا إلى البيت، واتخذوا من مقام ابراهيم مكانًا للدعاء لأن المصلى اسم مكان من الصلاة بمعنى الدعاء[٤].

واختلف المفسرون في مقام ابراهيم على أربعة أقوال[٥]: الأول: الحج كله مقام، قاله ابن عباس(ت٦٨هـ). والثاني: الحرم كله مقام، قاله مجاهد(ت١٠٤هـ). والثالث: عرفه ومزدلفة والجمار تلك هي المقام، وهو قول الشعبي(ت١٠٠هـ) وعطاء(ت١١٤هـ). والرابع: إنه موضع الحجر قام عليه إبراهيم (عليه السلام) ، ثم ذكروا وجهين: أحدهما : أنه هو الحجر الذي كانت زوجة إسماعيل وضعته تحت قدم إبراهيم (عليه السلام) حين غسلت رأسه فوضع إبراهيم رجله عليه وهو راكب فغسلت أحد شقي رأسه ثم رفعته من تحته وقد غاصت رجله في الحجر فوضعته تحت الرجل الأخرى فغاصت رجله أيضًا فيه

---

(١) إنَّ شحرور شحرور غالى في مناقشته في عدة أمور:
١- استدل بالقواعد من النساء وهي خارج مدار البحث
٢- إنَّ التطهير مرحلة تالية للبناء ، من مهام إبراهيم وإسماعيل.
٣- إنَّ الغاية من الأساسات تحديد مكان البيت لغرض بنائه ، بغض النظر عن كون الأساس سليمًا أم مخرّبًا
٤- القاعد خلاف القائم ينطبق على الأساس الممتد أفقيًا وهو المطلوب
٥- استشهد بأمثلة معاصرة قد تكون غير موجودة ساعة نزول النص .

(٢) البقرة/ ١٢٥.

(٣) الطبري/ جامع البيان، ٢٥/٢.

(٤) ظ: محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٦٢/١.

(٥) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٣٣/٢، الماوردي/ النكت والعيون،٩٢/١، الطوسي/ التبيان، ٤٥٢/١، الزمخشري/ الكشاف، ١٣٠/١، الطبرسي/ مجمع البيان، ٣٤٦/١، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣٣٧/٢، ابن كثير/ تفسير القران العظيم، ٤١٣/١، ناصر مكارم الشيرازي/ الامثل، ٣٧٨/١.

فجعله الله تعالى من معجزاته وهذا قول الحسن(ت١١٠هـ) وقتادة(ت ١١٨هـ) والربيع بن أنس(ت١٣٩هـ). والثاني: ما روي عن سعيد بن جبير(ت٩٥هـ) عن ابن عباس(ت٦٨هـ) أن إبراهيم (عليه السلام) كان يبني البيت وإسماعيل يناوله الحجارة ويقولان:﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[١] فلما ارتفع البنيان وضعف إبراهيم (عليه السلام) عن وضع الحجارة قام على حجر وهو مقام إبراهيم .

وكان موقف المفسرين من الآراء المذكورة آنفًا أنَّ الطبري والماوردي والزمخشري والرازي وابن كثير والطاهر بن عاشور رجحوا القول الرابع وقالوا أن المقام هو الحجر الذي قام عليه ابراهيم عند بناء الكعبة[٢]. في حين أن والطوسي والطبرسي والطباطبائي رجحوا القول الرابع ايضًا ولكن وذهبوا الى أن المقام هو الحجر الذي وضع ابراهيم عليه رجليه حين غسلت زوجة اسماعيل راسه[٣]، ومما يؤيد ذلك قول أحدهم :" ... وهو الظاهر في أخبارنا، وهو الأقوى، لأن مقام إبراهيم اذا أطلق لا يفهم منه إلا المقام المعروف الذي هو في المسجد الحرام"[٤]. أما سيد قطب فهو يرى أنَّ المقام هو البيت الحرام، إذ قال:" إنَّ مقام إبراهيم يشير هنا الى البيت كله وهذا ما نختاره في تفسيره "[٥].

وقوله (أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ) للمفسرين فيه ثلاثة أوجه: تطهيره من الأصنام، أو من الكفار، أو من الأنجاس[٦]. والفخر الرازي لخص أقوال المفسرين في المراد من قوله طهرا بيتي، فقال:((يراد به التطهير التطهير من كل أمر لا يليق بالبيت، فإذا كان موضع البيت وحواليه مصلى وجب تطهيره من الأنجاس والأقذار، وإذا كان موضع العبادة والإخلاص لله تعالى : وجب تطهيره من الشرك وعبادة غير الله . وكل ذلك داخل تحت الكلام ثم أنَّ المفسرين ذكروا وجوهًا . أحدها : أن معنى: (طَهِّرَا بَيْتِيَ) ابنياه وطهراه من

---

(١) البقرة / ١٢٧.

(٢) ظ: الطبري، جامع البيان ، ٣٥/٢، الماوردي/ النكت والعيون،٩٢/١، الزمخشري/ الكشاف، ١٣٠/١، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣٣٧/٢، ابن كثير/ تفسير القران العظيم ، ٤١٦/١، ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ٤٧٣/١.

(٣) ظ: الطوسي/ التبيان، ٤٥٢/١، الطبرسي/ مجمع البيان، ٣٤٦/١، الطباطبائي/ الميزان، ١٩٢/٣.

(٤) الطوسي/ التبيان، ٤٥٢/١.

(٥) سيد قطب/ في ظلال القران، ٨٧/١.

(٦) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٣٨/٢؛ الماوردي/ النكت والعيون، ٩٢/١، الزمخشري، الكشاف: ١٣٠/١، الطبرسي/ مجمع البيان، ٣٤٨/١، السيوطي، الدر المنثور: ٢٣٤/١.

الشرك وأسساه على التقوى ، كقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ ﴾[١]. وثانيها : عرفا الناس أن بيتي طهرة لهم متى حجوه وزاروه وأقاموا به ، ومجازه: اجعلاه طاهراً عندهم... وثالثها: ابنياه ولا تدعا أحداً من أهل الريب والشرك يزاحم الطائفين فيه، بل أقراه على طهارته من أهل الكفر والريب ، كما يقال : طهر الله الأرض من فلان ، وهذه التأويلات مبنية على أنه لم يكن هناك ما يوجب إيقاع تطهيره من الأوثان والشرك ، وهو كقوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾[٢] فمعلوم أنهن لم يطهرن من نجس بل خلقن طاهرات ، وكذا البيت المأمور بتطهيره خلق طاهراً ، والله أعلم . ورابعها : معناه نظفا بيتي من الأوثان والشرك والمعاصي ، ليقتدي الناس بكما في ذلك . وخامسها : قال بعضهم : إن موضع البيت قبل البناء كان يلقى فيه الجيف والأقذار فأمر الله تعالى إبراهيم بإزالة تلك القاذورات وبناء البيت هناك، وهذا ضعيف لأن قبل البناء ما كان البيت موجوداً فتطهير تلك العرصة لا يكون تطهيراً للبيت))[٣].

وفي تفسير القمي جاء:" قال الصادق (عليه السلام) يعني نحى عن المشركين"[٤]. وجاء في تفسير العياشي:" عن الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : سألته أتغتسل النساء اذ أتين البيت ؟ قال : نعم ان الله يقول:(طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود) ينبغي للعبد ان لا يدخل إلا وهو طاهر، قد غسل عنه العرق والاذى وتطهر"[٥].

يقول الطباطبائي ((قوله تعالى: وعهدنا إلى إبراهيم وإسمعيل أن طهرا، العهد هو الأمر والتطهير إما تخليص البيت لعبادة الطائفين، والعاكفين، والمصلين، ونسكهم فيكون من الاستعارة بالكناية، وأصل المعنى: أن خلصا بيتي لعبادة العباد، وذلك تطهير وإما تنظيفه من الأقذار والكثافات الطارئة من عدم مبالات الناس))[٦].

---

(١) التوبة / ١٠٩.
(٢) البقرة / ٢٥.
(٣) الرازي/ مفاتيح الغيب ، ٣٤١/٢.
(٤) القمي/ تفسير القمي، ٣٤/٥.
(٥) العياشي/ تفسير العياشي، ٦٤/١.
(٦) محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٦٢/١.

إنَّ المفسرين اجمعوا على ان المراد من التطهير من لوثة الأصنام والأوثان أو من جميع القاذورات أو أنه يعني اخلاص النية عند بناء البيت، ولهذا يرى بعض المعاصرين:" ولا دليل على تحديد مفهوم الطهارة، فهي تعني تطهير هذا البيت ظاهرياً ومعنوياً من كل تلويث. لذلك نجد بعض الروايات فسرت التطهير في الآية بأنه تطهير الكعبة من المشركين، وبعضها بأنه تطهير البدن وإزالة الأدران "[١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٢]. ومن تلك الابتلاءات هو ذبح ولده اسماعيل، واختلف أيهم الذبيح إسماعيل أم اسحاق، وأن الذي عليه جملة مفسري مدرسة أهل البيت أن الذبيح هو إسماعيل[٣]، وذهب بعض مفسري مدرسة الصحابة إلى أن الذبيح هو اسحاق[٤].

وأراد الله سبحانه وتعالى أن يختبر إبراهيم (عليه السلام) فأمره أن يذبح ولده الوحيد إسماعيل وقد جاء هذا الأمر في رؤيا رآها إبراهيم عليه السلام في المنام: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا ﴾[٥]. ومعلوم أن رؤيا الأنبياء رؤية صادقة، فذهب إبراهيم (عليه السلام) لولده لولده وأخبره بما أمره الله به، لربه وقد استجاب اسماعيل لذلك قائلًا: ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٦]، وكان ذلك الاختبار في مكة منطقة الحرم عند أداء ابراهيم(عليه السلام) الحج بعد إعادة بناءه للبيت برفقة اسماعيل ، وبعد أن نفذَ إبراهيم رؤيته وباشر في ذبح إسماعيل جاءه النداء ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾[٧] ، وإذا بكبشٍ أبيض اقرن قد بعثه الله تعالى فداءً لإسماعيل عليه السلام ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ

(١) ناصر مكارم الشيرازي/ الامثل، ٣٧٨/١.
(٢) البقرة/ ١٢٤.
(٣) ظ: الطوسي/ التبيان، ٥٠٢/٨، الفيض الكاشاني/ التفسير الصافي، ٢٨٤/٥،الطباطبائي/ الميزان، ١٢٧/٧.
(٤) ظ: الرازي/ مفاتيح الغيب، ١٣٩/١٣.
(٥) الصافات:١٠٢.
(٦) الصافات:١٠٢.
(٧) الصافات:١٠٤- ١٠٦.

بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[1]، والفداء هو جعل الشيء مكان الشيء، ثم صار ذبح الحيوان سُنّة للأجيال القادمة التي تشارك في مراسم الحجّ وتأتي إلى أرض منى فتذبح كبش هناك[2].

إنَّ إبراهيم الخليل بعد تلك الاختبارات والنجاح فيها أصبح خالدًا على مدى الأجيال، ويؤيده قول أحد المفسرين:((النجاح الذي حقّقه إبراهيم (عليه السلام) في الإمتحان الصعب، لم يمدحه الله فقط ذلك اليوم، وإنّما جعله خالدًا على مدى الأجيال ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴾[3]. إذ غدا إبراهيم (عليه السلام) أُسوة حسنة لكلّ الأجيال، وقدوة لكلّ الطاهرين، وأضحت أعماله سنّة في الحجّ، وستبقى خالدة حتّى تقوم القيامة ...))[4].

ويرى آخر بما ان الناس في عهد إبراهيم كانوا يقدمون القرابين البشرية لألهتهم وكان ذلك طقسًا شائعًا في تلك الأوقات في المعابد الوثنية ولكن هذا الامر قد انتهى في عهد إبراهيم حيث استبدلت بالحيوان واصبحت سُنة يعمل بها من يأتي بعده إلى البيت الحرام[5].

إنَّ القرآن الكريم نقل دعوات كثيرة دعا بها إبراهيم(عليه السلام) وسألها ربه كدعائه لنفسه ودعائه عند هجرته الى الشام ودعائه ومسألته ببقاء الذكر والخير ودعائه لذريته ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات ومن تلك الأدعية ايضًا دعائه لأهل مكة بعد بناء البيت ومسألة بعثة النبي من ذريته[6].

وتجدر الاشارة الى الأثر المبارك للنبي إبراهيم في المجتمع البشري، ومن ذلك الاثر أن ((ومن مننه (عليه السلام) السابغة أن دين التوحيد ينتهي إليه أينما كان وعند من كان فإن الدين المنعوت بالتوحيد اليوم هو دين اليهود، وينتهي إلى الكليم موسى بن عمران (عليهما السلام) و ينتهي نسبه إلى إسرائيل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليهما السلام)، ودين النصرانية وينتهي إلى المسيح عيسى بن

---

(١) الصافات:١٠٧.

(٢) ظ: الطبري/ جامع البيان، ١٤٢/١٣-١٤٣، القمي/ تفسير القمي،٤٦/٧-٨، الطوسي/ التبيان، ٥٠١/٨، الزمخشري، الكشاف: ٤٧٨/٥- ٤٧٩، الطبرسي/ مجمع البيان، ٢٨٣/١، الرازي/ مفاتيح الغيب، ١٣٨/١٣-١٤٠، ناصر مكارم الشيرازي/ الامثل، ٣٦٣/١٤-٣٦٧.

(٣) الصافات/ ١٠٨.

(٤) ناصر مكارم الشيرازي/الامثل: ٣٦٨/١٤.

(٥) ظ: د. محمد شحرور/ القصص القرآني قراءة معاصرة،٢/ ١٠٥.

(٦) ظ: محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٦٢/١.

مريم (عليهما السلام) وهو من ذرية إبراهيم (عليه السلام)، ودين الإسلام والصادع به هو محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وينتهي نسبه إلى إسماعيل الذبيح بن إبراهيم الخليل (عليه السلام)، فدين التوحيد في الدنيا أثره الطيب المبارك، ويشاهد في الإسلام من شرائعه الصلاة والزكاة والحج وإباحة لحوم الأنعام والتبري من أعداء الله، والسلام ...))[1].

الخلاصة

١) ولد النبي ابراهيم في بابل ونشأ فيها وبعث بالنبوة في سن مبكرة ودعا قومه إلى عبادة الله وجادلهم فيه ولكنهم رفضوا دعوته وحرقوه في النار ولكن الله أنقذه منها وهاجر إلى الشام بمن معه من المؤمنين، ثم الى مصر وعاد الى الشام

٢) إنَّ ابراهيم (عليه السلام) بأمر من الله (سبحانه) ذهب إلى مكة وهي واد غير ذي زرع فأسكن فيه ولده إسماعيل وهو صبي ورجع إلى فلسطين فنشأ إسماعيل واجتمع عليه قوم من العرب القاطنين هناك وبنيت بذلك بلدة مكة.

٣) وكان (عليه السلام) يزور إسماعيل في أرض مكة قبل بناء مكة والبيت وبعد ذلك ثمَّ بنى بها الكعبة البيت الحرام بمشاركة من إسماعيل وشرع بذلك نسك الحج .

٤) إنَّ البيت الحرام كان موجودًا قبل إبراهيم فقد بناه آدم ثم انطمست معالمه بعد طوفان نوح وحين جاء إليه إبراهيم مع زوجته هاجر وإسماعيل كان للبيت نوع من الوجود كالأساسات مثًلا.

٥) ثم أمره الله بذبح ولده إسماعيل (عليه السلام) فخرج معه للنسك فلما بلغ معه السعي أبلغه برؤيته وكان رد إسماعيل افعل بما تؤتمر ونفذ إبراهيم رؤيته ولكن الله (عز وجل) قد فداه بذبح وبذلك اجتاز إبراهيم الاختبار الإلهي وجعله الله للناس اماما، واصبح تقديم الذبائح الحيوانية في الحج سنة على من آتى للبيت.

٦) قص لنا القرآن الكريم أدعية إبراهيم (عليه السلام) في طلب الأمن لأهل مكة وأن يرزقهم من الخيرات ويجنب أهله عبادة الأوثان وأن يبعث منهم رسولًا وقد تحقق دعاء إبراهيم حين بعث الله سيد الخلق وخاتم الأنبياء الرسول الأعظم محمد (صل الله عليه واله وسلم) بالرسالة.

٧) إنَّ إبراهيم وإسماعيل هما السببان الأصليان لبناء مدينة مكة.

---

(١) الطباطبائي/ الميزان، ١١٨/٧.

الفرعُ الثَّاني: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بإيلاف قريش

وردت الكثير من الأقوال في معنى الإيلاف ذكرها المفسرون واللغويون والمؤرخون. في اللغة الإيلاف هو الإجازة بالخفارة أو العهد(١)، وهو اسم مشتق من الفعل آلف، وآلفَ الشيءَ: أي ألزمه. وآلفتُ الموضعَ أُولَفُه إيلافًا: لزمتُه وألفته. كما يمكن أن يأتي المعنى من الألفة، ألف الشيء أي أحبه، بالإضافة لمعنى آخر وهو التهيئة والإعداد(٢).

جاء أن في لإيلاف قريش ثلاثة أوجه:" لإيلاف قريش، ولإلاف قريش، ووجه ثالث لإلف قريش... وقد قريء بالوجهين الاولين "(٣). وذهب آخرون إلى أن:" والإيلافُ في التَّنْزيلِ: العَهْدُ، وشِبْهُ الإجازَةِ بالخفارَةِ "(٤). ((والمعنى في قوله تعالى:(لإِيلاَفِ قُرَيْش) لتُؤْلَفَ قريش الرحلتين فتتّصلا ولا تنقطعا، فاللام متّصلة بالسورة التي قبلها، أي أهلك الله أصحاب الفيل لتُؤْلَفَ قريش رحلتيها آمنين.. قال ابن الأنباري: من قرأ لإلافهم وإلفهم فهما من أَلِفَ يأْلَفُ، ومن قرأ لإيلافهم فهو من آلف يُؤْلِف، قال: ومعنى يُؤَلِّفُون يهيّئون ويجهّزون. قال أبو منصور: وهو على قول ابن الأعرابي بمعنى يُجِيرون.. الإيلاف: العهد والذِمام، كان هاشم بن عبد مناف أخذه من الملوك لقريش))(٥).

اما أصحاب السير من الاخباريين فقد ذكر ابن هشام في سيرته:" وإيلاف قريش إيلافهم الخروج الى الشام في تجارتهم، وكانت لهم خرجتان: خرجة الشتاء وخرجة الصيف... والايلاف ايضًا: أن تؤلف الشيء الى الشيء فيالفه ويلزمه "(٦).

ويرجع التفاوت في معنى الايلاف في فهم المعنى العام اليه كظاهرة عملية لقريش أو فهم المعاني اللفظية من حيث علاقتها بنعمة الاستقرار والاجتماع في مكة والاعتياد على القيام بالرحلات التجارية بأمن وطمأنينة بفضل الاحلاف أو العصم أو الحبال التي أخذها سادة قريش من زعماء الدول المجاورة ومن رؤساء القبائل النازلة على طرق التجارة(٧).

---

(١) ظ: الصغائي/ رضي الدين(٥٧٧هـ)، العباب الزاجر، ٣٦٩/١.

(٢) ظ: الفراهيدي/ العين، ١٩٠/٢.

(٣) الازهري (٣٧٠هـ)/ تهذيب اللغة،١٨٦/٥.

(٤) الفايروزآبادي/ القاموس المحيط، ٣٥٨/٢.

(٥) ابن منظور/ لسان العرب، ٩/٩.

(٦) ابن هشام/ السيره ، ١١٠.

(٧) ظ: عبد الحكيم عاشور ميلاد الشعافي/ ايلاف قريش واثره على العلاقات الخارجية في المجتمع المكي(بحث) مجلة العلوم الانسانية والعلمية والاجتماعية، العدد الثاني، ٢٠١٦م/ ١٨.

اما **اصطلاحًا**، فقد تعددت تعريفات العلماء للإيلاف، قال أحدهم:((الإيلاف أن يأمنوا من عندهم بارضهم من غير حلف، وانما هو امان الناس على ان قريشًا تحمل لهم البضائع فيكفونهم حملانها ويردون اليهم راس مالهم وربحهم))[١]، وقال آخر إنها المعاهدات التي ضمنت في جانبها العملي تسيير رحلتي الشتاء والصيف[٢].

وعرف الإيلاف بأنه:" مجموعة من العهود التجارية والسياسية عقدتها قريش غرضها ضمان قيام قريش بالتجارة عبر الجزيرة العربية من الشمال الى الجنوب ومن الجنوب الى الشمال"[٣].

يتحصل أنَّ الإيلاف هو مجموعة عهود أخذتها قريش من القبائل الواقعة على الطرق التجارية لتأمين قوافلها من الغزو والنهب وذلك باشراك تلك القبائل في قسم من الأرباح التي تأتي من التجارة، هذا في الجانب المحلي أما في الجانب الدولي فهو إجازات أُخذت من الروم والحيرة والحبشة وحكام اليمن للسماح لهم بالمتاجرة مع بلدانهم.

إن تطور تجارة مكة، وتحولها من تجارة محلية الى تجارة واسعة مع بلدان العالم الكبرى آنذاك يعود الفضل الى هاشم بن عبد مناف، حيث تذكر المصادر التاريخية، ان الإيلاف بدأ نحو (٥٠٠م)، ونسب الى هاشم، وأن هاشم تجاوز بقريش في تجارتهم مكة، حيث كانت تجارتهم قبله لا تتجاوز مكة، وقد سافر هاشم الى الشام وعقد العقود التجارية مع الروم[٤].

قال ابن حبيب :((كان من حديث الايلاف ان قريشًا، كانت تجارًا وكانت تجارتهم لا تعدوا مكة ... حتى ركب هاشم بن عبد المناف فنزل بقيصر واسم هاشم يومئذ عمرو، فكان يذبح كل يوم شاة فيصنع جفنة ثريد ويدعو من حوله يأكلون ... وبلغ ذلك قيصر فدعا به لما رآه أعجب به وكان يرسل اليه فدخل عليه، فلما رأى مكانه منه قال هاشم أيها الملك ان لي قوما وهم تجار العرب فان رأيت أن تكتب لهم كتابا تؤمنهم وتؤمن تجارتهم ... فكتب له كتابا بأمان من اتى منهم ، فاقبل هاشم بذلك الكتاب فجعل كل ما مر بحي من العرب بطرق الشام اخذ من اشرافهم إيلافاً... فاخذ هاشم الايلاف ممن بينه وبين الشام حتى قدم مكة فأتاهم باعظم شيء اتوا به، فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج هاشم يحوزهم ويوفيهم إيلافهم الذي اخذ لهم من العرب... فمات في ذلك السفر بغزة ... فلما مات هاشم خرج المطلب

(١) محمد بن حبيب/ المنمق في اخبار قريش/ ٤٢.
(٢) الطبري/ التاريخ، ٢/٢٥٢.
(٣) فكتور سحاب/ ايلاف قريش/٦.
(٤) ظ: ابن هشام(٢١٣هـ)/ السيرة النبوية، ١/١٤٥-١٤٦، الطبري/ تاريخ الطبري، ٢/٢٥٠-٢٥٢.

بن عبد مناف الى اليمن فاخذ من ملوكهم عهدا ... وخرج عبد شمس الى ملك الحبشة فاخذ منه عهدا... وخرج نوفل بن عبد مناف ... الى العراق فاخذ عهدا من كسرى لتجار قريش))[١].

وفي القران الكريم إشارة الى تجارة مكة المكرمة ونشاط أهلها التجاري، وتجارتهم مع الشام صيفاً واليمن شتاءً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾[٢]. وفي تفسير السورة قال المفسرون إنها تتناول تجارة مكة المكرمة ورحلات اهلها لبلاد اليمن والشام.

إن مسألة الإيلاف مسالة تاريخية في المقام الأول وللتفسير دون شك أسسه الابيستيميولوجية(المعرفية) المستقلة والمختلفة عن أسس المنهج التاريخي وسيقتصر بحثنا عن التأمل في مفهوم الايلاف من خلال النظر الى أقوال المفسرين فيه.

قال أحدهم:((حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله:(رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ) قال: كانت لهم رحلتان: الصيف إلى الشام، والشتاء إلى اليمن في التجارة، إذا كان الشتاء امتنع الشام منهم لمكان البرد، وكانت رحلتهم في الشتاء إلى اليمن))[٣].

وقال غيره :" وقوله (رحلة الشتاء والصيف) قال ابن زيد والكلبي: كانت لهم رحلتان رحلة الصيف إلى الشام ورحلة الشتاء إلى اليمن في التجارة "[٤].

إن رحلة الشتاء كانت لبلاد اليمن، ورحلة الصيف كانت بلاد الشام، وكانت تلك الرحلات التجارية تدر عليهم اموالًا طائلة، وهم منعمون في مكة الآمنة فهي حرم آمن، وهم بتلك الرحلات اصبحوا منعمين في رغد العيش وكل ذلك بفضل الله ورحمته عليهم، هذا وقد أجمع المفسرون على أن المقصود بسورة قريش هي تجارة مكة ورحلاتهم التجارية التي كانوا يقومون بها باتجاه الشام في الصيف واليمن شتاءً وكل ذلك بفضل الله ونعمته عليهم [٥].

---

(١) ابن حبيب/ المنمق في اخبار قريش/ ٤١-٤٥.

(٢) قريش/ ١ – ٤.

(٣) الطبري/ جامع البيان،٦٢٢/٢٤.

(٤) الطوسي/ التبيان،٣٣٩/١٠.

(٥) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٦٢٠/٢٤، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٢٢٠/١٧، ابن كثير/ تفسير القران العظيم،٢٥٩/٦، ، الحويزي/ نور الثقلين،٢١٨/١٠، الشنقيطي/ البحر المديد،١١٠/٧، السيوطي/ الدر المنثور،٣٠٧/١٠، سيد قطب/ في ظلال القران،٣١١/٦، الطباطبائي/ الميزان، ٢٠٨/٢٠.

إنَّ الفضل في سعة تجارة مكة وازدهارها هو لأنها حرم آمن كان ذلك سببا في نمو التجارة فيها ومما يؤيد ذلك :((أن قريشا كانت بالحرم آمنة من الأعداء أن تهجم عليهم فيه وأن يعرض لهم أحد بالسوء إذا خرجت منها لتجارتها والحرم وادٍ جديب إنما كانت تعيش قريش فيه بالتجارة وكانت لهم رحلتان في كل سنة في الشتاء إلى اليمن لأنها بلاد حامية وفي الصيف إلى الشام لأنها بلاد باردة ولولا هاتان الرحلتان لم يمكنهم به مقام ولولا الأمن لم يقدروا على التصرف فلما قصد أصحاب الفيل مكة أهلكهم الله لتألف قريش هاتين الرحلتين اللتين بهما معيشتهم ومقامهم بمكة))[١].

إنَّ رواج تجارة مكة المكرمة وجني الارباح الكبيرة منها ماهي إلا بسبب دعوة النبي ابراهيم (عليه السلام)، بان يجعل هذا البلد آمن ويرزق أهله، فيقول:((لا شك أن مكة كانت خالية عن الزرع والضرع على ما قال تعالى:﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾[٢] إلى قوله :﴿فاجعل أَفْئِدَةً مّنَ الناس تَهْوِى إِلَيْهِمْ وارزقهم مّنَ الثمرات﴾[٣] فكان أشراف أهل مكة يرتحلون للتجارة هاتين الرحلتين ، ويأتون لأنفسهم ولأهل بلدهم بما يحتاجون إليه من الأطعمة والثياب ، وهم إنما كانوا يربحون في أسفارهم ، ولأن ملوك النواحي كانوا يعظمون أهل مكة ، ويقولون : هؤلاء جيران بيت الله وسكان حرمه وولاة الكعبة حتى أنهم كانوا يسمون أهل مكة أهل الله))[٤].

طرحت سورة الفيل وسورة قريش على المفسرين مسائل كثيرة فلم يكن في مسائلهم بطبيعة الحال كتابة تاريخ قريش ولكن بما أن الآية تحيل الى وقائع تأريخية فقد تناولوا المقاصد والمعارف التاريخية الواصلة اليهم لفهم بلاغات الآية والذي يمثل فرصة مساعدة في توسيع دائرة السير والتقصي حول مفهوم الايلاف[٥].

يقول أحد الباحثين:((تسوق كتب التفسير جدلا ثريًا حول تفسير سورة قريش لما لها من خصوصية جعلت التاريخ حكما على المسألة فمن المعروف أنها تبدأ بشكل يثير شيئا من الغرابة في بناء الجملة العربية اذا تبدأ بشكل يوحي بانها استمرار لكلام سابق ولذلك كان للمسالة أهمية كبيرة بما

(١) الطبرسي/ مجمع البيان، ٤٠٤/١٠.
(٢) إبراهيم / ٣٧.
(٣) إبراهيم / ٣٧.
(٤) الرازي/ مفاتيح الغيب ، ٢١٩/١٧.
(٥) ظ: محمد سعيد/ النسب والقرابة في المجتمع العربي/ ١٤٣.

لها من امتدادات لغوية واسلوبية وتاريخية ، عليه لا يبدو من الضروري توسيع دائرة السير والتقصي في اتجاه كل التفاسير))[١].

ذهب بعض المفسرين أنَّ السبب الذي جعل الله تعالى يهلك أصحاب الفيل ويدمرهم لأجل إيلاف قريش أي أن ما فعله بأصحاب الفيل هو لأجل إيلاف قريش[٢].

ومسألة ارتباط سورة قريش بسورة الفيل وقد وردت فيها أقوال العلماء:((اللام في قوله :(لإيلاف) تحتمل وجوهاً ثلاثة ، فإنها إما أن تكون متعلقة بالسورة التي قبلها أو بالآية التي بعدها ، أو لا تكون متعلقة لا بما قبلها ، ولا بما بعدها أما الوجه الأول : وهو أن تكون متعلقة بما قبلها ، ففيه احتمالات : الأول : وهو قول الزجاج وأبي عبيدة أن التقدير : فجعلهم كعصف مأكول لإلف قريش أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش ، وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف ، فإن قيل : هذا ضعيف لأنهم إنما جعلوا : كعصف مأكول لكفرهم ولم يجعلوا كذلك لتأليف قريش ، قلنا هذا السؤال ضعيف لوجوه أحدها : أنا لا نسلم أن الله تعالى إنما فعل بهم ذلك لكفرهم ، فإن الجزاء على الكفر مؤخر للقيامة ، قال تعالى :﴿اليوم تجزى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[٣] وقال :﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ الله الناس بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ على ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾[٤] ولأنه تعالى لو فعل بهم ذلك لكفرهم ، لكان قد فعل ذلك بجميع الكفار ، بل إنما فعل ذلك بهم : لإيلاف قريش ولتعظيم منصبهم وإظهار قدرهم وثانيها : هب أن زجرهم عن الكفر مقصود لكن لا ينافي كون شيء آخر مقصود حتى يكون الحكم واقعاً بمجموع الأمرين معاً وثالثها : هب أنهم أهلكوا لكفرهم فقط ، إلا أن ذلك الإهلاك لما أدى إلى إيلاف قريش ، جاز أن يقال : أهلكوا لإيلاف قريش ، كقوله تعالى:﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾[٥] وهم لم يلتقطوه لذلك ، لكن لما آل الأمر إليه حسن أن يمهد عليه الالتقاط . الاحتمال الثاني : أن يكون التقدير : ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل لإيلاف قريش كأنه تعالى قال : كل ما فعلنا بهم فقد فعلناه ، لإيلاف قريش ، فإنه تعالى جعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ، حتى صاروا كعصف مأكول ، فكل ذلك إنما كان لأجل إيلاف قريش .

---

(١) عبد الحكيم عاشور / ايلاف قريش / ١٩.

(٢) ظ: الماوردي/ النكت والعيون، ٤٥٨/٤، ابن عطيه/ المحرر الوجيز، ٦٠/٧، الطبرسي/ مجمع البيان، ٤٠٤/١٠، الوجير/ الواحدي، ١١٤٨/١، الثعلبي، ٢٢٥/١٤.

(٣) غافر / ١٧.

(٤) فاطر / ٤٥.

(٥) القصص / ٨ .

الاحتمال الثالث : أن تكون اللام في قوله : (لإيلاف) بمعنى إلى كأنه قال : فعلنا كل ما فعلنا في السورة المتقدمة إلى نعمة أخرى عليهم وهي إيلافهم : رحلة الشتاء والصيف ...))[١]. نلحظ أن الرازي يرى أنَّ سبب هلاك أصحاب الفيل هو لأجل إيلاف قريش.

أمَّا الطبري وابن كثير فقد ذهبا الى أن اللام في قوله(لإيلاف) هي لام التعجب أي اعجبوا لإيلاف قريش ونعمتي عليهم في ذلك والعرب اذا جاءت بهذه اللام فادخلوها للتعجب واكتفوا بها دليلاً على التعجب من اظهار الفعل الذي يجلبها، ولا تعلق لها بسورة الفيل[٢].

الطباطبائي ذهب إلى أن السورتين منفصلتين، فيقول:((... ذهب قوم من أهل السنة إلى كون الفيل ولإيلاف سورة واحدة كما قيل بمثله في الضحى وألم نشرح لما بينهما من الارتباط كما نسب ذلك إلى المشهور بين الشيعة والحق أن شيئا مما استندوا إليه لا يفيد ذلك))[٣].

اما كون تلك الروايات التي جاء بها من ذهب الى الارتباط بين السورتين الايلاف والفيل، والسورتان منفصلتان كما يرى الطباطبائي:((فالحق أن الروايات إن دلت فإنما تدل على جواز القرآن بين سورتي الضحى وألم نشرح وسورتي الفيل ولإيلاف في ركعة واحدة من الفرائض وهو ممنوع في غيرها))[٤].

اذا فالطباطبائي يرى ان السورتين منفصلتين واما الروايات التي جاءت في هذا الصدد فهي تفيد الجمع بين السورتين في الصلاة.

ومهما كان الرأي الباحث في اثبات وحدة السورتين او نفيهما، فان فهم السورتين فهمًا تاريخيًا موحدًا ضمن اطار علمي مجرد وكل الشوائب والمعتقدات القديمة التي لصقت بالتفاسير في زمن متأخر يعزز مما لا شك فيه من احتمالات استفادة المؤرخ من هاتين السورتين فليس من السهل الحكم أن كانت تقرأ سورة قريش والفيل في تواصل أو في انقطاع معها أو الاختيار بين آراء المفسرين لذلك يكتفي الباحث من اثارة المستوى الأعم من الدلالة في السياق البياني وهو البحث عن تاريخ الايلاف[٥].

---

(١) الرازي/ مفاتيح الغيب ، ٢١٨/١٧.

(٢) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٣٧٣/٣٠، ابن كثير/ تفسير القران العظيم،٤٨٧/٨.

(٣) محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ٢٠٧/٢٠.

(٤) المصدر نفسه، ٢٠٧/٢٠.

(٥) محمد سعيد/ النسب والقرابة في المجتمع العربي قبل الاسلام / ١٤٧.

وقد وصف أهل الأخبار أهل مكة بترفعهم عن البخل والشح، فقال **الجاحظ** وهو يصفهم:((ومن العجب إن كسبهم لما قل من قبل تركهم الغزو، ومالوا إلى الإيلاف، لم يعتريهم من بخل التجار قليل ولا كثير فأعطوا الشعراء كما يعطى الملوك، وقروا الأضياف، ووصلوا الأرحام، وقاموا بنوائب زوار البيت))[١]، فمورد الكسب الأول عند العرب في الجاهلية هو الغزو على رأي أهل الأخبار، وقد ترفعت قريش عنه، وصرفت نفسها إلى التجارة. ومن طبع التجار البخل ومسك اليد، أما قريش، فخالفتهم في البخل، ووصلت الشعراء وقرت الأضياف.

ونسب الجاحظ سبب تركهم الغزو إلى كونهم أهل حمس ديانين، فقال:" وكانوا ديانين، ولذلك تركوا الغزو، لما فيه من الغصب والغشم واستحلال الأموال والفروج من العرب "[٢]. نلحظ ان **الجاحظ،** يعتقد بأن للدين أثراً كبيراً على سلوك الإنسان وعلى كره الحرب.

ومن مكارمهم كانوا ((يترافدون على سقاية الحاج واطعام الطعام... فكن القيم بذلك في عهد هاشم بن عبد مناف فكانت قريش تجمع اليه الفضول من أموالها أيام الحج وكان عليه الربع من ذلك من ماله، وله يقول **مطرود بن كعب الخزاعي** :

عمر العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف

كانت اليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الاصياف

يا ايها الرجل المحمول رحله هلا نزلت بال عبد مناف

هبلتك امك لو نزلت عليهم ضموك من جوع ومن اقراف))[٣].

وهذه الأوصاف التي نسبها الاخباريون لأهل مكة هي أحد عوامل تفوق مكة على غيرهم من سكان القرى في الجزيرة.

خلاصة الايلاف: هي عقود وعهود تجارية عقدتها قريش مع القبائل الواقعة على الطريق التجاري واتفاقيات سماح بالتجارة مع بلدان الروم والحيرة واليمن والحبشة، وكل ذلك الرزق كان بسبب دعوة إبراهيم (عليه السلام) لمكة حين اسكن زوجته هاجر وابنه إسماعيل فيها.

---

(١) الجاحظ (ت٢٥٥هـ)/ البلدان/ ٤٦٨.

(٢) المصدر نفسه/ ٤٧٢.

(٣) ابن حبيب/ المنمق في اخبار قريش/٢٧-٢٨.

المطلبُ الثّاني: النُّصوص القرآنيّة المتعلّقة بديانة العباد

الفرع الأول: دين الحنيفية في شبه الجزيرة

وردت لفظة حنيفاً في القران الكريم اثنتى عشرة مرة [١]، ولفظة حنفاء وردت في آيتين[٢].قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[٣]،﴿ وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[٤]،﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[٥] ، وأشار القرآن الكريم الى جماعة من العرب في شبه الجزيرة، لم يعبدوا الاصنام ولم يكونوا من اليهود او النصارى بل كانوا موحدين على ملة إبراهيم الخليل، اطلق عليهم من قبل المفسرين الاحناف [٦].

الحَنَفُ لغة: ((مَيْلٌ في صدر القَدَم، ورجلٌ أَحْنَفُ، ورِجْلٌ حَنْفاءُ، ... ويقال: تَحَنَّفَ فلان إلى الشيء تحنُّفاً إذا مال إليه. والحَنيفُ في قولٍ: المُسلِم الذي يستَقبِل قِبْلةَ البَيت الحَرام على مِلّةِ إبراهيم حَنيفاً مُسْلِماً. والقول الآخر: الحنيف كلُّ من أسْلَمَ في أمر الله فلم يَلْتَو في شيءٍ منه))[٧]. والحاء والنون والنون والفاء أصلٌ مستقيم، وهو المَيَل. والحنيف: المائل إلى الدين المستقيم [٨].

والحنف هو الميل، وحنف القسمين مال كل منهما عن الآخر، والحنف ميل عن الضلال الى الاستقامة وهو المائل الى الحق، والحنيف من كان على دين إبراهيم (عليه السلام)[٩].

---

(١) البقرة/ ١٣٥، ال عمران/٦٧، ٩٥، النساء/١٢٥، الانعام/٧٩، ١٦١، يونس/١٠٥، النحل/١٢٠، النمل/١٢٣، الروم/٣٠، الحج/٣١، البينة/٥.

(٢) في سورة الحج اية /٣١، وفي سورة البينة اية /٥

(٣) البقرة/ ١٣٥.

(٤) سورة آل عمران/ ٦٧.

(٥) المصدر نفسه .

(٦) ظ: الطبري/ جامع البيان، ١٠٦/٣، الطوسي/ التبيان، ٤٧٨/١، ابن عطية/ المحرر الوجيز،١٥٩/١، السيوطي/ الدر المنثور،١٨٣/٤، الطباطبائي/ الميزان، ١٨٢/١.

(٧) الفراهيدي/ العين، ٢٢٢/١(حنف).

(٨) ظ: ابن فارس/ مقاييس اللغة، ٨٨/٢.

(٩) ظ: الجوهري/ الصحاح في اللغة،١٠٠/١، ابن عباد/ المحيط في اللغة،٢٣٢/١.

وقد اورد الازهري(ت٣٧٠هـ) تعريفًا لكلمة(حنيف)، اضافة لتعاريف العلماء الذين سبقوه، ولكن لم نجد في المعاجم التي استقرأناها هذا التعريف وهو أن الحنيف من كان على دين ابراهيم الخليل فقال:" وكان عبدة الأوثان في الجاهلية يقولون: نحن حنفاء على دين إبراهيم، فلما جاء الإسلام سموا المسلم حنيفاً "[١].

وحنف عن الشيء تحنف ومال، الحنيف هو المسلم الذي يحنف عن الأديان أي يميل الى الحق، وقيل الذي يستقبل القبلة الحرام على ملة إبراهيم، وقيل هو من اسلم في الله فلم يلتو في شيء، والحنيف هو المستقيم، والحنيف من كان على دين إبراهيم فهو حنيف عند العرب[٢].

إنَّ في أصل الحنيف في اللغة وجهان :((**أحدهما** : الميل ، والمعنى أن إبراهيم حَنَفَ إلى دين الله ، وهو الإسلام فسمي حنيفاً ، وقيل للرجل أحْنَف لميل كل واحدة من قدميه إلى أختها. و**الوجه الثاني** : أن أصله الاستقامة ، فَسُمِّي دين إبراهيم (الحنيفية) لاستقامته وقيل للرجل أحنف ، تطيّراً من الميل وتفاؤلاً بالاستقامة ، كما قيل لِلَّدِيغ سليم ، وللمُهْلِكةِ من الأرض مفازة))[٣].

هذه تعريفات اللغوين والعلماء القدماء والمتأخرين ويلاحظ أنَّ العلماء المتأخرين قد اخذوا ممن سبقهم وهذا شيء طبيعي.

وعرف الحنيف صاحب معجم فاكهة البستان فقال:((الحنيف هو المائل من خير إلى شر ومن شر إلى خير والذي يتحنف عن الأديان أن يميل إلى الحق والتخلص ومن أسلم لأمر الله ولم يلتو والمستقيم))[٤]، وهذا التعريف مقتبس من لسان العرب ونفس التعريف أورده **بطرس البستاني** في محيطه[٥] وصاحب معجم البستان[٦] والمنجد أيضًا حيث أورد تعريف الحنيف بالمتمسك بالإسلام، كل من كان على دين إبراهيم الموحد في دينه جمع حنفاء[٧].

---

(١) الازهري/ تهذيب اللغة، ١٣٦/٢.

٢) ينظر: ابن منظور/ لسان العرب، ٥٩/٩(حنف)

(٣) الماوردي/ النكت والعيون، ٩٧/١، الطوسي/ البيان، ٤٩٢/٢.

(٤) ظ: عبد الله البستاني/ فاكهة البستان، ٣٥٠/١.

(٥) ظ: بطرس البستاني/ محيط المحيط،٤٦٦/١ .

(٦) ظ: عبد الله البستناني / فاكهة البستان، ٥٩٩/١.

(٧) ظ: لويس معلوف/ المنجد في اللغة والأعلام/١٥٣.

وقد عرفَ الحنفاء أحد المعاصرين في كتابه الحنيفية فقال:((هم مجموعة من الزهاد الذين نبذوا عبادة الاصنام وكل ما يتعلق بها من طقوس وتمسكوا بالديانة الابراهيمية الحقة تاركين عبادة قومهم الى عبادة الله وحده وذلك عبر ممارسة طقوس عبادية اشير اليها بشكل خاطف من قبل الرواة مثل الحج والصوم والختان وتحريم الخمر))[١].

قال المفسرون أنهم كانوا على دين إبراهيم ولم يكونوا يهوداً أو نصارى ولم يعبدوا الأصنام وقد سفهوا عبادة الاصنام، وآمنوا بالله الواحد وكان القسم الأكبر منهم في مكة[٢] .

الحنيف عند اهل الجاهلية هو من حج البيت واختتن[٣]، ويرى أحد المفسرين أن ذلك لا يكفي فكثير من الوثنين يحجون البيت ويختتنون بل لابد من الاستقامة على ملة إبراهيم واتباعه عملها، فقال:((الحنف عندي، هو الاستقامة على دين إبراهيم، واتباعه على ملته. وذلك أن الحنيفية لو كانت حج البيت، لوجب أن يكون الذين كانوا يحجونه في الجاهلية من أهل الشرك كانوا حنفاء. وقد نفى الله أن يكون ذلك تحنفا بقوله:﴿ وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٤]، فكذلك القول في الختان. لأن الحنيفية لو كانت هي الختان، لوجب أن يكون اليهود حُنفاء. وقد أخرجهم الله من ذلك بقوله﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٥]))[٦]، وقد أضاف بعضهم الاغتسال الاغتسال من الجنابة واعتزال الاصنام الى ما سبق من علامات وجعلوا هذه اهم العلامات الفارقة التي تميز بين المشركين والاحناف، كما ان اهل الاخبار اضافوا الامتناع عن اكل الذبائح التي تقرب الى الاوثان والاصنام لأنها ذبحت لغير دين الله كما نسبوا اليهم تحريم الخمر على انفسهم[٧].

وقد لخص الطبرسي والفخر الرازي آراء المفسرين في الحنيفية واجمالها في أربعة أقوال[٨]: الأول: الأول: أنها حج البيت ، عن ابن عباس(ت٦٨هـ) والحسن(ت١١٠هـ) ومجاهد(ت١٠٤هـ). والثاني: انها

---

(١) عماد الصباغ / الاحناف /٣٢.

(٢) ظ: الطبري/ جامع البيان ، ١٠٢/٣، الطوسي/ التبيان، ٤٧٩/١، الكشاف / الزمخشري، ١٣٨/١، الطبرسي/ مجمع البيان،٣٦٦/١، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٤٨٤/٩.

(٣) ظ: عماد الصباغ/ الاحناف/ ٣١.

(٤) سورة آل عمران/ ٦٧.

(٥) سورة آل عمران: ٦٧.

(٦) الطبري/ جامع البيان، ١٠٧/٣.

(٧) جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٤٥٢/٦.

(٨) الطبرسي/ جامع البيان، ٣٦٧/١، الرازي/ مفاتيح الغيب ، ٨٩/٤.

اتباع الحق ، عن مجاهد . والثالث: أنها اتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماما للناس بعده من الحج و الختان وغير ذلك من شرائع الإسلام . والرابع: أنها الإخلاص لله وحده في الإقرار بالربوبية والإذعان للعبودية.

وقد ورد ذكر الاحناف بالأحاديث عن الرسول(صلى الله عليه وآله) :" أحب الاديان إلى الله الحنفية السمحة، وهي ملة ابراهيم لا حرج فيها، ولا ضيق "(١).

وذهب أحد الأعلام إلى القول أنَّ الصورة التي رسمها المفسرون والاخباريون عن عقيدة الحنفاء ليست واضحة فهي صورة غامضة مطموسة في كثير من النواحي، ولهذا فليس بإمكاننا أن نضع حد صريح لمفهوم الاحناف في الجاهلية(٢).

ويرى آخر أن في أفكار الحنيفية أثر في تقويض الوثنية في شبه الجزيرة العربية، وأن للاحناف فضل كبير في تهيئة العرب واعدادهم لاستقبال الدين الجديد(الإسلام) ولنبذ الوثنية واضعاف مُثلها الدينية(٣).

إنَّ الاحناف كانوا أناسًا من النوع الذي نطلق عليهم مصلحين في الوقت الحاضر، أي انهم من هذا الطراز الذي يريد اصلاح الأوضاع الاجتماعية ورفع مستوى فهم الجماعة، لأنهم في نظرهم الأوضاع الاجتماعية متأخرة تمنع الانسان من التقدم، ورات أن العقل لا يقر بالتقرب من الأحجار والاصنام الذبح لها(٤).

الخلاصة: أن الأحناف لم يكونوا فرقة دينية بل كانوا جماعة من العرب موحدين بالله ولم يكونوا من اليهود أو من النصارى وأن أكثرهم من مكة كما أن الحنفية لم تكن دينًا ذا كتاب وتشريعات بل كانوا جماعة من العرب رفضوا عبادة الاوثان والاصنام وعبدوا الله موحدين على ملة إبراهيم الخليل، وأن الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله) كان منهم فهو على دين إبراهيم الخليل، دين الإسلام قبل أن يبعث صوات الله عليه واله وسلم.

---

(١) الطوسي/ التبيان، ٤٧٩/١.

(٢) جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٤٥٣/٦.

(٣) ظ: الاب جرجس داوّد/ اديان العرب، ١٣٧-١٣٨.

(٤) ظ: جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب، ٤٥٧/٦.

الفرعُ الثاني: صلاة (مكاء وتصدية) عند قريش

ورد في القرآن الكريم شكل من اشكال العبادة عند قريش، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[1]. وفي قوله تعالى ﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾[2].

المُكاءُ لغة: الصفير، صفرَ صفراً وصفرَ تصفيرا : صوت بالنفخ من شفتيه وشبك أصابعه ونفخ فيها، وكثيرا ما يفعل ذلك للدابة[3].

جاء في لسان العرب :((المُكاء مُخفف الصَّفِير مَكا الإنسان يَمْكُو مَكْواً ومُكاء صَفَرَ بفِيه قال بعضهم هو أَن يَجمع بين أَصابع يديه ثم يُدخِلها في فيه ثم يَصْفِر فيها وفي التنزيل العزيز وما كان صلاتُهم عند البيت إلا مُكاءً وتَصْدِيَةً ابن السكيت المُكاءُ الصَّفير قال والأَصوات مضمومة إلا النِّداء والغِناء))[4].

التصدية في اللغة: هو التصفيق:" فالتصدية: التصفيق باليدين، كانوا يطوفون بالبيت عراة يصفرون بأفواههم، ويصفقون بأيديهم "[5].

والتصدية هي التصفيق وتكون من خلال ضرب اليد على اليد الاخرى، قال ابن عباد:" والتَّصديَةُ: ضَرْبُكَ يَداً على يَدٍ؛ في قَوْلِ اللّهِ عَزَ وجَل:(مكَاءً وتَصْدِيَةً) وهو التَصْفِيْقُ "[6]. وجاء في تاج العروس:" وقيل للتَّصْفِيق: تَصدِيةٌ لأَن اليَدَيْنِ تَتصافَقانِ فيقابِل صَفْقُ هذه صَفْقَ الأُخرى وصَدُّ هذه صَدَّ الأُخرَى وهما وَجْهاها "[7].

يتحصل أنَّ المكاء هو الصفير والتصدية هو التصفيق، أي تصفير وتصفيق.

---

(١) الأنفال/ ٣٥.

(٢) الزخرف/ ٥٧.

(٣) ظ: الفراهيدي/ العين، ٤٥٣/١، ابن عباد/ المحيط في اللغة، ٧٠/٢، إبراهيم أنيس وآخرون/ معجم الوسيط ٦٨٤/٢، (م ك ي)

(٤) ابن منظور/ لسان العرب، ٢٨٩/١٥.(م ك ي)

(٥) الفرهيدي/ العين، ٤٥٣/١.(م د ي)

(٦) الصاحب بن عباد/ المحيط في اللغة، ٢٢٩/٢. (م د ي)

(٧) الزبيدي/ تاج الروس، ٢٠٦٨/١. (م د ي)

قال أحد المفسرين:((... والمكاء الصفير. ومنه المكاء وهو طائر يألف الريف... وأما التصدية فهي التصفيق. يقال : صدى يصدي تصدية إذا صفق بيديه، وفي أصلها قولان: الأول : أنها من الصدى وهو الصوت الذي يرجع من جبل . الثاني : قال أبو عبيدة : أصلها تصددة، فأبدلت الياء من الدال . ومنه قوله تعالى: ﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾[1]. أي يعجزون، وأنكر بعضهم هذا الكلام ، والأزهري صحح قول أبي عبيدة. وقال: صدى أصله صدى ، فكثرت الدالات الدالة فقلبت إحداهن ياء))[2].

قال آخر:((يقول تعالى ذكره: وما لهؤلاء المشركين إلا يعذبهم الله، وهم يصدون عن المسجد الحرام الذي يصلون لله فيه ويعبدونه، ولم يكونوا لله أولياء، بل أولياؤه الذين يصدونهم عن المسجد الحرام، وهم لا يصلون في المسجد الحرام (وما كان صلاتهم عند البيت)، يعني: بيت الله العتيق "إلا مُكاء"، وهو الصفير))[3].

وذكر بعضهم أن معنى المكاء والتصدية هو الاخبار من الله تعالى((أنه لم تكن صلاة هؤلاء الكفار الصادين عن المسجد الحرام (إلا مكاء) لئلا يظن ظان ان مع كونهم مصلين ومستغفرين لا يعذبهم الله، كما قال في الآية الاولى، فبين ان صلاتهم كانت مكاء وتصدية. والمكاء صفير كصفير (المكاء). وهو طائر يكون بالحجاز وله صفير ... والتصدية التصفيق))[4].

والمكاء فيه قولان حسب ما ذهب اليه المفسرين[5]:

القول الاول: وذلك بإدخال أصابعهم في أفواههم، وهذا قاله مجاهد . والثاني: هو أن يشبكون بين أصابعهم ويصفرون في كفهم بافواههم فيكون المكاء هو الصفير.

---

(١) الزخرف/ ٥٧.

(٢) الرازي/ مفاتيح الغيب، ٤٠٠/٧.

(٣) الطبري/ جامع البيان، ٥٢١/١٣.

(٤) الطوسي/ التبيان، ١١١/٥– ١١٢.

(٥) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٥٢٤/١٣، الماوردي/ النكت والعيون، ٦٥/٢، القرطبي/ الجامع لأحكام القران، ١٩٦/١٧، ١٩٦/١٧، الشوكاني/ فتح القدير، ١٧٨/٣.

عن مجاهد:((إلا مكاء، قال: كانوا ينفخون في أيديهم... المكاء ، إدخال أصابعهم في أفواههم))[١].وعن سعيد بن جبير قال:" كانوا يشبكون أصابعهم ويصفرون فيهن "[٢]. والمكاء: الصفير، وقيل: كانوا يطوفون بالبيت عراء يشبكون بين أصابعهم ويصفرون فيها [٣].

وأما التصدية ففيها خمسة أقوال أوردها المفسرين هي[٤]: الاول : التصفيق، قاله ابن عباس وابن عمر والحسن ومجاهد وقتادة والسدي. والثاني : يقصد به الصد عن البيت الحرام، قاله سعيد بن جبير وابن زيد . والثالث : قيل انه كان بعضهم يتصدى لبعض ليراه بذلك الفعل، وكان يصفر له. قاله أبو علي الجبائي. والرابع : أنها تفعلة من صد يصد، وهو الضجيج، قاله أبو عبيدة . ومنه قوله تعالى :﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾[٥] أي يضجون . والخامس: أنه الصدى الذي يجيب الصائح فيرد عليه مثل قوله، قاله ابن بحر .

وقد ذهب المفسرون في تفسيرهم للمكاء والتصدية، الى وجهين[٦]:

الوجه الاول: إنَّ الجاهلين كانت لهم صلاة من نوع آخر، والمُكاءُ هو الصّفِير، والتّصْدِية هي التّصفيق. فقيل: إن ذلك كان عبادة يتقرّبون بها. وعلل المفسرون سبب وصفه تعالى بالصلاة ، قالوا:((قيل عن ذلك جوابان: أحدهما: أنهم كانوا يقيمون التصفيق والصفير مقام الدعاء والتسبيح فجعلوا ذلك صلاة وإن لم يكن في حكم الشرع صلاة . والثاني : أنهم كانوا يعملون كعمل الصلاة))[٧]. ومما يؤيده:((وإنما سمي مكاؤهم بأنه صلاة لأمرين: احدهما انهم كانوا يقيمونه فعلهم الصفير والتصفيق مقام الصلاة والدعاء والتسبيح. والآخر أنهم كانوا يعملون كعمل الصلاة مما فيه هذا))[٨].

---

(١) الطبري/ جامع البيان، ٥٢٤/١٣.

(٢) السيوطي/ الدر المنثور، ٤٥٠/٤.

(٣) ظ: الحويزي/ الصافي، ٣٥٣/٢.

(٤) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٥٢٣/١٣، ابن ابي حاتم(٣٢٧هـ)/ تفسير ابي حاتم، ٨٢/٧، الماوردي/ النكت والعيون، ٦٥/٢، الطوسي/ التبيان، ١١١/٥-١١٢، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٤٠٠/٧، ابن كثير/ تفسير القران العظيم، ٥٢/٤ .

(٥) الزخرف : ٥٧.

(٦) ظ: الطبري / جامع البيان، ٥٢١/١٣، الثعلبي/ الكشف والبيان، ٤٥/٦، الطوسي/ التبيان، ١١١/٦، ابن كثير/ تفسير القران العظيم، ٥٢/٤، السيوطي/ الدر المنثور، ٤٥٠/٤.

(٧) الماوردي/ النكت والعيون، ٦٥/٢.

(٨) الطوسي/ التبيان،١١١/٥-١١٢.

وأورد أحد الرازي وجوهًا في ذلك:((... الأول: أنهم كانوا يعتقدون أن المكاء والتصدية من جنس الصلاة ، فخرج هذا الاستثناء على حسب معتقدهم . الثاني: أن هذا كقولك وددت الأمير فجعل جفائي صلتي. أي أقام الجفاء مقام الصلة فكذا ههنا. الثالث: الغرض منه أن من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له ، كما تقول العرب، ما لفلان عيب إلا السخاء . يريد من كان السخاء عيبه فلا عيب له))[١].

وهناك من المفسرين من ذهبوا الى أن المكاء والتصدية ليس بعبادة بل لهو ولعب فهم جعلوا من الدين لهوا ولعب عند البيت الحرام ، قال احدهم:" وما عبادتهم إلاّ أن يسبحوا الله ويحمدوه، وذلك ليس بعبادة ، إنما يلهمونه فينطقون به تلذذاً بلا كلفة "[٢]، أي: جعلوا الدين مجموع أمور هي من اللعب واللهو، أي العبث واللهو عند الأصنام في مواسمها، والمكاء والتصدية عند الكعبة على أحد التفسيرين في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾[٣]. وإنَّما لم يقل اتَّخذوا اللهو واللعب ديناً لمكان قوله :(اتَّخذوا) فإنَّهم لم يجعلوا كلّ ما هو من اللهو واللعب دينًا لهم بل عمدوا إلى أن ينتحلوا دينًا فجمعوا له أشياء من اللعب واللهو وسمّوها دينا[٤]، ومنه وما كانت صلاتهم عند البيت الحرام إلا ملعبة من المكاء والتصدية[٥].

الثاني: إنه ضَرْبٌ من التشويش على الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، وهو يصلِّي.

عن ابن عباس:((... كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون. وقال مجاهد : كان نفر من بني عبد الدار يعارضون النبيّ {صلى الله عليه وسلم} في الطواف يستهزئون به فيدخلون أصابعهم في أفواههم ويصفرون، يخلطون عليه صلاته وطوافه))[٦]. وعَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: تصدية، قَالَ:((الصَّفِيرُ، يَخْلِطُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ[واله] وَسَلَّمَ صَلاتَهُ))[٧].

يرى الباحث أن تفسير المكاء والتصدية ينسجم مع الوجه الأول وهو أنَّه كانت لقريش صلاة وهي مكاء وتصدية، ونستبعد الوجه الثاني، وبيان ذلك في عدة أمور:

---

(١) الرازي/ مفاتيح الغيب، ٤٠٠/٧.
(٢) الزمخشري/ الكشاف، ٤٩٢/٢.
(٣) الأنفال/ ٣٥.
(٤) ظ: ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ٤٨١/٤.
(٥) ظ: محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ٣٩/٩.
(٦) الثعلبي/ الكشف والبيان، ٤٥/٦.
(٧) ابي حاتم/ تفسير ابن ابي حاتم، ٨٢/٧.

١) ذكر أهل الاخبار أنَّ الصلاة كانت معروفة عند العرب قبل الإسلام، وقريش كانت تصلي ولكنها ليست كالصلاة المعروفة عندنا بل صلاة من نوع آخر هو تصفيق وتصفير، وأن الصلاة توجد عند كل الأديان ولكن لكل دين صلاته الخاصة وصلاة قريش كانت خاصة بهم يتقربون بها الى آلهتهم(١).

٢) إنهم كانت لهم صلاة ويبدو أنهم يؤدونها في أوقات معينة فقط مثلا كالحج أو عند الحاجة لها منها ما ورد أنه حين عزمت قريش على قتل الرسول:" واجتمعت قريش أن يدخلوا عليه ليلا فيقتلوه، وخرجوا إلى المسجد يصفرون ويصفقون ويطوفون بالبيت فأنزل الله: وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء و تصدية "(٢). أي انهم ربما تضرعوا الى آلهتهم كي ينصرونهم على الرسول وهذه ايضاً صلاة .

٣) ما ذهب اليه أحد المؤرخين بقوله:" اما ان الآية نزلت في حق نفر من بني عبد الدار فان هذا التفسير لا ينسجم مع منطوق الآية لأنها تشير الى صلاة المشركين لا الى صلاة الرسول بدلالة قوله صلاتهم فالضمير ضمير جمع يعود الى قريش. واما النفر فكانوا يستهزؤن ولم يكونوا يصلون "(٣).

إذن الأخذ بظاهر الآية هو الأقرب فان قريش كانت تصلي قبل الإسلام ولكن صلاتها لم تكن صلاة بتجلية واحترام وحشمه وإنما كانت صفيرًا وتصفيقًا وضرب من اللهو واللعب ولا يلقيان أن يكونا تعبيراً من انسان عن خالقه ومثل هذه الصلاة لا تستحق ان تسمى صلاة لأنها خالية من الادب والحشمة. حتى ان القرآن الكريم استخدم مكاء وتصدية بدلاً من التصفير والتصفيق لأن هاتين اللفظتين أنسب للقرآن الكريم من لفظتي الصفير والتصفيق، فالقرآن منزه عن أن يأتي بلفظ لا يتناسب مع الموقف(٤).

الخلاصة: المكاء هو الصفير والتصدية هو التصفيق ، وذهب القسم الأكبر من المفسرين إلى القول أن صلاة المشركين عند البيت الحرام كانت مكاء وتصدية ، بينما ذهب آخرون أنها ليست بصلاة بل هي لعب ولهو ، ويرى بعض المفسرين أنها نوع من التشويش على الرسول عندما يصلي .

---

(١) ظ: جواد علي/ تاريخ الصلاة / ٧-٨.

(٢) محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ٤٣/٩.

(٣) جواد علي/ الصلاة/١٠.

(٤) ظ: ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ٤٨١/٤، الطباطبائي/ الميزان، ٣٩/٩، جواد علي/ تاريخ الصلاة/ ١٠-١١.

الفرعُ الثّالث: الصَّفا والمَرْوَة من شعائر الله

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

الصفا في اللغة: جمع صفاة، والصفا والصفوان والصفواء كله الحجر العريض الأملس، أو الصخرة الملساء القوية المختلطة بالحصى والرمل[2]. ((الصَّفَا: العريض من الحجارة، الأملس... الصفا والمروة: وهما جبلان بين بطحاء مكة والمسجد))[3].

المروة لغة: واحد المرو، وهي حجارة بيض، براقة صلاب، أو الصخرة القوية المتعرجة وهو الأبيض الصلب، وهي جبل مكة[4].

جاء في القاموس المحيط :" المروة حجارة بيض براقة، وهو جبل بمكة يذكر مع الصفا، وقد ذكرهما الله تعالى في كتابه العزيز "[5].

وقول آخر:" المروة الحجارة البيض، والواحدة مروة، وسمي بالواحدة الجبل المعروف بمكة "[6]. ويؤيده قول أحدهم سمي جبل المروة بذلك لكون حجارته بيضاء براقة[7].

والصفا والمروة: هما الجبلان المعروفان في مكة قرب البيت الحرام، وهما من الشعائر، كما قال الله تعالى، الصفا والمروة اسمان لجبلين صغيرين في مكة، يفصل بين الجبلين (٤٢٠) مترًا تقريبًا[8].

---

(١) البقرة: ١٥٨.

(٢) ظ: الازهري/ تهذيب اللغة، ١٩١/٤، الفيروزآبادي/ القاموس المحيط ، ٢٤٠/١، ابن عباد/ المحيط في اللغة، ٢٦٦/١، ابن منظور/ لسان العرب، ٢٥٦/٣. مادة: (ص ف و)

(٣) الازهري/ تهذيب اللغة، ٢٢٦/٤. مادة: (ص ف و)

(٤) الفراهيدي/ العين، ١١٦/١، الصاحب بن عباد/ المحيط في اللغة، ٤٤٣/٢، ابن دريد/ جمهرة اللغة، ٤٤٦/١.

(٥) الفيروزآبادي/ القاموس المحيط ، ٤٧٥/٣. مادة: (مرو)

(٦) الفيومي/ المصباح المنير، ٤٥١/٨. (مرو)

(٧) الزبيدي/ تاج العروس، ٨٥٩٦/١. (مرو)

(٨) ظ: الطوسي / التبيان، ٤١/٢، ناصر مكارم الشيرازي/ الامثل، ٤٥١/١.

إنَّ سبب التسمية فيه قولان[١]: أحدهما: إنَّ الصفا: الحجارة البيض، والمروة الحجارة السود . والثاني: أن الصفا : الحجارة الصلبة التي لا تنبت شيئًا ، والمروة الحجارة الرخوة ، وهذا أظهر القولين في اللغة.

قال أحد المفسرين:((وحُكِيَ عن جعفر بن محمد [عليه السلام] قال : نزل آدم على الصفا ، وحواء على المروة ، فَسُمِّي الصفا باسم آدم المصطفى وسميت المروة باسم المرأة . وقيل أن اسم الصفا ذكّر بإساف وهو صنم كان عليه مذكر الاسم ، وأنثت المروة بنائلة وهو صنم كان عليه مؤنث الاسم))[٢].

ذهب أغلب المفسرين أن فريضة السعي تعتبر اقتداءً بالسيدة هاجر زوجة النبي إبراهيم (عليه السلام) بعد أن تركها إبراهيم في مكة مع ابنها إسماعيل تنفيذًا لأمر الله سبحانه وتعالى، وبذلك بقيت هاجر مع ابنها إسماعيل (عليه السلام) في صحراء قافرة لا زرع فيها ولا ماء ولا بشر. وبعد وقت قصير بدأ العطش يأخذ مأخذه من ابنها إسماعيل (عليه السلام)، بدأت هاجر تسعى بين جبلي الصفا والمروة بكل ما أوتيت من طاقة لعلها تجد ماء يروي عطش رضيعها. وبعد أن فعلت ذلك سبع مرات وتمهلت عند رضيعها بعد أن بذلت كل ما تستطيع لتجد الماء وإذا بها تجد الماء قد نبع عند رضيعها لتنفذ المشيئة الإلهية بإغاثتهما، وهذا النبع هو بئر زمزم. وقد بقيت هذه الشعيرة وأصبحت جزء من أعمال الحج[٣]، قال أحدهم:" إنّ أوّل من سَعى بين الصَّفا والمروة لأمُّ إسماعيل "[٤].

وذهب بعض من المفسرين الى أنَّ منشأ السعي يعود الى إبراهيم فهو أول من سعى، جاء في بعض كتب التفسير:" صار السعي بين الصفا والمروة، لأن إبراهيم (عليه السلام) عرض له ابليس فأمره جبرئيل (عليه السلام) فشد عليه فهرب منه، فجرت به السنة يعنى بالهرولة "[٥].

ويتفق المفسرون أن تلك الشعيرة تعود الى زمن النبي إبراهيم وأنها من مناسك الحج وكان العرب في الجاهلية يسعون بين الجبلين عندما يأتون للزيارة، وقد وضعوا عند كل جبل صنم اسم أحدهما أُساف

(١) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٢٢٤/٣، الماوردي/ النكت والعيون، ١١١/١، الطوسي/ التبيان، ٤١/٢، ابن عطيه / المحرر الوجيز،١٧٤/١، ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ٥١/٢.

(٢) الماوردي/ النكت والعيون، ١١١/١.

(٣) ظ: الرازي/ مفاتيح الغيب، ٤٥٥/٢، ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ٥١/٢، سيد قطب/ في ظلال القران، ١٩٥/٥، ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل، ٤٥٤/١.

(٤) الطبري/ جامع البيان، ١٩/١٧.

(٥) الحويزي/ نور الثقلين، ١٦٣/١.

على الصفا والآخر نائلة على المروة، والذي يسعى لابد أن يلمس هذين الصنمين، وقد ذكروا في الروايات أن هذين الصنمين كانا رجل وامرأة وقد زنيا فبدلهم الله عز وجل إلى حجر، ثم وضعوا ليكونوا عبرة لغيرهم وبعد توالي السنوات عُبدا وتحولا الى مقدسين(١).

قد تحرج بعض المسلمين من السعي بين الصفا والمروة وذلك بسبب ارتباطهما في طقوس الجاهلية ولكن الله (عز وجل) بين لرسوله الكريم أن السعي هو من شعائر الله التي حرفها الجاهلين وأضافوا اليها الشرك والخرافات وبعد إزالة مظاهر الشرك وجب السعي بينهما لأنهما من طقوس الحج وجاء الإسلام وأصلح هذه المناسك، وطهّرها مما علق بها من تحريف، وأقرّ ما كان صحيحًا منها ومن جملتها السعي بين الصفا والمروة(٢).

قال أحد المفسرين المعاصرين:" إن بعض المسلمين تحرجوا من الطواف بالصفا والمروة في الحج والعمرة ، بسبب أنهم كانوا يسعون بين هذين الجبلين في الجاهلية ، وأنه كان فوقهما صنمان هما أساف ونائلة . فكره المسلمون أن يطوفوا كما كانوا يطوفون في الجاهلية "(٣).

من أسرار السعي بين الصفا والمروة، إذ :((أن قراءة تاريخ حياة عظماء التاريخ يدفع الإنسان إلى الإقتداء بهم، لكن هناك طريقًا أكثر تأثيرًا، وهو مشاهدة المعالم الأثرية التي كافح عليها هؤلاء الرجال، وسجلوا فيها بطولاتهم. هذه المعالم هي في الواقع ليست مثل كتب التاريخ الميتة، بل هي تاريخ حيّ ناطق، يستطيع أن يُحلّق بالإنسان عبر القرون والأعصار، ليجعله يعيش مع الحوادث الماضية بكل مشاعره))(٤).

الخلاصة: الصفا والمروة جبلان صغيران في مكة يقعان قرب البيت الكعبة وهما من شعائر الله فالسعي بينهما سنة متوارثة منذ عهد إبراهيم الخليل ، وسبب تحرج المسلمين من السعي بينهما هو أن المشركين وضعوا فوقهما في أيام الجاهلية صنمين ولكن بعد إزالة تلك الأصنام أصبح السعي بينهما واجب ، وعادت الشعيرة خالصت لله .

---

(١) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٢٣٠/٣، القمي/ تفسير القمي، ٣/٦، الطوسي/ التبيان، ٤١٦/٣، السيوطي/ الدر المنثور، ٣١٩/١، ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل ، ٤٤٩/١.

(٢) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٢٣١/٣، الشنقيطي/ اضواء البيان، ٤٧٠/٤، طنطاوي/ الوسيط، ٢٤٨/١، ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل، ٤٤٩/١.

(٣) سيد قطب / في ظلال القران، ١١٩/١.

(٤) ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل، ٤٥٢/١.

الفرعُ الرَّابعُ: رؤية فِعل الرَّب بأصحاب الفيل

من الحوادث التي ذكرت في القران الكريم هي حادثة اصحاب الفيل، وذكر القرآن الكريم هذه القصة، فأنزل الله تعالى سورةً كاملةً ومستقلةً بإسم سورة الفيل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾[1].

يقول الطباطبائي :((فيها إشارة إلى قصة أصحاب الفيل إذ قصدوا مكة لتخريب الكعبة المعظمة فأهلكهم الله بإرسال طير أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول، وهي من آيات الله الجلية التي لا سترة عليها، وقد أرخوا بها وذكرها الجاهليون في أشعارهم، والسورة مكية))[2].

بيان القصة: ذكر المفسّرون والمؤرخون هذه القصّة بأساليب مختلفة واختلفوا في سنة وقوعها وفي سبب هجوم ابرهة، ولكن أصل القصّة متفق عليه وهي من القصص قريبة العهد بالإسلام لكونها أتخذت تاريخ لأهل مكة حتى أنهم كانوا يعدون السنين بقولهم بعد عام الفيل بكذا سنه وهكذا، والقصة طويلة وفيها تفاصيل كثيرة نذكرها هنا بالإيجاز المختصر: نزل جماعة من أهل مكة بأرض الحبشة في تجارةٍ، فدخلوا في كنيسةٍ من كنائس النصارى، وأوقدوا بها نارًا يصطلون عليها، ويصنعون بها طعامًا لهم. ورحلوا ولم يُطفؤوها، فهبّت به ريح فأحرقت جميع ما في الكنيسة، فلما دخلوا قالوا: من فعل هذا؟ قالوا: كان بها تجار من عرب مكة، فأخبروا بذلك ملكهم، فقال: ما أحرق معبدنا إلا العرب، فغضب لذلك غضباً شديداً، وقال: لأُحرقنّ معبدهم، فأرسل وزيره أبرهة بن الصبّاح مع الجيوش، وأرسل معه الفيل؛ ليهدم البيت لما سمع أهل مكة أنه قد نزل بهم صاحب الفيل جمعوا أموالهم وأهليهم ودوابهم وهموا بالخروج من مكة هاربين من أصحاب الفيل، فلما نظر إليهم عبد المطلب قال لهم: يا قوم أيجمل منكم هذا الأمر وإنه لعار عليكم خروجكم عن كعبتكم قالوا له: إنّ الملك أقسم بمعبوده أن لا بد له من ذلك أن يهدم الكعبة ويرمي أحجارها في البحر ويذبح أطفالها ويرمل نساءها ويقتل رجالها، فاتركنا نخرج قبل أن يحل بنا الويل فقال لهم عبد المطلب: إنّ الكعبة لا يصلون إليها لأنّ لها مانعاً يمنعهم عنها وصاداً يصدهم عنها، فإن أنتم التجأتم إليها واعتصمتم بها فهو خير لكم، فلم تطمئن القلوب إلى كلامه وغلب عليهم الخوف والجزع وخرجوا هاربين يطلبون الشعاب ومنهم من طلب الجبال ومنهم من ركب البحر، فعند ذلك قالوا لعبد المطلب: ما يمنعك أن تهرب مع الناس قال أستحي من الله أن أهرب عن بيته وحرمه، فو الله

(١) الفيل/ ١ – ٥.

(٢) الطباطبائي/ الميزان، ٢٠٥/٢٠ .

لا برحت من مكاني ولا نأيت عن بيت ربي حتى يحكم الله بما يشاء، ولم يبق يومئذ بمكة إلا عبد المطلب وأقاربه وهم غير آمنين على أنفسهم، فلما نظر عبد المطلب إلى الكعبة خالية وديارها خاوية قال: اللهم أنت أنيس المستوحشين، لما أقبل صاحب الحبشة بالفيل يريد هدم الكعبة، مرّوا بإبل لعبد المطلب فاستاقوها، فتوجه عبد المطلب إلى الجيش، وقيل لأبرهة: إنّ هذا شريف قريش وهو رجل له عقل ومروءة، فأكرمه وأدناه، ثمّ قال لترجمانه: سله: ما حاجتك؟ فقال له: إنّ أصحابك مرّوا بإبل لي فاستاقوها، فأحببت أن تردّها لي، فتعجب من سؤاله إياه ردّ الإبل وقال: انت تتحدث عن إبلك ولا تذكر الكعبة وأنا قدمت لهدمها؟! فقال عبد المطلب: أنا ربّ الإبل وللبيت ربّ يحميه أرسل الله سبحانه طيوراً أبابيل تحمل معها حجارة من سجيل، فرمتهم بالحجارة، وبعث اللّه ريحاً، فزادتها شدَة، فما وقع منها حجرٌ على رجُلٍ إلا خرج من دُبُره، فقتلتهم وشتتت أشلائهم، وكان هذا من أعظم المعجزات في ذلك الزمان، أظهره اللّه ليدل على وجوده، ووجوب معرفته(١).

أسباب الاستهداف

اختلف المفسرون عن السبب الذي حمل أصحاب الفيل نحو مكة لهدم الكعبة، فقد ذهب أغلب المفسرين الى أن أمير الحبشة الذي بنى كنيسة باسم الملك (القليس) وأراد أن يصرف إليها حج العرب ويمنع الناس من الذهاب إلى مكة، وبعدها خرجت رفقة من العرب وأشعلت نارًا، وكان في عمارة (القليس) خشب، فحملتها الريح إليها فأحرقتها، فحلف ليهدمنّ الكعبة، أي: أنه أتخذ من حادثة حرق الكنيسة عذرًا وحجة لهدم الكعبة حتى يسلط أنظار العرب نحو كنيسته(٢). ويؤيده قول أحدهم:" وقال الحسن: كان السبب في ذلك أن العرب هدمت كنيسة للحبشة، وهم نصارى، فأراد تخريب الكعبة في مقابلة ذلك "(٣).

(١) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٦١٥/٢٤، القمي/ تفسير القمي، ٢/١١٠-٣، الماوردي/ النكت والعيون، ٤٥٤/٤، الثعلبي/ الكشف والبيان، ٢١٧/١٤، الطوسي/ التبيان، ٣٩٠/١٠، الطبرسي/ مجمع البيان، ٣٩٩/١٠، المجلسي/ بحار الأنوار،٢/١٥، ناصر مكارم الشيرازي/ الامثل، ٢٠/ ٤٦٢-٤٦٤.

(٢) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٦١٥/٢٤، الماوردي/ النكت والعيون، ٤٥٤/٤، الثعلبي/ الكشف والبيان، ٢١٧/١٤، الطبرسي/ مجمع البيان، ٣٩٦/١٠، السيوطي/ الدر المنثور، ٣٥١/١٠، طنطاوي/ الوسيط، ٤٥٦٧/١.

(٣) الطوسي/ التبيان، ٣٩٠/١٠.

جعل العرب واقعة هجوم أبرهة على الكعبة، مبدأ لتاريخهم، ولهذا السبب عدّوا السنة حياة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) من هذا التاريخ حيث أتخذوا منه كتاريخ لحساب حياته، وقد وأختلف في مولد الرسول من عام الفيل على ثلاثة أقوال(١):

القول الأول: أن مولده بعد أربعين سنة من عام الفيل، قاله مقاتل(ت١٥٠هـ). والثاني: بعد ثلاث وعشرين سنة منه . والثالث: أنه ولد في نفس عام الفيل، روي ذلك عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أنه قال: ولدت يوم الفيل.

ورجح القول الثالث أكثر المفسرين منهم الطبرسي والرازي وابن كثير والطباطبائي(٢).

معجزة الحمى

إنَّ القران الكريم يذكر هذه القصة غاية الفصاحة والبلاغة ويركز على نقاط عدة تساعد في تحقيق الأهداف القرآنية المتمثلة في ايقاظ المتعنتين المغرورين وبيان ضعف الانسان أمام قدرة الله تعالى(٣).

وفي حصول المعجزة وتدمير أصحاب الفيل وانه لم يكن في وقتها وجود نبي ، جاء في بعض كتب التفسير أن:" هذه الحادثة تبيّن أنّ المعجزات والخوارق لا تستلزم . كما ظنّ بعض . وجود النّبي والإمام، بل تظهر في كلّ ظرف يشاء اللّه فيه أن تظهر. والهدف منها إظهار عظمة اللّه سبحانه وحقانية دينه "(٤).

لقد تم إبادة جيش ابرهة وتدميره بعاملين كما يذكر القران الكريم هما طير الابابيل وحجارة من سجيل، واختلف المفسرون في ابابيل على خمسة أقوال، ولكنهم اتفقوا على انها معجزة الهية تم من خلالها تدمير أصحاب الفيل وكل ذلك لانهم أرادوا هدم الكعبة والزالتها، والاقوال هي(٥):

---

(١) ظ: الماوردي/ النكت والعيون، ٤٥٤/٤، الطبرسي/ مجمع البيان، ٣٩٩/١٠-٤٠٠، ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل، ٤٥٩/٢٠.

(٢) ظ: الطبرسي، مجمع البيان: ٤٠٠/١٠، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٢١٢/١٧، ابن كثير/ تفسير القران العظيم، ٤٨٣/٨، الطباطبائي/ الميزان، ٢٠٥/٢٠.

(٣) ظ: ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل،٤٤٨/٢٠.

(٤) المصدر نفسه، ٤٤٩/٢٠.

(٥) ظ: الماوردي/ النكت والعيون، ٤٥٦/٤، الطوسي/ التبيان، ٣٩٠/١٠، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٢١٥/١٧، ابن كثير/ تفسير القران العظيم، ٤٨٨/٨- ٤٨٩، طنطاوي/ الوسيط، ٤٨٨/١.

الاول: أنها الكثيرة، قاله طاوس(ت١٠٦هـ) والحسن(ت١١٠هـ). والثاني: المتتابعة التي يتبع بعضها بعضاً، قاله ابن عباس(ت٦٨هـ) ومجاهد(ت١٠٤هـ) . والثالث : أنها المتفرقة من هنا وهنا، قاله ابن مسعود(ت٣٢هـ). والرابع : أنها المختلفة الألوان، قاله زيد بن أسلم(١٣٦هـ) . والخامس: أن تكون جمعًا بعد جمع ، قاله أبو صالح(ت١٠١هـ) وعطاء(ت١١٤هـ)، أي: أن الأبابيل مأخوذ من الإبل المؤبلة، وهي الأقاطيع .

والطبري(ت٣١٠هـ) أورد الآراء فيها ، يقول:((وذُكر أنها كانت طيرا أُخرجت من البحر. وقال بعضهم: جاءت من قبل البحر. ثم اختلفوا في صفتها، فقال بعضهم: كانت بيضاء. وقال آخرون: كانت سوداء. وقال آخرون: كانت خضراء، لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكفّ كأكفّ الكلاب))[١].

وأبابيل لم تكن في لهجات العرب المعروفة اسمًا لطائر، بل إنّها صفة، قيل إنّ معناها جماعات متفرقة، أي: أنّ هذه الطير كانت تأتي على شكل مجموعات والكلمة لها معنى الجمع. وقيل: إنّ مفرده (أبابلة) وهي المجموعة من الطير أو الخيل أو الإبل، وقيل إنّ الكلمة جمع لا مفرد له من لفظه. على أي حال عبارة (طيراً أبابيل) تعني طيراً على شكل مجموعات [٢].

ترميهم بحجارة من سجيل، ((أي: تقذفهم بحجارة صلبة شديدة ليست من جنس الحجارة ... وقال موسى بن عائشة : كانت الحجارة أكبر من العدسة و أصغر من الحمصة و قال عبد الله بن مسعود : صاحت الطير فرمتهم بالحجارة فبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها شدة فما وقع منها حجر على رجل إلا خرج من الجانب الآخر فإن وقع على رأسه خرج من دبره (فجعلهم كعصف مأكول) أي كزرع و تبن قد أكلته الدواب ثم راثته فديست و تفرقت أجزاؤه شبه الله تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث))[٣].

وقد لخص الفخر الرازي اقوال العلماء في حجارة من سجيل فقال:((ذكروا في السجيل وجوهاً أحدها: أن السجيل كأنه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار... وثانيها: قال ابن عباس: سجيل معناه سنك وكل، يعني بعضه حجر وبعضه طين وثالثها: قال أبو عبيدة: السجيل الشديد ورابعها: السجيل اسم لسماء الدنيا وخامسها: السجيل حجارة من جهنم ، فإن سجيل اسم من أسماء جهنم فأبدلت

---

(١) الطبري/ جامع البيان، ٦٠٦/٢٤، وذهب الى هذا القول ايضاً الماوردي/ النكت والعيون، ٤٥٦/٤، والطبرسي/ مجمع البيان، ٤٠٠/١٠، ابن كثير/ تفسير القران العظيم، ٤٨٨/٨.

(٢) ظ: ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل، ٤٦٦/٢٠.

(٣) الطبرسي / مجمع البيان،١٠/٤٠٠-٤٠١.

النون باللام))[١]. يتحصل ان طيوراً صغيرة جاءت من جهة البحر تحمل حجارة صغيرة فرمت بها على جيش ابرهة مع فيلهم الذي جاءوا به لتدمير الكعبة وكانت الحجارة الصغيرة تخترق أجساد أصحاب الفيل فتهشمها وذلك حدث خارق للعادة اجراها الله (عزوجل) لبيان ان لهذا البيت الحرام قدسية وحرمة[٢].

ذهب محمد عبده الى أنَّ هلاك أصحاب الفيل كان بسبب داء الجدري ((... حتى وصل الى المغمس بالقرب من مكة ثم ارسل الى اهل مكة يخبرهم انه لم يأتي لحربهم وانما اتى لهدم البيت ففروا الى الجبال المحيطة والشعب... وفي اليوم الثاني فشأ في جند الحبشي داء الجدري والحصبة... وقد فعل ذلك الوباء باجسامهم ما يندر وقوع مثله فكان لحمهم يتناثر ويتساقط فذعر الجيش وصاحبه وولوا هاربين))[٣].

وأيده آخر فقال:" ... أرسل الله عليه من الطير ما يوصل إليه مادة الجدري أو الحصبة ، فأهلكته وأهلكت قومه ، قبل أن يدخل مكة "[٤].

وتجدر الإشارة أن بعض المؤرخين والمفسرين ذكروا انتشار وباء الحصبة والجدري في بلاد العرب لأوّل مرّة في نفس ذلك العام[٥]. عن عكرمة، قال:" كانت ترميهم بحجارة معها، قال: فإذا أصاب أحدهم خرج به الجُدَرِيّ، قال: كان أوّل يوم رُؤى فيه الجدريّ؛ قال: لم ير قبل ذلك اليوم، ولا بعده. الطبري "[٦]. ويرى بعض المعاصرين أنَّ هذا لا ينهض دليلاً على أن هلاك جيش أبرهة بتلك الأوبئة[٧].

الأوبئة[٧].

(١) الرازي/ مفاتيح الغيب، ٢١٦/١٧، تجدر الاشارة الى ان الماوردي ايضاً ذكر اكثر تلك الاقوال راجع: النكت والعيون، ٤٥٧/٤.

(٢) ظ: الطباطبائي/ الميزان، ٢٠٥/٢٠، ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل، ٤٦٧/٢٠.

(٣) محمد عبده/ تفسير جزء عم/ ١٥٧.

(٤) سيد قطب/ في ظلال القران، ١٠١/٨.

(٥) ظ: الطبرسي/ مجمع البيان، ٣٩٩/١٠، السيوطي/ الدر المنثور، ٣٥١/١٠، ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ٣٩٤/١٦.

(٦) الطبري/ جامع البيان، ٦٠٨/٢٤.

(٧) ظ: ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل، ٤٦٩/٢٠.

إنَّ تفسير محمد عبده يعطي صفة طبيعة للحادثة ويرى ناصر مكارم الشيرازي لسنا بحاجة لتلك التبريرات فان ما حصل لأصحاب الفيل هو أعجاز وحادثة قريبة العهد بالإسلام وتداولها العرب وخاصة أهل مكة بكل تفاصيلها(١).

أجمع المفسرون على أنَّ حادثة أصحاب الفيل هي حادثة تاريخية قطعية لا تقبل الشك وكانت من الأهمية والشهرة بين العرب بحيث جعلوها مبدأ للتاريخ فكانوا يقولون ولد أو حدث في عام الفيل أو ولد بعد عام الفيل بكذا او قبل عام الفيل بكذا أي أن تلك الحادثة لأهميتها وشهرتها أصبحت مقاسًا لتاريخ عندهم، يذكر أن قريش لم يعترضوا عليها أو يكذبوا الحادثة لم ينكر عليه أحد، ولو كان أمراً مشكوكاً لاعترضوا عليه، ولسجل المؤرخون هذا الإعتراض كما سجلوا سائر الإعتراضات(٢).

الخلاصة: إنَّ حادثة أصحاب الفيل وردت في القرآن الكريم وتناقلها العرب على ألسنتهم كونها قريبة العهد بالإسلام ، وهي حادثة واقعية الحصول وحصلت في نفس عام ولادة الرسول(صلى الله عليه واله) وسمي ذلك العام باسم عام الفيل نتيجة تلك الحادثة ، وأن تدميرهم كان بالمعجزة الإلهية ولم تكن بالأسباب الطبيعية .

(١) ظ: المصدر نفسه/ الأمثل، ٤٦٩/٢٠.

(٢) ظ: الطوسي/ التبيان، ٣٨٩/١٠، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٢١٨/١٧، الطباطبائي/ الميزان، ٢٠٥/٢٠، ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل، ٤٧١/٢٠.

المبحث الثاني

البعدُ الدّينيّ لمكَّة قبل الإسلام عند المستشرقينَ

المطلب الأوَّلُ: موقف المستشرقين من الانبياء ومكة .

المطلب الثاني: موقف المستشرقين من ديانة العباد

المطلبُ الأوّلُ: موقف المستشرقينَ من الأنبياء ومكَّة

الفرعُ الأوَّلُ: موقف المستشرقينَ من إبراهيم وإسماعيل(عليهما السلام)

أولًا: الرؤية الاستشراقية لإبراهيم وإسماعيل

أجمع المستشرقون أن النبي إبراهيم قد ولد في بلاد الرافدين ودعا قومه الى عبادة الإله الواحد ولكن دعوته قد لاقت معارضة شديده مما اضطره الى الهروب من بابل الى فلسطين مع أهله وهم زوجته وبعض أقاربه ثم الى مصر التي كانت تحت حكم الهكسوس وقد طمع الملك المصري بزوجته ساره وخوفاً من القتل أدعى إبراهيم أنها أخته وقد أخذها الملك المصري لكي يتزوجها ولكن رؤيا قد حالت دون زواجه منها وقام بارجاعها الى إبراهيم وأعطاها هدية خادمة لها هي (هاجر) وقد تزوج إبراهيم من هاجر المصرية وعادوا الى الارض المقدسة(فلسطين)، وازداد حسد سارة على هاجر وابنها مما أضطر ابراهيم(عليه السلام) أن يسكنهم في صحراء بئر سبع وقد نبع فيها بئر ماء ونشأ إسماعيل حتى اصبح رامي قوس رأى إبراهيم أنه يذبحه ويقدمه قربان لربه وعندما أراد تنفيذ وعده أرسل الله (كبش) ليفدي به بدلاً من إبنه اسماعيل، وقد أستندوا في دليلهم على ما جاء في العهد القديم(١).

إمَّا مسألة ذهاب إبراهيم واسكان زوجته هاجر وابنه اسماعيل في وادي مكة يرفضها المستشرقون ويرون أنها من صنع اليهود، وبعضهم يرى أنها من صنع النبي محمد(صلى الله عليه واله) لإعطاء الدين الجديد الإسلام صفة الابراهيمية.

يرتاب السير وليم موير William Muir (1819- 1905) المستشرق الاسكتلندي في قضية ذهاب إبراهيم وإسماعيل إلى الحجاز ويرى أنها من صنع اليهود ابتدعوها قبل الإسلام بأجيال ليربطوا بينهم وبين العرب برابطة قرابة توجب على العرب حسن معاملة اليهود النازلين بينهم وتيسر لتجارة اليهود في شبه الجزيرة، ويستند في دليله على أوضاع العبادة في بلاد العرب لا صلة بينها وبين دين إبراهيم لأنها وثنية مغرقة في الوثنية وكان إبراهيم حنيفًا مسلما(٢)، نقلاً عن أحمد إبراهيم الشريف(٣).

---

(١) ظ: ارند جان فنسنك A.J. Wensinck/ موجز دائرة المعارف الإسلامية، ١/٧٣-٧٦.

(٢) ظ: Sir. w. Muir, Life of mahamet and History of Islam: V. I. P. Cxci

(٣) مكة والمدينة في الجاهلية والإسلام/ ١١٢.

اذاً وليم موير ينفي ذهاب إبراهيم (عليه السلام) ولكنه يقول:" بإمكان انتقال جماعة من ابنائهم بعد ذلك من فلسطين الى بلاد العرب واتصالهم واياهم بصلة النسب "[١]. نلحظ أن وليم موير يرى أن القصة من صنع اليهود حين استوطنوا في جزيرة العرب، ويطرح إمكانية انتقال مجموعة من أبنائهم، ويرفض فكرة ذهاب الآباء بينما يراها ممكنه مع الابناء.

يرى آخر أن قصة ذهاب إبراهيم الى مكة وبنائه الكعبة هي قصة أختلقها الرسول محمد في القرآن، لكي يتصل دينه الجديد الذي جاء به بإبراهيم وان إبراهيم مؤسس الكعبة وفعل ذلك عندما بدأ صراعه مع اليهود والنصارى في المدينة، وهي قصة مختلقه لا وجود لها في التاريخ[٢].

والمستشرق الهولندي كريستيان سنوك هورخرونيه (Christiaan Snou Hurgronje 1857-1936) يذهب مع الاتجاه القائل أن قصة ربط إبراهيم بالكعبة ومكة اختلقها الرسول، يقول:((يعتبر هذا المكان المقدس بناء قديماً ولا يعرف الكثير عن نشأته غير أن الرواية التي كشف عنها النقاب لأول مرة أن الرسول محمد يوم عقد العزم على أن يعبد هذا البيت (الذي كان مقراً للأوثان) الى حظيرة الإسلام أظهرت أن إبراهيم وإسماعيل هما اللذان بنيا هذا المكان))[٣]، أي: أن سنوك يرى أن قصة بناء الكعبة من قبل إبراهيم لم تكن معروفه ولم يسمع بها أحد من قبل وأن الرسول محمد(صلى الله عليه واله وسلم) هو أول من أظهرها للناس عند صراعه مع اليهود وتغيير القبلة من البيت المقدس الى الكعبة.

ويؤيد هذا الاتجاه ايضًا بعض المستشرقين بالقول:((احتاج التحول عن القدس المدينة المقدسة لدى اليهود الى مقدس العرب القدامى الى تعليل تسويغ حتى لا يساء فهم المسالة باعتبارها عودة الى التقاليد العربية الوثنية. ولهذا الهدف صار القران الى تركيب تاريخي مهم ، يمكن وصفه بعبارة واحدة أنه أسطورة أو قصة إبراهيم))[٤].

ويضيف المستشرق فيقول:((يرى المسيحيون بحسب أبحاث (سنوك هورغرونيه) أن إبراهيم بوصفه شخصية تأريخية ما كانت له علاقة أبدًا بالكعبة والشعائر المرتبطة بها ولهذا فان التقاليد القرآنية عن ذلك هي بمثابة الايدلوجيا ولا يمكن اعتبارها بوصفها حقيقة إلا بشكل ذاتي... يرى (سنوك

(١) احمد ابراهيم الشريف/ مكة والمدينة في الجاهلية والإسلام/١١٣.
(٢) ظ: لآمنس/ ابحاث المسترق لامنس عن مكة المندرجة في كتاب مكة في الدراسات الاستشراقية/ ١٥٧.
(٣) سنوك هورخرونيه/ صفحات من تاريخ مكة/ ٦٩.
(٤) رودي باريت / محمد والقران/ ١٩٤.

هورغرونيه) أن النبي محمد توصل إلى هذه الفكرة بعد الهجرة وخلال نزاعه مع اليهود أي فكرة الربط بين إبراهيم (وابنه إسماعيل) من جهة ومكة والكعبة من جهة ثانية. وبحسب هورغرونيه فان تلك كانت فكرة النبي أثناء ذاك التنازع لكي يدعم دعواه في الأصل التاريخي المقدس لمكة))[١].

نلحظ أن سنوك وكستر ومن سار في خطاهم ينسبونها للرسول محمد(صلى الله عليه واله وسلم) أي ان الإسلام هو من اوجد تلك القصة عكس ما ذهب اليه وليم موير من نسبها لليهود.

جاء في دائرة المعارف الاستشراقية :((كان شيرنكر أول من لاحظ أن شخصية إبراهيم كما في القرآن مرت بأطوار قبل أن تصبح في نهاية الأمر مؤسسة للكعبة. وجاء سنوك هرجروني بعد ذلك بزمن فتوسع في بسط هذه الدعوى فقال: إن إبراهيم في أقدم ما نزل من الوحى (الذاريات آية ٢٤ وما بعدها، الحجر، آية /٥ وما بعدها... ولم يُذكر قط أن إبراهيم هو واضع البيت ولا أنه أول المسلمين. أما السور المدنية فالأمر فيها على غير ذلك، فإبراهيم يُدعى حنيفا مسلمًا، وهو واضع ملة إبراهيم، رفع مع إسماعيل قواعد بيتها المحرم –الكعبة– (البقرة، آية ١١٨ وما بعدها؛ آل عمران، آية ٦٠، ٨٤ ... الخ). وسر هذا الاختلاف أن محمدًا كان قد اعتمد على اليهود في مكة فما لبثوا أن اتخذوا حياله خطة عداء، فلم يكن له بد من أن يلتمس غيرهم ناصرًا؛ هناك هداه ذكاء مسدد إلى شأن جديد لأبى العرب– إبراهيم، وبذلك استطاع أن يخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية إبراهيم تلك اليهودية التي كانت ممهدة للإسلام. ولما أخذت مكة تشغل جل تفكير الرسول أصبح إبراهيم أيضًا المشيد لبيت هذه المدينة المقدس))[٢].

أي: أن الذى يعزوه كل من سنوك وفنسنك ومن ذهب على شاكلتهم أن الإسلام في مكة غير الاسلام في المدينة بالنسبة لإبراهيم (عليه السلام)، فإن إبراهيم في القرآن المكي لم تكن له صلة بالعرب فليس أبا لهم، ولم يكن باني البيت، ولا صلة له بإسماعيل ولا بالعرب، وإن النبي لما جاء إلى المدينة كان يحمل أكبر الآمال في أن يؤمن به اليهود ويظاهروه على أمره فلما أخلفوه ما أمّله وكذّبوه أراد أن يتصل بهم عن طريق إبراهيم، وعبر عن ذلك (يهودية إبراهيم) وهم في ذلك كله على ضلال مبين[٣].

(١) رودي باريت / محمد والقران/ ١٩٥– ١٩٦.

(٢) ارند جان فنسك/ موجز دائرة المعارف، ٧٧/١(مادة ابراهيم).

(٣) تعليق/ عبد الوهاب النجار في حاشية دائرة المعارف الاسلامية، ٨١/١(الهامش).

ثانيًا: تأثر المسلمين بالرؤية الاستشراقية

من المسلمين من تأثر بهذه الرؤية الاستشراقية التي تخص إبراهيم والكعبة، حيث تعرض طه حسين بالشك في قصة الوجود التاريخي للنبيين إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام)، ورمى بسهام شكّه في قصة هجرة إسماعيل إلى مكة ونشوء العرب المستعربة بها، يقول:((التوراة أن تحدثنا عن إسماعيل وإبراهيم، والقرآن يحدثنا عنهما أيضا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلا عن إثبات هذه القصة التي تحدثت عن هجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها))[١].

فقد ذهب طه حسين لتكذيب حديث القرآن عن إبراهيم وإسماعيل، واعتبر أنه ليس دليلا كافيا على وجودهما بالفعل[٢].

ويعلل طه حسين دواعي ربط إبراهيم وإسماعيل بمكة حسب رأيه فيقول:((فقريش كانت في هذا العصر ناهضة نهضة مادية تجارية ونهضة دينية، وبحكم هاتين النهضتين كانت تحاول ان توجد في بلاد العرب وحدة سياسية وثنية مستقلة عن الروم والفرس .... واذا كان حقا- ونحن نعتقد انه الحق- فمن المعقول جدا ان تبحث هذه المدينة الجديدة لنفسها أصل تاريخي قديم يتصل بالأصول التاريخية الماجدة التي تحدث عنها الاساطير. واذا فليس ما يمنع قريش ان تقبل هذه الأسطورة التي تفيد ان الكعبة قد بناها إسماعيل وإبراهيم ، كما قبلت روما قبل ذلك لأسباب مشابهة اسطورة أخرى صنعها لها اليونان متصلة بإينياس بت بريام صاحب طروادة))[٣] .

ويختتم كلامه بالقول:((أمر هذه القصة اذن واضح فهي حديثة العهد ظهرت قبل الإسلام وأستغلها الإسلام لسبب ديني وقبلتها مكة لسبب ديني وسياسي ايضاً))[٤].

ومجمل الرؤية التي يقول بها المستشرقون أن إبراهيم (عليه السلام) لم يأتِ الى مكة ولم يسكن ابنه إسماعيل فيها وكل ما جاء من أخبار وقصص حول ذلك من أن إبراهيم أسكن من ذريته في مكة ما هو إلا أحاديث اختلقها أما اليهود الذين جاءوا الى جزيرة العرب هربا من اضطهاد الرومان لهم وقد

(١) طه حسين/ في الشعر الجاهلي/٣٨.
(٢) ظ: المصدر نفسه/٣٩.
(٣) المصدر نفسه/٣٩- ٤٠.
(٤) المصدر نفسه/ ٤٠ .

أختلقوا هذه القصة لكي يجدوا رابطة قرابة بينهم وبين العرب الذين استوطن اليهود في مناطقهم، أو أن الرسول محمد(صلى الله عليه واله) هو من اختلق تلك القصة واوجدها بعد نزاعه مع اليهود في المدينة.

الباحث يلحظ اختلاف المستشرقين فيما بينهم، قسم يرى أن قصة بناء إبراهيم وإسماعيل الكعبة من صنع اليهود، والقسم الآخر يرى أنها من صنع الإسلام، ولكنهم يتفقون في رفضهم أن إبراهيم جاء الى مكة وبنى الكعبة دون أن يقدموا أدلة على دعواهم سوى أن العرب وثنيون وأن إبراهيم جاء بدين التوحيد ولو كانوا العرب ينتسبون لإبراهيم أو أن إبراهيم قد بنى الكعبة لكان العرب موحدين كاليهود.

رد بعض الكتاب على تلك الآراء وبالأخص رأي المستشرق وليم موير، يقول:((ولسنا نرى أن مثل هذا الدليل كافياً لنفي واقعة تاريخية فوثنية العرب بعد موت إبراهيم وإسماعيل بقرون كثيرة لا تدل على أنهم كانوا كذلك حين جاء إبراهيم الى الحجاز وحين اشترك وإسماعيل في بناء الكعبة. ولو أنها كانت وثنية يؤمئذ لما أيد ذلك سير موير؛ فقد كان قوم إبراهيم يعبدون الاصنام، وحاول هو هدايتهم ولم ينجح فاذا دعا العرب الى مثل ما دعا اليه قومه فلم ينجح وبقي العرب على عبادة الاوثان لم يطعن ذلك في ذهاب إبراهيم وإسماعيل الى مكة . بل أن المنطق ليؤيد رواية التاريخ. فإبراهيم الذي خرج من العراق فاراً من اهله الى فلسطين الى مصر، رجل ألف الارتحال وألف اجتياز الصحارى؛ والطريق ما بين فلسطين ومكة كان مطروقاً من القوافل منذ اقدم العصور فلا محل اذن للريبة في واقعة تاريخية انعقد الاجماع على جملتها))[1].

ويقول أيضاً:((والسير وليم موير والذين ارتابوا في هذه المسالة رايه يقولون بإمكان انتقال جماعة من أبناء إبراهيم وإسماعيل بعد ذلك من فلسطين الى بلاد العرب واتصالهم واياهم بصلة نسب. وما ندري وهذا الإمكان جائز عندهم في شأن أبناء إبراهيم وإسماعيل، كيف لا يكون جائزا في شان الرجلين بالذات؟ وكيف لا يكون ثابتا قطعا ورواية التاريخ تؤكده؟ وكيف لا يكون بحيث لا يأتيه الريب وقد تحدث عنه القران وبعض الكتب المقدسة الأخرى))[2].

(١) محمد حسين هيكل/ حياة محمد/ ١٠٤ .

(٢) المصدر نفسه/١٠٤.

ويقول محمد الخضري في رده على طه حسين إن السبب الذي تخيل لوضع اليهود للقصة واهٍ لا يصلح ؛ لأنه إذا صحّ إنما يثبت القرابة بين العدنانيين واليهود وليس كل العرب، ثم ان اليهود استوطنوا في يثرب، وان العرب الذين أغار عليهم اليهود ثم صالحوهم فهم عرب يثرب وهؤلاء من القحطانيين[١].

وفصّل في رده محمد الخضر حسين في تحليل مسألة اصطناع اليهود أصلاً يربطون به بينهم وبين العرب وإقناع العرب بذلك وقد أطال ، وخلاصة رأيه أنه لو فرضنا أنه لم يكن للعرب سابق معرفة بهذا الأصل مما يتلقونه عن آبائهم ، وفرضنا أن هذه القصة لم تحدث ؛ فمن الصعب على تلك الجالية اليهودية أن تعبث بعقول أمة كاملة وتحولها إلى الاعتقاد بغير ما عرفته خلفاً عن سلف دون أن تأتيهم بسلطان مبين، ثم إنه لو كان العرب يحجون إلى مكة في كل عام وليس لديهم شعور بقصة إسماعيل وإبراهيم ، فما هو الأمر الذي بعث قلوبهم على احترام هذه البنية وتعظيمها[٢].

ومحمد فريد وجدي في كتابه (نقد كتاب الشعر الجاهلي) في رده على الدكتور طه حسين يقول أن القول بأن إبراهيم وإسماعيل لم يثبت وجودهما تاريخياً ليس معناه أن التاريخ قرر بأنهما لم يوجدا ، ولكن معناه أنه لا يستطيع إثبات وجودهما إثباتاً ينطبق على أسلوبه الحسي ، وهذا العجز من العلم لا ينفي أنهما كانا موجودين . فالدكتور طه حسين لم يحسن التعبير عن رأيه في هذه المسألة ، ولو قال كما قيل هنا لم يلمه أحد[٣] .

وقد شرع بعد ذلك في بيان أنه وأن لم يكن لدينا آثار حسية تدل إبراهيم واسماعيل ، فإن المرجحات التاريخية على وجودهما ، وصحة ما عزي إليهما من بناء الكعبة تكاد تضع هذه المسائل في عداد المحسوسات ، وذكر هذه المرجحات ، وبين اعتماداً على المنطقية أننا لو حذفنا من التاريخ كل شخص لم ترد على وجوده أدلة حسية لحذفنا أكثر رجاله المشهورين ولم يبق منهم إلا أسماء معدودة[٤] .

---

(١) ظ: محمد الخضري/ محاضرات في بيان الأخطاء العلمية التاريخية التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي/٩.

(٢) ظ: محمد الخضر حسين/ نقض كتاب في الشعر الجاهلي/ ٨٠-٨٦.

(٣) ظ: محمد فريد وجدي/ نقد كتاب في الشعر الجاهلي/ ٧٠ .

(٤) ظ: المصدر نفسه /٧٠ .

ثالثًا: الرؤية الاستشراقية لبناء الكعبة

بعد أن نفى المستشرقون حقيقة بناء الكعبة على يد إبراهيم (عليه السلام)، ذهب المستشرق اليهودي(Dozy) إلى أن تأريخ مكة يرتقي إلى أيام النبي (داوود) ففي أيامه على رأي دوزي أنشأ (الشمعونيون) او(السمعونيون) الكعبة، وهو (بنو جرهم) عند أهل الأخبار[١]،نقلا عن جواد علي[٢].

وما ذهب إليه دوزي رأي شاذ بل يعتبره البعض كذبة لعدة أسباب منها: أن قبيلة شمعون الإسرائيلية لم تهاجر أبدًا إلى مكة، وأنها هاجرت على أيام حزقيا ملك يهوذا (٧١٥-٦٨٧ق. م) إلى الجنوب الغربي من واحة (معان) الواقعة في الاردن، وأن هذا الرأي إنما يؤمن بغير حدود بما ذهب إليه بعض المستشرقين من أن النبي ابراهيم (عليه السلام)، لم يذهب إلى الحجاز، وبالتالي لم يقم مع ولده إسماعيل ببناء الكعبة، وهو زعم لا يعتمد إلا على التعصب ضد العرب، وعلى معارضة الحقائق التاريخية، فضلا عما جاء في القرآن الكريم بشأن هذه الأحداث الثابتة، وأنه يتأخر بتاريخ مكة المكرمة، قرابة قرون تسعة[٣]. ويقول **إسرائيل ولفنسون:**" اننا نستبعد كل الاستبعاد ان تنزح بطون قبيلة شمعون تاركة مدنها وثرواتها... الى بلاد اخرى ليست اخصب من بلادهم "[٤]. ويرفض أحد المستشرقين فكرة دوزي، بالقول:" اراد دوزي أن يثبت أن الكعبة والحج أسسها اسرائيليون في عهد داود سبط سمعان(نسبة الى الاسماعيليون = جرهم) ولكن محاولته فشلت فشلاً تماماً "[٥].

يتحصل أن موقف المستشرقين من النبي إبراهيم وقصة بناء الكعبة موقف لا يستند الى أدلة تكفي لنفي الحادثة، ومبني على التخمين والافتراض ويعارض كل الاخبار الواردة والكتب المقدسة وما جاء في القران الكريم من أن إبراهيم هو باني الكعبة ومؤسس مدينة مكة عندما أسكن أبنه إسماعيل وزجته هاجر فيها.

---

(١) ظ: R. Dozy, Die Israeliten zu Mekka, S. 15.

(٢) المفصل في تاريخ العرب، ١٢/٧ .

(٣) ظ: اسرائيل ولفنسون/ تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام /٣، محمد بيومي مهران/ دراسات في تاريخ العرب/ ٣٥٣-٣٥٥ .

(٤) اسرائيل ولفنسون/ تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام/٤ .

(٥) نولدكه/ تاريخ القران/١٨ .

الخلاصة

١) رفض المستشرقون قصة ذهاب إبراهيم وإسماعيل .
٢) تخيل المستشرقون أن القصة أما من وضع اليهود الذين كانوا يسكنون في جزيرة العرب والغاية منها كانت هي إيجاد صلة قرابة بينهم وبين العرب . أو من صنع النبي محمد بعد أن تعرف على حياة إبراهيم من أهل الكتاب وحصل ذلك بعد هجرته إلى المدينة ، والغاية منها هي ربط الدين الجديد الإسلام بالنبي إبراهيم .
٣) تأثر بعض المسلمين بتلك الرؤية الاستشراقية حول إبراهيم ، وشكك بالوجود التاريخي للقصة وأعتبر حديث القرآن الكريم عنها ليس دليلاً كافيًا لوجودها .
٤) رد كثير من الكتاب على تلك الآراء الاستشراقية واعتبروا أن من شكك بالقصة لا يملك دليلًا كافي لنفيها .

الفرع الثاني: الرؤية الاستشراقية لإيلاف قريش

تناول المستشرقون تجارة مكة وتفسيرات سورة قريش والايلاف بدراسات عديدة وبحثوا سبب تفوق مكة التجاري دون غيره وأسباب هذا التفوق.

يقول أحد المستشرقين أن موقع مكة المكرمة الذي يتوسط الطريق التجاري المار من اليمن الى الشام، جعل نمو التجارة وازدهارها في مكة أمر وارد، كون القرية آمنة بحكم وجود البيت الحرام فيها جعلها محط وترحال القوافل فهم يجدون الأمان وبنفس الوقت يستغلون فترة استراحتهم بزيارة البيت الحرام والتبرك به، ومن جانب آخر فان الامن دائما يستقطب رؤوس الأموال لأنهم يبحثون عن مكان آمن ليديروا منه تجارتهم ومكة القرية الوحيدة في هذا الطريق التجاري يتوفر فيها الأمن الدائم كونها حرم آمن وجميع العرب المحيطون بها يحترمون هذا الحرم ويقدسونه[١].

وذهب آخر إلى القول أن الظروف السياسية التي سادت في العالم الحضاري آنذاك المتمثل في صراع الفرس والروم، اعطى مكة مكانة مهمه في التجارة لكونها تقع في الطريق المار الى اليمن ومنه

(١) ظ: كستر/ دراسة المستشرق كستر عن مكة، المندرج في كتاب مكة قبل الإسلام/ ١٧٧ .

الى الهند وهذه التجارة كانت تمر في السابق على طريق الحرير القديم ولكنها بعد الصراع بين الدولتين قُطع هذا الطريق ومنه تحولت جميع التجارة على طريق مكة المكرمة(١).

وأن مكة قرية في واد غير ذي زرع ولا مراعي طبيعية فيها ولهذا فلابد من وسيلة لعيش أهلها فكانت التجارة هي مصدرهم الأول حيث اشتغل فيها أكثر سكان مكة حتى ان الرسول محمد(ص) قد عمل في التجارة وسار في القوافل منها مرافقة لقافلة عمه أبي طالب، وقيادة قافلة السيدة خديجة(رضوان الله عليها) الى الشام(٢).

وكان للمواصلات التجارية في جزيرة العرب طريقان: **أحدهما شرقي:** يصل عمان بالعراق وينقل بضائع اليمن والهند وفارس برا ثم يجوز غرب العراق إلى البادية حتى ينتهي به المطاف في أسواق الشام، يمر التجار فيه على أسواق اليمن والعراق وتدمر وسورية، وهو تحت سيطرة الإمبراطورية الفارسية، **والطريق الثاني:** وهو الأهم غربي في العربية الغربية، يصل اليمن بالشام، مجتازا بلاد اليمن والحجاز، ناقلا أيضا بضائع اليمن والحبشة والهند إلى الشام وبضائع الشام إلى اليمن حيث تصدر إلى الحبشة، وإلى الهند في البحر، وهو في اغلب المناطق التي يمر بها ذات استقلاليه من نفوذ الامبراطورتين آنذاك الفرس والروم، وكانت مكة تتوسط هذا الطريق، ولهذا اصبح ذا أهمية كبرى عند اندلاع الصراع بين فارس والروم(٣).

يعتمد وجود مكة المكرمة الى موقعها بالدرجة الاولى على الطريق التجاري الاكثر اهمية في غرب شبه الجزيرة العربية، الذي يصل اليمن بسوريا، كما يوجد طريق اخر متفرع بالقرب من مكة ويمضي باتجاه الشمال الشرقي نحو الحيرة، وفي نهاية المطاف دولة فارس، كما تم تعزيز هذا الموقع بسبب وجود مياه بئر زمزم التي جعلت مكة محطة استراحة للقوافل في العصور القديمة، وساعد على ذلك مفهوم الحرم والمنطقة الآمنة، وحج الناس الى البيت الى نمو تجارة مكة، ووضع نظام الأشهر الحرم جعل الحجاج والتجار يسافرون وهم آمنون على ارواحهم وممتلكاتهم، ويذهبون الى مكة للإتجار بالسلع الخاصة بهم، وهناك عامل وهو لم تكن سلطة سياسية مسيطرة على مكة خلال تاريخها المبكر،

(١) ظ: لامنس/ أبحاث لامنس حول مكة، المندرج في كتاب مكة قبل الإسلام/ ١٢ .
(٢) ظ: واشنغتون ارفنغ/ حياة محمد / ٤٦-٤٧ .
(٣) ظ: مونتجمري وات/ محمد في مكة/ ٣٥-٣٧ .

كل تلك العوامل جعلت من مكة المكرمة مركزاً تجاريا ودينياً، ثم اصبحت فيما بعد مركزاً اجتماعياً للعرب كافه وذلك وقت بدء الدعوة المحمدية(١).

وقد بحث المستشرقون الجذور التأريخية لنشأة الايلاف والأسباب التي أدت في نهاية المطاف الى تأسيسه والأسباب التي أدت الى تحول الطريق التجاري الشرقي الى غرب الجزيرة العربية .

أولًا: الروية الاستشراقية لأسباب التحول إلى غربي الجزيرة

كان الروم يبحثون عن سلع الرفاهية القادمة من الشرق، وكانت فارس تسيطر على جميع طرق التجارة الشرقية آنذاك فطريق الصين والهند البرية أو ما يسمى بطريق الحرير يمر بأراضي بلاد فارس، وكذلك الطريق البحري المار من الخليج العربي هو الآخر تحت سيطرتهم، وكانت فارس تفرض ضرائب عالية على القوافل التجارية المارة نحو الغرب، هذا في أيام السلم أما في الحرب فتقطع تلك الطرق ويصبح الحصول على تلك البضائع نادرًا في بلاد الروم، ولم يتبقَ أمامهم سوى طريق واحد وهو الطريق الغربي في شبه الجزيرة العربية وطريق البحر الأحمر، وهذا الطريق لم يكن مستعملا لسبب ما، وقد تدهورت العلاقة بين فارس والروم الأمر الذي أدى لأندلاع نزاع طويل بينهم من خلاله سيطرة فارس على اليمن ولكن سيطرتهم لم يكن يخضع فيها اليمن لمراقبة مباشرة من العاصمة في المدائن، الأمر الذي أتاح للعرب نقل البضائع التي يحتاجها الروم عبر الطريق الغربي الذي تتوسطه مكة، وبه تحولت التجارة إلى هذا الطريق وأصبح طريق للتجارة الدولية القادمة من الشرق واليمن الى الشام، وهذا يفسر لنا كيف ازدهرت مكة، وازدهارها المستمر ذلك الوقت، ولان فارس لم تكن لها القوة الكافية لتسيطر على هذا الطريق المتجه الى الغرب، برز دور مكة كمدينة تجارية لها ثقلها في ميدان التجارة في ذلك الوقت(٢).

ومن أهم أسباب تحول التجارة إلى الطريق الغربي أو إلى غربي الجزيرة بنظر المستشرقين هي(٣):

---

(١) ظ: محمود ابراهيم/ الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في مكة قبل الإسلام/ المندرج في كتاب مكة قبل الإسلام/ ٢٦٣-٢٦٤

(٢) ظ: مونتوجمرى وات/ محمد في مكة/ ٣٤-٣٧، ارند جان فنسك/ موجز دائرة المعارف،٣١/٥٩٤.

(٣) ظ: ارند جان فنسك/ موجز دائرة المعارف، ٣١/٥٩٤، رينولد نيكلسون / تاريخ العرب الادبي، ترجمة حسن حبشي، مجلة الرسالة، العدد ١٧٥ في ١٩٣٦/١١/٩م ، مونتوجمرى وات / محمد في مكة/ ٢٥-٣٧، فكتور سحاب/ ايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، / ١٩٤-١٩٥، جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ٧/٧-١٢، علي الوردي/ اسطورة الادب الرفيع/ ١٠٦.

١) إنَّ الحرب الطويلة بين الدولتين فارس وبيزنطة تسبب بقطع الطريق التجاري القديم عبر الفرات وبه أنقطع حصول بيزنطة على سلع الرفاهية وغيرها من الشرق.

٢) ظهور مملكة الغساسنة بدعم من الروم وأدى ذلك الى تأجيج النزاع مع مملكة الحيرة المتحالفة مع الفرس، ولم يتح للتجارة عبر الفرات أن تزدهر وذلك أن نزاع الغساسنة مع الحيرة تسبب بعرقلة التجارة عبر الفرات، فكان حافز قوي لتحويل طريق التجارة الى غرب الجزيرة العربية البعيد عن سيطرة الحيرة.

٣) اشتراك الاحباش في السياسة الدولية وذلك من خلال سيطرتهم على اليمن وكانت سيطرتهم بدعم من الروم وبتشجيع منهم أدى ذلك لانهيار الدولة الحميرية الرائدة في تجارة البخور والتوابل باتجاه العراق، وبسقوطهم أدى الى تدهور تلك التجارة الى أن أضمحلت.

٤) السبب الأهم صعود مكة وتمرسها في تنظيم التجارة، وذلك بسبب الغزو الحبشي وأثره في ضرب التنظيم الحميري، حيث أدى سقوط اليمن فرصة لمكة، ويرى بعض الباحثين أن تجارة مكة قامت على أنقاض الشبكة الحميرية، وقد استثمر المكيون ذلك استثمارًا جيدًا ، وأصبحت مدينتهم المركز التجاري في غرب الجزيرة، وأبلغ دليل على ذلك هو حملة إبرهة الحبشي ومحاولة السيطرة على مكة، وقد أدى فشل الجملة الى أرتفاع شأن مكة كثيرًا.

٥) نظام مراقبة القوافل الشديد الذي فرضته الدولتان فارس وبيزنطة، أدى ذلك لهرب التجار من المراقبة الشديدة عليهم، ونظام الضرائب العالي الذي تفرضه فارس على القوافل العابرة الى الروم، هذا في أيام الصلح اما في الحرب فيطع الطريق التجاري.

وبعض المؤرخين يذهب مع هذا الاتجاه ويرى أن أهل مكة استفادوا من تحول الطريق التجاري نحوهم يقول:((وأعطى تدهور الأوضاع في العربية الجنوبية أهل مكة فرصة ثمينة عرفوا الاستفادة منها، فصاروا الواسطة في نقل التجارة من العربية الجنوبية إلى بلاد الشام، وبالعكس، وسعى تجار مكة جهد إمكانهم لاتخاذ موقف حياد تجاه الروم والفرس والحبش، فلم يتحزبوا لأحد، ولم يتحاملوا على طرف، وقوَّوْا مركزهم بعقد أحلاف بينهم وبين سادات القبائل، وتوددوا إليهم بتقديم الألطاف والمال إليهم؛ ليشتروا بذلك قلوبهم. وقد نجحوا في ذلك، واستفادوا من هذه السياسة كثيرًا))[١].

(١) جواد علي / المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١١٣/٧ .

ثانيًا: الرؤية الاستشراقية لتفوق مكة

هناك عدة آراء في أسباب تفوق مكة منها: يقول أحد المستشرقين:((لم يكن المكيون في الأصل سوى وسطاء، ولم يكونوا مستوردين او متعهدين يقومون بتنظيم القوافل ولكنهم في نهاية القرن السادس سيطروا على القسم الأكبر من التجارة بين سوريا واليمن))[١]، وذهب آخر إلى القول أن قريش قبل عهد هاشم، كانوا تجارًا ولكن تجارتهم لا تتجاوز حدود مكة، أي يتاجرون مع حجاج الكعبة ومع القبائل القريبة[٢].

وأحد الأعلام لا يستبعد هذا الرأي الاستشراقي أن يكون تجار اليمن في أيام قصي أو حتى بعد موته كانوا يأتون الى مكة بقوافلهم، ثم بعد ذلك يقوم تجار مكة بنقلها الى بلاد الشام أو بشرائها من تجار اليمن ثم بيعها في الشام[٣].

لكن أحد الباحثين يقول:((أن ثمة ادلة اثرية تحفز الباحثين على القول ان قريش امتهنت التجارة حتى قبل ان تستولي على مكة... ففي نقش عقله الذي يقدر علماء الاثار تاريخه بين ٢٧٠-٢٧٨م، الذي يخص الملك الحضرمي... وذكر لمن يدعوهم قرشين ضيوفاً على الملك الحضرمي))[٤]. وهذا النقش أن صح نسبته إلى قريش يعني أن قريش قبيلة امتهنت التجارة حتى قبل أن تسيطر على مكة.

ويرى بعض المستشرقين:" أنَّ الامتياز الديني كان يضمن لقريش سلامة ارزاقهم وبيوت أموالهم على مسافة بعيدة من جيرانهم ذوي المطامع الجريئة[٥]، فهو يقصد أن منطقة الحرم كانت توفر لهم ملاذ آمن لتجارتهم.

ذهب المستشرقون الى أنَّ أدارة قريش للملف التجاري بحنكة وحكمة عالية حيث أتخذوا الحياد في الصراع الذي حصل بين الفرس والروم، والذي أشتركت فيه دول عربية أمثال دولة الغساسنة ودولة الحيرة، وفي نفس الوقت وقوّوْا مركزهم وذلك بعقد اتفاقيات وأحلاف بينهم وبين زعماء القبائل الواقعة

(١) مونتجمري وات / محمد في مكة / ١٨-١٩ .
(٢) ظ: لامنس/ كتاب مكة في الدراسات الاستشراقية/ ١٧٠.
(٣) ظ: جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ١١٧/٧ .
(٤) فكتور سحاب/ايلاف قريش/١٩٠ .
(٥) لآمنس / مكة في الدراسات الاستشراقية /١٢ .

على الطرق التجارية، وتوددوا إليهم بتقديم الألطاف والمال إليهم واشراكهم في الارباح؛ ليشتروا بذلك قلوبهم، ويضمنوا سلامة قوافلهم، وقد نجحوا في ذلك، وأستفادوا من هذه السياسة كثيرًا[١].

أخذ الفرس بعد سيطرتهم على اليمن يتدخلون في التجارة، وكذلك ملوك الحيرة أخذوا بأرسال قوافلهم الى اليمن للتجارة، وقد أثر هذا الوضع في تجارة أهل مكة أثرًا كبيرًا، إذ انتزع الفرس وملوك الحيرة من أيديهم قسطًا من أرباحهم، وربما لا يبعد أن يكون الهجوم الذي وقع على (لطيمة) النعمان بن المنذر ملك الحيرة، بتشجيع من أهل مكة، ذلك الهجوم الذي عرف بـ(الفجار)؛ وذلك للإضرار بالفرس وبملوك الحيرة، ولتخويف القوافل التي صارت تسلك طريق "الطائف"، ثم منها إلى مواضع في البادية إلى الحيرة متجنبة طريق مكة، وأن حرب الفجار ماهي إلا بسبب تعاظم قوة مكة التجارية، وبعد الحرب أصبحت مكة مركزاً ماليًا وليس مجرد منطقة تجارية، فالانتصار في حرب الفجار أنهى آخر منافسي مكة هم الطائف، وحَجَم دور الحيرة وأصبحت بعده مكة المركز الاقتصادي في جزيرة العرب بلا منافس[٢]. ويؤيده أحد المستشرقين المعاصرين بالقول:" أدى نصر مكة في حروب الفجار الى تراجع الحيرة وفقدان قوتها السياسية... وعزل التجار اليمنيين من الحرم وزوال الحيرة لم يبقى سوى مكة قوية لجذب التجار ورؤوس اموالهم الى المدينة "[٣].

إنَّ أسباب نجاح مكة التي ذهب اليها المستشرقون، يمكن إيجازها بعاملين: **الأول:** انهيار جميع منافسي مكة في المهمة التي كانت تطمح إليها في التجارة الدولية، وأن هذا الأنهيار كان بفعل الحروب وهو العامل الخارجي في توفير أسباب نجاح مكة، ومنها أنهيار اليمن وسقوطه وتدهور أحوال الحيرة. **والثاني:** هو استعداد مكة الذاتي، فحسمت المنافسة لصالحها، حين توفرت الظروف الخارجية واستعدادها تمثل بعقد اتفاقيات بين القبائل لتامين الطريق التجاري، وأن تأمين الطريق يحتاج أكثر من مسألة عسكرية، فهو يحتاج الى رأس مال تجاري ووسائل نقل والاهم هو عهود مع القبائل البدوية كالتي عقدنها قريش، فتلك عوامل تتوفر لمكة ولا تتوفر لغيرها[٤].

---

(١) ظ: كستر/ كتاب مكة في الدراسات الاستشراقية / ١٧٧، وجواد علي عرض آراء المستشرقين في الصدد. ظ: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١١٣/٧.

(٢) ظ: فنسنك/ موجز دائرة المعارف الاسلامية، ٥٩٤/٣١(مادة مكة).

(٣) محمود إبراهيم/ مكة قبل الاسلام/ ٢٨٠ .

(٤) ظ: فكتور سحاب/ ايلاف قريش/ ١٩٩-٢٠١ .

ويرى الباحث أن هذه أسباب منطقية لكون القيام بمهمة التجارة فور توفر الظروف يدل على أن هناك استعداد ذاتي موجود لدى المكيين جعلهم يسارعون إلى السيطرة على التجارة لصالحهم بمجرد أن تهيأت الفرص.

يرى أحد المستشرقين أن التغيير في ثروات مكة المكرمة لا يخلو من أهمية تاريخية، فبعد سلسلة الازمات السياسية التي واجهتها دولة الحميريين في اليمن والتي أدت الى سقوطهم في نهاية المطاف، شجع هذا الأمر أهل مكة لملا الفجوة، ولكن واجه أهل مكة مشكلة وهي أنهم لم تكن لهم مؤسسات داعمة تولى هذا الدور الجديد فكان عليهم استحداث بعض منها، لحماية تلك التجارة خارج مكة، فعقد هاشم ابن عبد مناف بن قصي، الإيلاف، وهو اتفاق بين قريش والقبائل الواقعة على الطريق التجاري لتوفير المرور الآمن للقوافل المكية وحمايتها(١).

ويعلق مونتجمري وات فيقول:" نشعر بأن أولاد عبد مناف الرئيسين قد عملوا كثيراً، لازدهار التجارة في مكة ذهب عبد الشمس الى اليمن ونوفل الى فارس والمطلب الى الحبشة وهاشم الى سورية "(٢).

يرى بعض المستشرقين أن الظروف التي سبقت ادخال مؤسسة الايلاف كانت مواتية، لكن طبيعة الوضع الاجتماعي كان مقيد للنشاط التجاري، ولهذا واجه تجار مكة باستمرار أمكانية حصول أفلاس، وهذا الأمر ادى بهم أن وضعوا طقوس الانتحار للتاجر الذي تحصل معه كارثة مالية، والانتحار هو كرد فعل على الوضع المادي، وهو بذلك ينجي الاقارب وعشيرته من المسؤولية المالية تجاه الاخرين، وهو أمر يحصل للمشروعات التجارية الفردية في وقت انعدام الأمن وضعف الاعمال، وقد أعترف زعماء مكة بالقدرة المدمرة لهذه الطقوس، ولهذا عندما كان أحد أفراد من محزوم على وشك ارتكاب الانتحار تدخل هاشم وأعلن أن هذا الأمر يكاد يتغلب على قريش، وتجارهم أصبحوا أقل عدد من بقية التجار، فاقترح كعلاج لهذا الأمر وهو تشكيل شراكات تجارية في تنفيذ اعمالهم، وقد سمحت تلك الشراكات بتجميع رؤوس الاموال وتشكيل قافلة موحدة ضخمة توفر الأمن لصغار التجار، وكذلك تحشد رؤوس الاموال المكية بصورة غير مسبوقة، وبعد ذلك سعى هاشم الى عقد تامين لتلك القوافل وهذا ما تحقق بوساطة الإيلاف، فقد كان هاشم قادرًا على تامين الإيلاف مع زعماء القبائل على طول الطريق

(١) ظ: محمود إبراهيم/ مكة قبل الإسلام/ ٢٦٥-٢٦٦ .

(٢) مونتوجمرى وات / محمد في مكة /٦٢ .

التجاري الى الشام، والتقى ايضًا مع البيزنطيين واقنعهم أن مصلحتهم هي التعامل مع قريش، فهم تجار وقادرين على توفير كل ما يحتاجونه مع البضائع الشرقية[١].

وفي أهمية اتفاقات الايلاف والعهود التي عقدتها قريش، يتناول أحد المستشرقين هذا الجانب بقوله:((يناقش بريكلاند الخلفية التاريخية للآيتين(١-٢) من سورة قريش (١٠٦)، ويؤكد أهمية عهود الإيلاف فيقول: أن براعة قريش المالية وحيازتهم الأماكن المقدسة جعلهم أسياد الاقتصاد في غربي الجزيرة حوالي مائة سنة قبل النبي، ومن الممكن تعميم قول بيركلاند هذا ليشمل شرقي الجزيرة ايضا لقد كان حجم التجارة القرشية واسعًا جدًا))[٢].

ويقول مستشرق آخر:((لقد تم تحليل سورة قريش بشكل دقيق بوساطة بيركلاند الذي وصل الى استنتاج مفاده أنه يتعامل مع عهود الحماية(إلف، إيلاف) حيث يقال أن بني عبد مناف، هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل، قد حصلوا عليها من ملوك الدول المجاورة ... مع هذه العهود أعتاد تجار قريش السفر مع قوافلهم من دون التعرض للهجوم وذلك أصبحوا سادة الاقتصاد في غرب المنطقة العربية))[٣].

ولكن تحليل هاريس بيركلاند للسورة يعترض عليه أحد المستشرقين، فيقول:((هذه النظرة التي تتعلق بالخلفية التاريخية ومعنى سورة قريش تشكلت بوساطة بيركلاند بعد دراسة مستفيضة للتفسير الإسلامي الذي يراه بيركلاند مصدرًا موثوقًا لفهم القرآن وبالتالي فهم العالم للنبي محمد أيضًا بناءً على الخلفية العربية التي عاش فيها. ولا يزال ادراك بيركلاند لقيمة التفسير الإسلامي مناسبًا على الرغم من الانتقادات الأخيرة لمنهجه التاريخي، لكن دراسته هذه المادة غير كافية في كثير من النواحي فبقدر أهمية السورة يبدو أن التفسير الإسلامي يستحق إعادة النظر ومن المؤمل أنه يعطينا نظرة أفضل حول الخلفية التاريخية ومعنى هذه السورة الأكثر أهمية))[٤].

---

(١) ظ: كستر/ كتاب مكة في الدراسات الاستشراقية/١٧٢-١٧٤، محمود إبراهيم/ مكة قبل الإسلام/ ٢٦٦ .

(٢) كستر/ مكة في الدراسات الاستشراقية/١٧٨، ظ : يوري روبن/ إيلاف قريش المندرج في كتاب مكة قبل الإسلام/٢١١ .

(٣) يوري روبن / ايلاف قريش، المندرج في كتاب مكة قبل الاسلام/ ٢١١.

(٤) المصدر نفسه/٢١٢ .

اذًا هو يعترض على تفسير بيركلاند ويعتبره منقوصًا كونه أعتمد بمجمله على الرواية الإسلامية في تفسير السورة.

وتوصل الى نتيجة هي:" أن الفكرة الرئيسية من السورة هي الحماية التي تتمتع بها قريش باعتبارهم أهل الحرم "(١).

أثار الخلاف بين المستشرقين في تفسير سورة قريش، بالرغم من ذهاب الكثير منهم واتفاقهم مع التفسير الإسلامي لها، إلا أن أمثال المستشرقة **باتريشيا كرون**، التي أخرجت كتابًا خاصًا حول تجارة مكة جاء بعنوان (تجارة مكة وظهور الاسلام) ، تقدم في كتابها أن التاريخ المتفق عليه لظهور الإسلام هو الى حد كبير تاريخ ملفق ومزور، وأن النظام الامني(الايلاف) الذي أنشأته قريش لتجارتها ولتامين قوافلها، اذا موجود فهو من النوع البسيط والمحلي، وتجارتهم كانت عبارة عن تجارة جلود ومنتجات حيوانية، فهي تجارة بسيطة، رافضة بذلك جميع المصادر الاسلامية حيث اعتبرتها مصادر أدبية ثانوية(٢)، ورفض دراسات لآمنس، وكستر، مونتجمري وات، وتفسير بيركلاند لسورة قريش(٣). وقالت أن مكة ليست مركزًا تجاري معروفًا كما وصفها الكتاب المسلمون والكثير من المستشرقين، وبعد أن تستعرض بعض ما جاء من المصادر الإسلامية التي تحدثت عن تجارة مكة ودور هاشم وأخوته في نمو تلك التجارة وتطورها فتقول:" أن مثل تلك القصص التي تنسج دونما اعتبار للحقيقة لا يمكن استخدامها لإعادة كتابة تأريخ الماضي، لأنها لا معنى لها، لذلك ينبغي علينا أن نرفض تاريخ بداية ونهاية تجارة مكة الدولية "(٤). وتواصل **كرون** قولها:" كانت تجارة مكة محلية، بمعنى أن بضائعها كانت عربية الأصل، ويتم استهلاكها في بلاد العرب ذاتها "(٥).

---

(١) يوري روبن / ايلاف قريش، المندرج في كتاب مكة قبل الاسلام / ٢١٨ .

(٢) المصادر الأدبية: هي مؤلفات المؤرخين والخطباء والشعراء والفقهاء، والمفسرين، اما غير الأدبية فهي الأدلة الاثرية والنقوش والمسكوكات.

(٣) ظ: باتريشيا كرون/ تجارة مكة وظهور الاسلام / ٣٧ –٤٥ .

(٤) المصدر نفسه/ ٢٣٩ .

(٥) المصدر نفسه: ص٢٦١ .

ويشكك مستشرق[١] آخر في التفسير الاسلامي للإيلاف ويصفه بغير المقنع[٢]، ويعتقد أنه تم تفسير السورة لتمجيد هاشم بالأخص ومكة وقريش، ويرى أن أهداف سياسية كانت وراء التفاسير الإسلامية للسورة فيقول:" ... وناهيك عن استخدام الآية لأهداف سياسية، فان المعنى الاساسي للسورة لم يتمكن من البقاء لوقت طويل، على المستوى اللاهوتي المحض"[٣]. وسارَ آخر[٤] أيضًا على نفس المنهج وأصدرَ كتابًا تحت عنوان (مكة وايلاف قريش) حيث شكك بوجود قريش في الحجاز أصلا ونفى أي تجارة دولية لمكة، وهو في آرائه تلك اعادة أنتاج لما تبنته المستشرقة كرون.

ثالثًا: ردودٌ على الرؤية الاستشراقية

لقد تصدى عدة باحثين للرد على تلك الآراء الاستشراقية، منهم روبرت بيرترام سيرجنت في مقال راجع فيه كتاب كرون[٥]، يقول:" تبدأ الكاتبة بأفكار راسخة متحيزة، لإنتاج جدل غير عقلاني وغير منطقي، زاد سوء فهمها للنصوص العربية الامر تعقيداً، وتحريف المعنى الواضح لكتابات أخرى قديمة وحديثة لتتناسب مع ادعاءاتها "[٦]، ويواصل نقده لكرون فيقول:" يمكن للمرء التعامل مثل هذا الكتاب المعهد لجذب الشهرة عبر صدمة الإسلاميين من خلال نظريات غريبة حول ما كانت عليه مكة قبل الاسلام "[٧].

---

(١) يوري روبن مستشرق من الكيان الصهيوني، هو أستاذ في قسم اللغة العربية و الدراسات الإسلامية في جامعة تل أبيب في إسرائيل، تتركز اهتماماته حول الإسلام (مع التركيز بشكل خاص على القرآن)، تفسير القرآن الكريم ، والتقاليد الإسلامية في وقت مبكر (السيرة و الحديث). في عين الناظر : حياة محمد كما يراه المسلمون ، ١٩٩٥. بين الكتاب المقدس والقرآن ، ١٩٩٩، محمد النبي والجزيرة العربية ، ٢٠١١.ينظر: مكة قبل الإسلام، ترجمة هشام شامية، ص٧

(٢) يوري روبن، ايلاف قريش(بحث)، المندرج في كتاب مكة قبل الإسلام، فريق من الباحثين، ترجمة هشام شامية: ص ٢١٢

(٣) يوري روبن/ ايلاف قريش(بحث) المندرج في كتاب مكة قبل الاسلام/ ٢٣٨ .

(٤) فاضل الربيعي ، كاتب عراقي شيوعي ولد ١٩٥٢م، له عدة مؤلفات تحت عنوان نظرية في إعادة ترتيب الأديان، اصدر كتابه مكة وايلاف قريش، صدرت الطبعة الأولى عام ٢٠٢١م، لبنان.

(٥) عالم اسكوتلندي، توفي ١٩٩٣م، احد ابرز المستعربين في جيله، كانت أطروحة الدكتوراه له عن المنسوجات الإسلامية، عين محاضر في التاريخ الإسلامي في جامعة كامبرج، كما كان مدير لمركز الشرط الأوسط في كامبرج، نشر عدة دراسات وبحوث، له مقال بعنوان(تجارة مكة وظهور الإسلام: المفاهيم الخاطئة والجدليات المعيبة)، راجع فيه كتاب كرون ورد عليها. ظ: تجارة مكة وظهور الإسلام، المقدمة.

(٦) سيرجنت/ المفاهيم الخاطئة والجدليات المعيبة / المندرج في كتاب مكة قبل الإسلام/ ٤٠٣.

(٧) المصدر نفسه/ ٤٠٣ .

إنَّ المستشرقة **كرون** تشبثت بمنهج واحد وهو المنهج المادي الآركيلوجي، تفطن الى اشياء وتغفل عن اشياء اخرى، ولهذا يرى محمد آركون أن القراءة الاصلية هي القراءة المستقلة التي تتعدد فيها المناهج والمفاهيم لتجنب ضيق الافق وتجاوز النظرة الاختزالية(١).

إنَّ أسلوب كرون المتغطرس كما يصفه سيرجنت(٢)، يدخل ضمن التوجه القائم على نظرية الجنس والعرق، وهي نظرة دونية للشعوب وهذا الاتجاه يراه أحد الباحثين هو((أتجاه معاد للعلم وأنه الوجه الأكثر عداء لتطور الشعوب... وهو الأتجاه الذي يرى أن المجتمع الشرقي عاجزًا عجزًا تكوينيًا))(٣).

يقول أحد الباحثين:((إنَّ كرون في كتابها تجارة مكة عرضت حقائق ثرية عن تجارة التوابل وحركة التجارة في عصور قبل الاسلام ... إلا انها تتجنب الاستنتاج الواضح الذي لم ترغب في استنتاجه هو ان تجارة قريش ازدهرت ايما ازدهار بعد ارتهانها بالحرم المكي))(٤).

إمَّا بخصوص رفض كرون تفسيرات سورة قريش(٥)، ويصف سيرجنت ذلك بمسرحية عظيمة تقوم تقوم بها كرون، حول الإيلاف ورحلتي الشتاء والصيف، ويقول أن نظام الإيلاف للاتفاقات الأمنية يتفق مع الأنماط العربية المعروفة، وأنه لا يوجد سببًا وجيهاً للشك أن قريشًا لم تجعل الرحلات مرتين في السنة للتجارة وشراء اللوازم من الحبوب ولتحقيق الغرض من ذلك كان عليها توفير ضمانات أمنية من القبائل التي مروا بها(٦).

وقد ختم سيرجنت مقالته بالقول:((أن محاولة تجريد الحرم المكي من أي أهمية قبل ظهور الإسلام هو ببساطة انحراف وسخافة... يمكن لكتابها أن يجذب الدعاية المتعمدة بوضوح، ولكنها لن تزيد من فهمنا للأصول الإسلامية المبكرة بأي حال من الأحوال))(٧).

---

(١) ظ: آمنة الجبلاوي/ الاستشراق الانكلوسكسوني/١٢.

(٢) سيرجنت/ التجارة المكية وظهور الإسلام ، المندرج في كتاب مكة قبل الإسلام/ ٤٠٤ .

(٣) حسين مروه/ النزاعات المادية في الفلسفة الإسلامية ، ١١٣/١.

(٤) فكتور سحاب / ايلاف قريش/ ١٩٠ .

(٥) ظ: باتريشيا كرون/ تجارة مكة وظهور الإسلام/ ٢٤٤ .

(٦) ظ: سيرجنت/ التجارة المكية وظهور الإسلام: المفاهيم الخاطئة والجدليات المعيبة(بحث) المندرج في كتاب مكة قبل الإسلام /٤٢٣-٤٢٨ .

(٧) المصدر نفسه /٤٤٧-٤٤٨ .

تقول أحدى الباحثات في ردها على كرون:((وقد أعتبر رودنسون في كتاب محمد وعبد الحي شعبان في تاريخ الإسلام وشاهد في العرب في حلف سلام٥٦١م وفليب حتي في بحثه عن عواصم الإسلام، مكة مفترقا هاما للطرق التجارية وهي فكرة تبناها لآمنس وقبلها لويس برناندو وآمن بها فليب حتي))[١].

يرى بعض المستشرقين أن للإيلاف الفضل الكبير في نمو تجارة مكة وتحولها الى دولية:((ينبغي أن يقال أن الروايات التي وردت حول الايلاف، تجمل الظواهر الاساسية للتغيرات في مكة التي كانت مركز صغيرا لتوزيع البضائع على القبائل البدوية المجاورة للمدينة))[٢]. يعني ان الايلاف قد حول مكة من قرية صغيرة توزع البضائع على جيرانها من القبائل الى مركز تجاري مهم.

وقد ذهب الكثير من المستشرقين إلى أن هاشم هو منشأ الايلاف، يقول أحدهم:" إن توطيد هاشم للإيلاف استطاع بنجاح ان يوسع التجارة، وان يشارك فيها الاغنياء والفقراء في القوافل، وصارت القوافل مشروعا مشتركا "[٣]، وأنَّ هاشم قد وسع العناية بالفقراء والمحتاجين حتى اصبح مبدأ اجتماعيًا [٤]، فقد كان الجميع مشاركًا فالأغنياء كانوا بحاجة للفقراء لتسيير قوافلهم وحتى في حمايتها وكانوا بحاجة كذلك لمن يرعى الابل ومرشدي الطرق ولهذا فقد أوجد الإيلاف مصدر عيش للفقراء وليس الاغنياء فقط[٥].

لقد كان إيلاف قريش الذي نظم رحلات مكة وحشد لها الوسائل اللازمة ورصد لها المال التجاري، وسخر العنصر البشري على طول الطرق التجارية وعقد لها العقود مع القبائل والبلدان، هو العنصر المهم الذي فشلت كلاً من الحبشة واليمن والحيرة وغيرها من قرى العرب في شبه الجزيرة من توفيره، فانتصرت مكة في المنافسة واستطاعت وحدها من ان تستفيد من الاوضاع الدولية الملائمة[٦].

ومع حلول القرن السادس الميلادي أحتكرت قريش تجارة العربية الغربية، وبذلك سيطروا على حركة النقل في الطرق المهمة التي تربط تجارة اليمن ببلاد الشام العراق، وكل ذلك يعود للإيلاف وعهوده[٧]. وقد جعلت التجارة من المكيين ذو شأن كبير عند العرب وغيرهم، ويصور أحد المستشرقين

---

(١) آمنة الجبلاوي/ الاستشراق الانكلوسكسوني والإسلام المبكر/٨٤ .

(٢) كستر/ مكة في الدراسات الاستشراقية/ ١٧٧.

(٣) المصدر نفسه كستر/ مكة في الدراسات الاستشراقية / ١٨٣-١٨٤ .

(٤) ظ: كستر/ دراسة كستر عن مكة ، المندرج في كتاب مكة في الدراسات الاستشراقية/ ١٨٤

(٥) ظ: محمود إبراهيم/ الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في مكة قبل الإسلام، محمود إبراهيم/ ٢٧١-٢٧٢ .

(٦) ظ: فكتور سحاب / يلاف قريش/ ٢٠١-٢٠٢ .

(٧) ظ: جواد علي / المفصل في تاريخ العرب، ٧/٧ .

هذا الجانب فيقول:((إن تأثير مكة كان واضحًا وبإمكاننا أن نستنتج ذلك من قصة سجلها اليعقوبي أن رجلا كان من بني كلب كان في خدمة امرأة كلبية(تاجرة) على مشارف الشام، وقد شاهد وصول قافلة مكية الى الشام فيصف بالتفصيل شخصية هاشم ومهابته وشرفه وعزة نفسه وسخاءه والتبجيل الذي يظهره له رؤساء مكة ثم يقول والله أن هذه هي العظمة الحقيقية))[١]، ثم يعلق المستشرق على عبارة البدوي بخصوص عظمة هاشم، فيقول:" إنَّها عبارة جديرة بالملاحظة فقد شاهد هذا البدوي مجد الزعيم القريشي "[٢].

يبدو أن التجارة قد رفعت من شأن مكة وأهلها وجعلتهم أسياد على العرب، ومما يؤيد ذلك :" ... فلم تكن عيشتهم عيشة العرب، يهتبدون الهبيد ويأكلون الحشرات وهم الذين هشموا الثريد حتى قال فيهم الشاعر: عمرو العلى هشم الثريد لقومه، ... ورجال مكة مسنتون عجاف "[٣]، فالشاعر يصور حال الرخاء الاقتصادي في مكة في الوقت الذي كان العرب من حولهم يعانون الجوع وشح العيش، وبالتأكيد كل ذلك الفضل انما جاء من التجارة والا فمكة لم تكن زراعية او صناعية، وفق ذلك فقد رأى مونتجمري وات ان مكة لم تكن مجرد مركز تجاري يقصده البدو من كل مكان للحصول على المنتوجات التي تتدفق عليها من الجهات الاربع بل كانت ايضا مركزًا ماليًا[٤].

إنَّ نجاح مكة وازدهارها التجاري جعل بعض المستشرقين ، يشككون في أصل قريش وقصي بالتحديد حيث اعتبروه شخصية خيالية ابتدعها الخيال الاسلامي على زعمهم، وبلغ بهم الخيال حين زعموا أن قريشًا نفسها، وهي القبيلة التي نجحت في أن تسيطر على مكة المكرمة وتحكمها وأن تنقلها من مرحلة البداوة إلى زعامة العرب في غرب شبه الجزيرة العربية، وأن تنشئ لنفسها من التنظيم السياسي والاقتصادي والديني ما يكفل لها هذا التقدم، وما يدل على معرفة كبيرة بشؤون الحكم والاستقرار لا يمكن أن تكون من هذه القبائل العربية في تهامة والحجاز حيث هذه القبائل تعيش بداوية وحياة بدائية بعيدة عن ما وصلت اليه قريش، اذا فلا بد أن تكون فيما يزعمون قد قدمت من الشمال، أي من العرب في بلاد الشام، أو من عرب العراق، وربما كانت من بقايا الأنباط الذين قضى الرومان على دولتهم

(١) كستر/ مكة في الدراسات الاستشراقية ، ١٧٩ .

(٢) المصدر نفسه/ ١٧٩.

(٣) ياقوت الحموي/ معجم البلدان، ١٨٥/٥ .

(٤) ظ: مونتجمري وات/ محمد في مكة / ١٨ .

البتراء في القرن الثاني الميلادي، خاصة وأن قريشًا قد برعت في التجارة التي برع الأنباط فيها من قبل[١].

وفي هذا الصدد يقول أحد الكتاب المعاصرين:((يكاد المؤرخون يجتمعون على أن قريش لا تختلف في أصلها عن أي قبيلة من قبائل البادية المحيطة بها. ولكن علي ابن ابي طالب [عليه السلام] جاء برأي آخر في أصل قريش فهو يقول أن قريش نبط من كوثى بلدة في العراق اذا صح هذا الرأي جاز لنا أن نقول عن قريش أنها جماعة من أهل العراق تركت موطنها بعد اندثار طريق التجارة هناك فجاءت الى مكة تنشد الرزق في الطريق الجديد))[٢].

جاء في لسان العرب :((... قال محمد بن سيرين سمعت عبيدة يقول سمعت عليّاً عليه السلام يقول من كان سائِلاً عن نِسْبَتِنا فإنا نَبَطٌ من كُوثى وروي عن ابن الأَعرابي أَنه قال سأَل رجلٌ عليّاً عليه السلام فقال أَخبرني يا أَمير المؤْمنين عن أَصلكم معاشرَ قُرَيْشٍ فقال نحن قومٌ من كُوثى ... وفي حديث ابن عباس نحن مَعاشِر قُرَيْش من النَّبط من أَهل كُوثَى))[٣]. وياقوت الحموي تناول مسألة هذه الاحاديث، فقال:((... وأختلف الناس في قول علي عليه السلام نحن من كوثى فقال: قوم أراد كوثى السواد التي وُلد بها إبراهيم الخليل، وقال آخرون: أراد بقوله كوثى مكة وذلك أن محلة بني عبد الدار يقال لها: كوثى فأراد أننا مكيون من أم القرى مكة. قال أبو منصور: والقول هو الأول لقول علي عليه السلام فإننا نبط من كوثى ولو أراد كوثى مكة لما قال: نبط، وكوثى العراق هي سُرة السواد وأراد عليه السلام أن أبانا إبراهيم عليه السلام كان من نبط كوثى وأن نسبنا ينتهي إليه ونحو ذلك قال ابن عباس: نحن معاشر قريش حي من النبط من أهل كوثى، والأصل آدم والكرم التقوى والحسب الخُلُق وإلى هذا انتهت نسبة الناس وهذا من علي وابن عباس تبرؤ من الفخر بالأنساب، وردع عن الطعن فيها))[٤].

إنَّ أهل الاخبار يرون أن ما قصده أمير المؤمنين علي(عليه السلام) وابن عباس هو أن أصلهم الأول وهو إبراهيم (عليه السلام)، كان في كوثى وإليه ترجع قريش في النسب، ولم يقصدا أن قريش كانت في العراق وهاجرت بعدها الى مكة.

---

(١) ظ: لآمنس/ مكة في الدراسات الاستشراقية / ٤٢-٤٦ ، مونتجمري وات/ محمد في مكة/٢١-٢٣، محمد بيومي مهران / دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام / ٣٦٠.

(٢) علي الوردي/ أسطورة الادب الرفيع/١٠٦ .

(٣) ابن منظور/ لسان العرب، ٤١٠/٧ .

(٤) ياقوت الحموي/ معجم البلدان، ٣/٤ .

إن أحد الكتاب قد عزا رواج تجارة قريش الى الوسائل التي اتخذتها قريش في تدعيم تجارتها وحمايتها من القبائل على طول الطريق التجاري كان بفضل وسيلتين هما: الوسيلة الدينية، والوسيلة الأدبية فهو يرى أن قريش اهتمت بعمارة البيت الحرام ونصب الاوثان ودعوة العرب الى الحج، ومن الجانب الادبي شجعت الشعر ورعاية الأسواق الأدبية التي يشارك فيها الشعراء لتمجيد قريش وتلك الوسيلتان ساهمتا في نشر فكرة أن قريش عيال الله ولهم قدسيتهم ومن يقترب منهم أو من تجارتهم سيلقى الذي ناله أصحاب الفيل(١). يلحظ انه يعزو الآمن الذي كانت تتمتع به تجارة مكة الى العامل الديني والادبي وليس لعقود الايلاف.

يبدو أن موقع مكة التجاري ليس مقنعًا لوحده في ازدهار تجارتها، فمثلا يثرب وحتى الطائف كلاهما يقعان على نفس الطريق التجاري، وأن يثرب بالتحديد أيضًا تقع على مفترق طرق التجارة ولكنها لم تبلغ ما بلغته مكة المكرمة. وعند بحثنا عن الأسباب التي أدت الى ازدهار مكة وجدنا راياً جديراً بالأهمية ، يقول:((مجيء قبيلة امتهنت التجارة الى بلدة احتضنت حرماً، يحجه العرب او كثير منهم فمكن أن يحدث تفاعلا متصاعدًا بين النشاط التجاري والمواسم الدينية))(٢)، ويعتقد أن الحجاج العرب ينتظرون مجيء الموسم من اجل كسب بعض الربح بما يحضره من قبيلة من بضائع وهكذا يتحول مجيء الحاج السنوي الى مراسيم يختلط فيها فرحته بخير ما جادت عليه تجارته من الربح الوفير مع ايمانه ان البركة تحل عليه لأنه في جوار بيت الله وحرمه(٣).

الباحث يذهب مع هذا الراي فان وصول قبيلة ذات خبرة تجارية كقريش الى قرية مقدسة وذات موقع مميز شكل ذلك تفاعلا بينهم، أي ان قريش عرفت كيف تستثمر العوامل الدينية والجغرافية في الوقت الذي فشلت فيه كلاً من جرهم وخزاعه قبلها، الامر الذي أدى الى ازدهار مكة وعلو شأنها كثيراً.

يتحصل مما سبق أن تجارة مكة كانت تجارة دولية، وقد ساعدت الظروف السياسية لنمو هذه التجارة وازدهارها، وان تفسيرات سورة قريش ذهبت الى ان المقصود بها تجارة مكة الدولية، والتشكيل بهذه التجارة هي آراء ضعيفة ولا تملك الأدلة الكافية، فقد ذهب الكثير من المستشرقين على مكانة مكة التجارية ونموها وحقيقة الإيلاف.

---

(١) ظ: علي الوردي/ اسطورة الادب الرفيع/ ١٠٧- ١١١.

(٢) فكتور سحاب/ ايلاف قريش /١٩٢ .

(٣) ظ: المصدر نفسه/١٩٣ .

الخلاصة

١) يرى المستشرقون أن موقع مكة جعل نمو التجارة فيها أمرًا واردًا ، وساعد على ذلك الأمن الذي تتمتع به المدينة

٢) إنَّ وجود البيت الحرام جعل من مكة محطًا للقوافل التجارية

٣) إنَّ الظروف السياسية التي حدثت في العالم آنذاك أعطت لمكة مكانة مهمة في التجارة الدولية

٤) ذهب الكثير من المستشرقين أن من أهم أسباب تحول التجارة إلى الطريق الغربي المار بمكة هو الصراع بين الفرس والروم من جهة ، ومن جهة أخرى صعود مكة وتمرسها في إدارة التجارة

٥) إنَّ أسباب تفوق مكة كما يراه المستشرقون هو إدارة قريش للملف التجارة بحنكة واتخاذهم الحياد بين الفرس والروم ، وعقدهم الأحلاف التجارية بفضل الإيلاف

٦) يعتقد بعض المستشرقين أن انهيار منافسي مكة واستعداد مكة الذاتي كانت أهم عوامل نجاح مكة

٧) إنَّ أبناء عبد مناف لهم دور كبير في أزدهار تجارة مكة وبالأخص هاشم

٨) شكك بعض المستشرقين الجدد في أهمية الإيلاف ودوره في تجارة مكة ، إذ يرون أن مكة ليست مركزًا تجاريًا ، وتجارتها كانت من النوع المحلي البسيط

٩) رُفضت الأفكار الاستشراقية المشككة بمكة وتجارتها وإيلاف قريش من قبل كثير من الباحثين أذ اعتبروا تلك الآراء المشككة الغاية منها صدمة المسلمين بآراء غريبة حول مدينتهم المقدسة

١٠) إنَّ عقود الإيلاف وازدهار التجارة جعلت مكة ذات شأن كبير عند العرب

المطلبُ الثّاني: موقف المستشرقينَ من ديانة العباد

الفرع الأول: موقف المستشرقين من دين الحنيفية

إنَّ لفظة الحنيف حسب قسم من المستشرقين تعني التحنث أي الانقطاع للتأمل والتعبد[١]. وذهب أحد المستشرقين أن الأحناف من أصل عربي هو(تحنف)، وهي من الكلمات التي لها معنى ديني، ولاحظ أن السريان يطلقون لفظة (حنفة) Hanfa على الصابئة[٢]، نقلاً عن جواد علي[٣] . ومستشرق آخر يقول بأن (حنيف) كانت تدل في الأصل على الراهب النصراني، ويفسر (ده غوي) (decoeje) الكلمة بـ(الكافر)، ويظن مرجليوت (D.S.margoliouth) أن حنيف في كل ما وردت فيه يراد بها المسلم[٤]. ويقول بعض المستشرقين:" وما أمكن حتى الآن من الوصول الى وضوح كامل بشأن معنى حنيف "[٥]. وذهب الكثير من المستشرقين إلى أن الحنيف من أصل عبراني، من (تحينوت) tchinoth، أو من (حنف)، ومعناه التحنث في العربية، وتعني الزهد[٦]، نقلاً عن جواد علي[٧] ، وفي دائرة المعارف الإسلامية ، ويقول كاتب مادة (حنيف):" أول ما ينبغي أن نعمله هو البحث عن عبارات قد ترد فيها الكلمة بمدلول مستقل عن الاستعمال القرآني ومما يستوجب الأسف أن معظم هذه العبارات تكتنفها الصعاب الشديدة إما للشك في صحتها وإما لأنها من التداخل والالتباس بحيث تتعرض لكثير من التأويلات "[٨]. ووصفهم مستشرق آخر بأنهم عرب قدامى باحثون عن الله[٩].

---

(١) ظ: عماد الصباغ/ الاحناف/٣١ .

(٢) Ency., II, 259, Barhebraeus, Chronic., P. 176.

(٣) المفصل في تاريخ العرب، جواد علي: ٤٥٣/٦ .

(٤) ظ: هفننك وشاخت Heffening – Schacht / دائرة المعارف الإسلامية،٩٠/١٤-٩٤ .

(٥) رودي باريت/ محمد والقرآن /٢٦.

(٦) ظ: J.A. Montgomery, Acetic Strains in Early Judaism, in, JBL. Vol. LI, 1932, PP. 183, Tar Andrae, Der ursprung der Islam und des CHristentum, Uppala, 1926, p. 40. Charles Lyall, The Ward Hanif and Muslim, in JRAS, 1903, p. 772, Sprenger, Das Leben, Bd. I, S. 45. Ff .

(٧) المفصل في تاريخ العرب، ٤٥٣/٦ .

(٨) بول/ دائرة المعارف الاسلامية، ٣٩١/١٤.

(٩) ظ: رودي باريت/ محمد والقران/٢٦.

وقد عد المستشرق إبراهام غايغر في كتابه (اليهودية والإسلام) أن الاحناف فرقة من النصرانية وعدهم نصارى عرب زهاد كيفو النصرانية وخلطوا بعض تعاليم غيرهم[١]. وذهب الى هذا الراي أيضًا مونتجمري وات في كتابه(Asetic Strains in Early Judaism)، وقد أستدل على ذلك بما ورد من أفكار للنصرانية في بعض أشعار الجاهلية وقال أن المراد بالاحناف هم شيعة من شيع النصرانية[٢]، نقلا نقلا عن جواد علي[٣] .

وتقول أحدى المستشرقات أن بعض المستشرقين في الغرب ذهب الى أن القول بوجود موحدين على دين إبراهيم في مكة قبل الإسلام ما هو إلا أسطورة ابتدعها الاتقياء، وليس من الحقائق التاريخية[٤]. وتعلق كارين ارمسترونج على المستشرقين الذين نفوا وجود الحنفاء في مكة والحجاز قبل الإسلام بالقول:" ولكن هذا القول لابد أن يكون قد بني على أسس واقعية، اذ أن ثلاثة من أعضاء الحنفية كان لهم شأن في حياة محمد واصحابه الأوائل..."[٥]. أي ارمسترونج تدافع عن فكرة وجود الاحناف وتنقل قصص لبعض افراد الحنيفية وترى أن قصصهم حافلة بالدروس وهو تعبير عن روح التساؤل والبحث التي عرفها بعض العرب آنذاك[٦]. وذهب بعض المستشرقين أن:" وجود الحنفاء أمر لا لا يمكن التشكيك فيه "[٧].

وذهب أحد المؤرخين إلى القول:" إن بعض العرب اعادوا أكتشاف دين إبراهيم القديم وظلوا يدينون به في زمنه، وهو زمن سحيق يرجع الى القرن الخامس "[٨]. يبدوا أن الذي قصده المؤرخ هم الاحناف، الذين رفضوا الوثنية واليهودية والمسيحية وتمسكوا بالديانة الابراهيمية.

---

(١) ظ: ابراهام غايغر/ اليهودية والإسلام، ترجمة نبيل فياض، دار الرافدين، ط١، بيروت ٢٠١٨م/ ١٠٨.

(٢) ظ: J.A. Montgomry . Asetic Strains in Early Judaism , JBL . , Vol . , LI , 1932

(٣) المفصل في تاريخ العرب:٦/٤٥٦.

(٤) ظ: ارمسترونج/ كارين، سيرة النبي محمد/ ١١٠ .

(٥) المصدر نفسه/١١٠.

(٦) ظ: ارمسترونج/ كارين، سيرة النبي محمد/١١٠ .

(٧) رودي باريت/ محمد والقران/ ٢٧ .

(٨) نقلت قوله كارين ارمسترونج في كتابها سيرة النبي محمد/ ١٠٩ .

وقد ذهب **شبرنجر** إلى أن الاحناف جماعة دينية منظمة[١]، نقلاً عن جواد علي[٢]، ولكن رأيه هذا لاقي رفض، يقول:" من غير الملائم النظر الى هؤلاء الاحناف باعتبارهم فرقة دينية "[٣]، وذهب مستشرق آخر أنه لا يوجد لدينا دليل إلى أن الاحناف حركة دينية منظمة في مكة قبل الإسلام[٤]. يرى أحد المؤرخين أن الحنيفية ليست فرقة تتبع دينًا بالمعنى المفهوم للدين كاليهودية والنصرانية التي لها كتب منزلة واحكام شريعة[٥].

وبما أن العرب في مكة والحجاز خصوصًا كانوا موحدين فيما سبق وقد اشتركوا بالله وجعلوا له شركاء (سبحانه وتعالى) ولكن بقيت أصداء بعيدة للديانة الابراهيمية فيهم حتى البعثة المحمدية ونستطيع أن نلتسمها في الاشكال العبادية التي كانت موجودة عندهم في مكة قبل الإسلام، نعم هذا لا يعني الديانة الابراهيمية التوحيدية الصافية بل يلتمس حضور الابراهيمية عندهم في نقطتين، الأولى: الاتفاق بين عرب الجاهلية على اعتبار النبي إبراهيم الخليل نبيا عظيمًا، والثانية: أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الكون والحياة، وهاتان نقطتان يلتقي فيهما المشركون الذين جعلوا لله وشركاء والحنفاء الذين عبدوا الله وحده دون شريك او وسيط[٦].

إن نقاط الالتقاء تلك دفعت اهل الكتاب أن يعتقدوا أن المشركين حنفاء لكون المشركين انفسهم يقولون نحن على ملة إبراهيم ((إلاَّ أنّ العرب الذين كانوا يعبدون الأصنام في العصر الجاهلي كانوا يعتبرون أنفسهم حنفاء على دين إبراهيم. وقد شاع هذا شيوعاً حدا بأهل الكتاب إلى أن يطلقوا عليهم اسم (الحنفاء). وبهذا اتّخذت لفظة «الحنيف» معنىً معاكساً تماماً لمعناها الأصلي، غدت ترادف عبادة الأصنام. لذلك فإنّ القرآن بعد أن وصف إبراهيم بأنّه كان (حنيفاً) أضاف (مسلماً) ثمّ أردف ذلك بقوله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٧] لإبعاد إحتمال آخر))[٨].

---

(١) Sprenger, Das Leben, Bd. I, S. 259

(٢) المفصل في تاريخ العرب، ٤٥٨/٦.

(٣) رودي باريت/ محمد والقران/ ٢٧ .

(٤) ظ: مونتجمري وات/ محمد في مكة/ ٥٩ .

(٥) ظ: جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٤٦٢/٦.

(٦) ظ: عماد الصباغ/ الاحناف/ ٢٥-٢٦ .

(٧) آل عمران: ٦٧.

(٨) ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل، ٥٤٧/٢ .

الفرعُ الثَّاني: موقف المستشرقين من الصَّفا والمَرْوَة

إنَّ المكانة التي يحظى بها الحج في الإسلام دفعت بعض المستشرقين إلى التشكيك بتلك الشعيرة والطعن في أصل مشروعية الحج وتشكيك المسلمين فيه، كانت مكة بما تضمه من أماكن مقدسة منذ زمن بعيد مقصد للحجاج من جميع أرجاء بلاد العرب ، وكان العرب يهتمون بالحج(١).

يقول أحد المستشرقين انه كان هناك حج الى مكة وعمل أهل مكة على توفير سبل نجاحه من توفير الغذاء والماء والمبيت الى الحجاج الوافدين من مختلف بلاد العرب(٢). ولكن مستشرق آخر يرى أنَّ مكة لم تكن مركزا للحج قبل الاسلام(٣)، ويرد أحد المستشرقين عليه بالقول" أن هذا الرأي ليس صحيح "(٤). وأدعى فنسنك أن أصل الحج هو وثني اذ يقول:" اما بعد دعوته فقد كانت عنايته قليلة اول اول الأمر بالحج فلم يرد ذكر الحج في السور القديمة ولا يبدو من المصادر الاخرى ان النبي اتخذ خطة محدودة حيال هذه العادة الوثنية "(٥)، نقلا عن محمد بن سعيد عبد الله السرحاني(٦).

جاء في دائرة المعارف الاسلامية الصفا والمروة :((أكمة عند مكة لا تكاد الآن تعلو عن سطح الأرض، ومعنى هذا الاسم كمعنى أكمة المروة التى تقوم تجاه الصفا، أى الحجر أو الحجارة ... ويسعى المسلمون، كما هو معروف، بين الصفا والمروة إحياء للقصة التي تروى أن هاجر سعت رائحة غادية بين هذين المرتفعين باحثة عن عين تروى بها ظمأ ولدها))(٧). ويقول أحد المستشرقين حول السعي بين بين الصفا والمروة:((والسعي شعيرة تجول تقتضى أن ينفق الساعي مدة في الهرولة، وهى تشبه في ذلك الطواف والإفاضة لعرفة المزدلفة إلخ ... وما من شك في أنها كانت شعيرة قديمة قائمة بذاتها أصبحت مقترنة بشعائر الكعبة، مثلها مثل الإفاضة بالنسبة لشعائر عرفة والمزدلفة على أن الروايات الإسلامية

---

(١) ظ: واشتنغون إرفنغ/ حياة محمد/ ٣٦-٣٧.

(٢) ظ: كستر/ أبحاث حول مكة، المندرج في كتاب مكة قبل الاسلام/ ١٨٧.

(٣) المصدر نفسه/ ٢٣٠.

(٤) المصدر نفسه/ ٢٣٠.

(٥) THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM (NEW EDITION). LEIDEN: E.J. BRILL, LONDON: LUZAC & CO., 1960- 1995 VOL. III,P. 33 .

(٦) موقف المستشرقين من الحج(بحث) منشور في مجلة الدراسات الاسلامية، جامعة ام القرى المجلد التاسع العدد الثاني الثاني ٢٠٢١/ ٧٠.

(٧) جويل B.Joel / موجز دائرة المعارف، ٢١/٥٢٠.

جاهدت جهادا كبيرا ومن غير تردد في وصل هذه الشعيرة بقصة إبراهيم عليه السلام ترك هاجر، ورأت هاجر أن إسماعيل قد أوشك على الهلاك من العطش، فهرولت من اليأس سبعة أشواط من جبل إلى جبل ، ويقال أيضًا إن إبراهيم قد شرع السعي لعبادة اللَّه، وهرول فرارا من الشيطان الذى كان قابعا ينتظره في بطن الوادي))[١].

يتحصل أن موقف المستشرقين من شعائر الحج قبل الاسلام ومنها الصفا والمروة والسعي بينهما ماهي إلا شعائر جاهلية ورثها الاسلام من الجاهلية بعد رفع الاصنام عنها، فهم بالجملة يرفضون ان يكون النبي ابراهيم هو مؤسس تلك الشعائر ويعتبرونها طقوس وثنية يقوم بها الجاهليون حول آلهتهم.

الفرعُ الثالث: موقف المستشرقين من مكاء وتصدية

قد زعم بعض المستشرقين أن لفظ الصلاة لم تكن معروفة قبل الإسلام وانما دخلت العربية من القرآن الكريم تعبيراً عن الفرائض المعروفة[٢]، نقلا عن جواد علي[٣] .

ويقول كاتب مادة الصلاة في دائرة المعارف الاسلامية:" ويبدو أن كلمة صلاة لم تظهر في الآثار الأدبية السابقة على القرآن الكريم؛ وهى تكتب (صلوة) في كثير من النسخ الكوفية للقرآن الكريم؛ كما تكتب كذلك في كثير من المؤلفات المتأخرة عند الحديث عن الكتاب الكريم، ويعد رسمها على هذه الصورة في الكثرة الغالبة تمثيلا للنطق بها في لهجة من اللهجات"[٤].

يلحظ أن المستشرقين يذهبون إلى أن الصلاة هي لفظ اسلامي واستخدام اسلامي وان العرب الوثنيين لا عهد لهم فيها، وأشار أحد الباحثين الى ان المستشرقين لم يتناولوا مسألة صلاة العرب قبل الاسلام، يقول :((﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾[٥]، هذه الآية لم تفهم ولذلك ولذلك رميت رغم انها المفتاح الذهبي بأيدينا لفك لغز ديانة مكة فلم اعثر على باحث غربي واحد امسك بهذه الأية وحاول استقراءها))[٦]. والمستشرق فنسنك يرى أن الصلاة هي لفظ آرامي ولا دخل له بالعربية

---

(١) ديموبين / موجز دائرة المعارف، ٦٧١/١٨.

(٢) ظ: Shorter, Ency, of islam, p. 654

(٣) الصلاة/ ٨ .

(٤) فنسنك/ دائرة المعارف، ٥٨٤/٢١ .

(٥) الأنفال: ٣٥.

(٦) زكريا محمد/ عبادة ايزيريس وأوزيريس في مكة الجاهلية/ ٦.

بالعربية :((أن كتابة (الواو) في مكان الألف ماثل، كما قد نتوقع، في كثير من الكلمات الأخرى التي تتصل بلغة القرآن الكريم، كما هو شائع في اللغة الآرامية اللهم إلا كلمة ربا (ربوا) وحدها التي تستثنى من الكلمات المنتهية بـ (اة) أو (وة) ومن ثم يجب ألا يغرب عن بالنا أثر اللغة الآرامية حين نرى الصورة التي تكتب بها (زكوة) و(صلوة) وغيرهما... واشتقاق كلمة (صلوطا) الآرامية واضح كل الوضوح، فالأصل(صلأ) في الآرامية يعنى الانحناء والانثناء والقيام. ومادة صلوطا هي اسم للأفعال المشتقة من هذه، وتعنى فعل الانحناء إلخ، وتستعمل في كثير من اللهجات الآرامية للدلالة على الصلاة الشرعية وإن كانت تعنى أيضًا الصلاة الفردية التلقائية التي تسمى عادة في السريانية على الأقل: (باعوطا). والفعل (صلى) يشير إلى اشتقاقه من الاسم صلاة بمعنى أداء الصلاة))[١].

ورد أحد المؤرخين على رأي المستشرقين بقولهم أن الصلاة لم تكن معروفة قبل الاسلام، يقول:" وهو رأي يحتاج الى دليل اذا ليس في استطاعة أحد الادعاء أننا أحطنا علماً بلغة الجاهلين وبمصطلحاتهم وبجميع عقائدهم حتى نقول بهذا الرأي "[٢]. ولكنه يعقب قائلاً:" وأما اذا كانوا قصدوا برأيهم الصلاة بالمعنى الاسلامي او الطريقة اليهودية او النصرانية ، لم تكن معروفة عند الوثنيين فذلك رأي صحيح سليم ولا يمكن أن يخالفه أحد "[٣].

ويرى المؤرخون أن الجاهليين الوثنيين فلم يعرفوا شيئا من امر الصلاة عندهم اذا لم تصل الينا أي كتابة مدونة بقلمهم فيما ذكر للصلاة عندهم . فقوم كانوا يحجون في مراسيم معينة ولهم شعائر دينية ثابتة معينة ، ولهم أدعية وتضرعات الى آلهتهم ، لا يمكن أن يكونوا قد غفلوا أمر الصلاة لأن الصلاة معروفة حتى في الأديان البدائية وهي ملازمة لكل الاديان، والقرآن الكريم هو المصدر الوحيد الذي تطرق لصلاتهم وبين انهم كانت لديهم صلاة[٤].

يتحصل أن المستشرقين ينفون أن تكون للعرب الجاهليين صلاة، فهم يرونها أنها استخدام إسلامي ولا عهد للعرب فيه قبل الإسلام، متجاهلين في ذلك أن أغلب الأديان عرفت الصلاة بمعناها الاشمل ولكن لكل دين سواء كان سماوي أو وضعي طريقة الخاصة في أداء الصلاة.

---

(١) فنسنك/ موجز دائرة المعارف الإسلامية، ٥٨٤/٢١ .

(٢) جواد علي/ الصلاة/ ٨ .

(٣) المصدر نفسه / ٨ .

(٤) ظ: المصدر نفسه/ ٩ .

الفرعُ الرَّابع: موقف المستشرقين من أصحاب الفيل

شكك بعض المستشرقين بعدم صدق وعدم واقعية الكثير من الوقائع التاريخية التي أتى بها القرآن الكريم في ما أشارت إليه من أسماء أو أحداث ومنها قصة أصحاب الفيل وتاريخ وقوعها. وقد تعرض القصص القرآني لهجمات وطعون منذ نزول القرآن الكريم، فقيل عن قصصه أنها أساطير وأكاذيب، وأنها مختلقة ومنتحلة، وهي افتراءات لازمت القصص القرآني مع الاستشراق الذي أعاد تكرار كثير منها، محاولاً منحها قدراً من المنهجية والعلمية. تجاهل أغلب المستشرقين خصوصيات القصص القرآني، فشككوا في مصدريته، وزعموا أنه مستقى من قصص الكتب السابقة، وأساطير الحضارات والأمم الأخرى، وزعم آخرون أن القصص القرآني يحوي على تناقض، ومخالف لمعطيات العلم والتاريخ، وذهب اتجاه ثالث أن القصص القرآني ضعيف فنياً، لوجود تكرار في بعض قصصه، وغموض في بعض مواضعه، والإيجاز الشديد في بعض القصص، والإعراض في كثير من الأحيان عن ذكر الحوادث والوقائع. ونسج المستشرقون مبكراً أوجه شبه بين القصص التوراتي والانجيلي وبين القصص القرآني، واعتبار قصص التوراة والإنجيل هي المرجعية عند النظر إلى القصص القرآني، وتأثرت بعض الاتجاهات العربية خاصة الحداثيين بمناهج المستشرقين، وألصقوا بالقصة القرآنية الكثير من الشبهات، منها: التشابه، والتكرار، والاقتباس من الكتب السماوية السابقة[١].

تناول قصة اصحاب الفيل أحد المستشرقين بالقول:((... وكان على اجتياح اليمن على يد الاحباش أن يمهد الطريق أمام المكيين بسبب العلاقات الطيبة بين البيزنطيين والاحباش، ولا شك أن المكيين قد نموا تجارتهم على مستوى واسع وارسلوا قوافلهم في كل صوب... وقد تدهورت العلاقات فيما بعد مع الاحباش لان نائب الملك ابرهة سير في نهاية الاحتلال حملة ضد مكة لهدم الكعبة ليضطر العرب الى الحج في معبده الجديد في الجنوب))[٢]. فالمستشرق يؤكد حصول الحادثة.

جاء في دائرة المعارف الاسلامية:((ابرهة: هو أبراهام في اللغة الإثيوبية، الملقب بالأشرم، وهو حاكم إثيوبي لليمن حوالى منتصف القرن السادس الميلادي... وتعد سنة ٥٣١ م مبدأ حكمه... ولقد أمدتنا الصدفة أخيرا بتفصيلات وافية عن أبرهة بفضل (نقوش السد) [سد مأرب] Damm– Inschrift

(١) ظ: محمود كيشانه/ القصص القراني في مرآة المستشرقين/ ٨.

(٢) محمد في مكة/ ٣٦–٣٧ .

التى كشفها كليزر. Glaser ونشرها. ويُطلق أبرهة على نفسه في تلك النقوش: الأمير التابع لملك الحبشة، ملك سبأ وريدان وحضر موت ويمنات وعرب النجاد وعرب السهول. وكان أهم حادث في حكمه –كما تذكر تلك النقوش– هو مجئ بعض الوفود إلى سد مأرب عام ٦٥٧ م (وفقا للتقدير الشائع عام ٥٤٢ م. ووفقا لتقدير كليزر يحتمل أن يكون عام ٥٣٩ م) ومن بينها وفود الدولتين المتنافستين بوزنطة وفارس. ولما نشبت الحرب الكبرى بين هاتين الدولتين المتنافستين عام ٥٤٠ م لم يشترك أبرهة فيها بادئ الأمْر رغم ما بذله إمبراطور بوزنطة من جهد في كسبه إلى جانبه. ولم يقتنع أبرهة بذلك إلا متأخرا فاكتفى بالقيام بهجمة على الفرس، إلا أنه سرعان ما تخلى عن ذلك كما يقول بروكوبيوس. ونستطيع أن نجد صلة بين هذه الحرب التي لا يمكن أن تكون قد وقعت قبل عام ٥٧٠ م وبين تلك القصص العربية التي تعتمد على القرآن (سورة الفيل) وتشير إلى حملة أبرهة الفاشلة على مكة والكعبة. وإلى جانب هذا النسيج من القصص المعتمد على القرآن، رواية ضعيفة مؤداها أن وباء الجدري كان قد انتشر في ذلك الوقت، ويمكن الافتراض بأن هذا الوباء كان سببا في تقهقر أبرهة أو على الأقل كان ذريعة له إلى العدول عن تلك الغزوة الشاقة. وعام هذا الحادث الذى يعرف (بعام الفيل) نسبة إلى الفيلة التي استخدمها أبرهة هو عام ٥٧٠ م كما تقول المصادر المتأخرة، ويعد هذا العام في القول الشائع عام مولد النبي))[١]. نلحظ أن كاتب مادة ابرهة المستشرق فنسنك يؤول القصة الى الصراع الفارسي البيزنطي، ثم يعود لينفي أي هجوم لأبرهة على مكة ويعتبر ذلك من نسيج الخيال والاسطرة، ويستشهد بنقش اثري مكتشف.

يعترض بعض المستشرقين على التفسير الإسلامي للقصة ويرى أنه لو لا يمكن القبول بها[٢]. ويرى آخر أن تاريخ حدوث القصة غير صحيح أن تحدث في عام(٥٧٠م) ولكنه يؤخرها عشر سنوات ويرى أن عام الفيل حصل بعد هذا التاريخ بعشر سنوات وغايته تلك هي الطعن في القول الذي يشير الى أن النبي بعث على رأس الاربعين من العمر، حيث خرج بالقول مدام الانبياء يبعثون بالأربعين ومحمد بعث وعمره ثلاثون سنة اذا هو ليس بنبي[٣].

(١) فنسنك/ موجز دائرة المعارف الإسلامية، ٩٨/١-٩٩.

(٢) ظ: المصدر نفسه، ٩٩/١.

(٣) ظ: بروكلمان/ تاريخ الشعوب الإسلامية/ ٣٢.

بينما ذهب أكثر المستشرقين الى عام (٥٧٣م) هو تأريخ الفيل حين حولوا ما ذكره أهل الأخبار عن سنة ولادة الرسول إلى التقويم الميلادي[١]. وهذا ما يفند رأي لآمنس، وقريب من التاريخ الذي وضعه اغلب الاخباريين والمفسرين هو عام(٥٧٠م) عام ولادة الرسول الاعظم(صلى الله عليه واله وسلم). يقول أحد المستشرقين:((وقد ذهب فلهوزن Wellhausen إلى أن ما يروى عن حملة "تُبَّع" على المدينة لم يكن في الواقع إلا مرحلة أولى من مراحل حملة أبرهة المشار إليها. وتؤيد النقوش التي تقدم ذكرها والتي تبتدئ بصلاة للثالوث ما قاله مؤرخو اليونان وما ورد في القصص العربية من أن أبرهة كان نصرانيا. وكنيسة مأرب التي ذكر تدشينها في تلك النقوش كانت تضارع الكنيسة التي شيدها أبرهة في صنعاء، تلك الكنيسة التي لابد أنها كانت بناء لا نظير له كما يقول العرب))[٢].

ويرى طه حسين أنها نوع من الأساطير يقول:((فنحن نلمح في الاساطير ان تنشأ من المنافسة الدينية كان قائما بين مكة ونجران. ونحن نلمح في الاساطير أيضا ان هذه المنافسة الدينية بين مكة وبين الكنيسة التي انشاتها الحبشة هي التي دعت الى حرب الفيل التي ذكرت في القران))[٣].

ونعتهم القصص القرآني بالاسطورية ليس بغريب على المستشرقين يقول أحدهم((أحد أهم مصادر تعاليم محمد كانت الاعتقادات الدينية التي اعتنقها قومه ... وهكذا بقي لدى مؤسس الإسلام بعض الاساطير القديمة وبعض الآراء الدينية التي كانت سائدة في الجاهلية))[٤].

تجدر الإشارة الى أنه هناك من الباحثين المسلمين من ذهب الى القول بـ(اسطورية) بعض القصص القرآنية ولعل اشهرهم الدكتور محمد أحمد خلف الله أول من طرح قضية أسطورية بعض القصص القرآني، وذلك في مقام دفاعه عن القرآن الكريم أمام شبهات المستشرقين، إذ اعتبروا أنّهم كانوا يعبّرون عن عجز فادح في فهم القرآن، يقول" ولاحظت أخيرا أنّ المستشرقين قد عجزوا عجزا يكاد يكون تامّا عن فهم أسلوب القرآن الكريم، وطريقته في بناء القصّة وتركيبها، وعن الوحدة الّتي يقوم عليها فنّ البناء والتّركيب "[٥].

---

(١) ظ: جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام/ ١٩٨/٦.

(٢) فنسنك/ موجز دائرة المعارف، ٩٩/١.

(٣) طه حسين/ في الشعر الجاهلي/٤٠.

(٤) نولدكه/ تاريخ القران/١٨ .

(٥) محمّد أحمد خلف الله / الفنّ القصصي في القرآن، مؤسّسة الانتشار العربي، ط٤، بيروت، ٣٧/١٩٩٩.

وقد يكون محمد خلف الله أول من طرح هذه القضية بهذا الشكل الواضح والمكثف، حيث طرحها في رسالته لنيل شهادة الدكتوراه تحت عنوان (الفن القصصي في القرآن) وقدّم خلف الله في السّنة الجامعيّة (١٩٤٧-١٩٤٨)، أطروحته: الفنّ القصصي في القرآن لشهادة الدّكتوراه، التي قبلها وأشرف عليها أمين الخولي. وفي تصدير الكتاب الّذي كتبه خلف الله نجد الملابسات الّتي حفّت بالأطروحة من قبل أن تُعرض وتُناقش[١]. يخلص محمد خلف الله بعد تحليله الأدبي للآيات التسع التي وردت فيها عبارة (أساطير الأولين)، وبالاستعانة بما طرحه أمين الخولي في تفسيره، إلى أن استعمال القرآن واستعانته بالأسطورة أو القصة الأسطورة بنسج أحداث وصنع شخصيات لا واقعية لها غير مردود عليه، وليس يمس بصدقه؛ لأن غرض القصص القرآني في كليته هو الهداية والتربية والإرشاد إلى الطريق والمعتقد الصحيح، وما دام القصص الأسطوري أسلوباً في التربية ورد العقول إلى رشدها فهو مبرر ومعتبر[٢].

ولم تلقَ نظرية محمد احمد خلف الله بالجملة قبولاً ولا استحساناً في أوساط علماء الدين والمهتمين بالدراسات القرآنية، حيث وجَّه فهد الرومي انتقادات طالت شخص خلف الله في كتابه (اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر)، كما تعرض لها بالتحليل كلٌّ من عبد الكريم الخطيب، ضمن فصل خاص في كتابه (القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه)، وكذا عبد الجواد الحمص، في (أباطيل الخصوم حول القصص القرآني)[٣].

ويعترض بعض المستشرقين على الرواية الإسلامية التي وردت في كتب المفسرين والأخبارين القائلة أن عبد المطلب زعيم مكة ، ويقول انها صنعة لتمجيد بني هاشم دون غيرهم[٤]. ويفسر المستشرق لقاء عبد المطلب مع ابرهة بقوله:((ربما كانت المفاوضات منقولة بصورة صحيحة ولكن يجب تفسيرها على انها لقاء يهم فئة صغيرة من القرشيين (من بينهم قبيلة دؤيل وهذيل) بينما سائر القرشيين لم يابهوا بها. فاذا كان كذلك فمن الممكن ان يكون عبد المطلب قد حاول الاستعانة بالأحباش ضد اعدائه

---

(١) ظ: محمّد أحمد خلف الله/ الفنّ القصصي في القرآن /١٧.

(٢) ظ: المصدر نفسه/ ١٥٢ وما بعدها.

(٣) ظ: محمود طيّب الحسيني/ دراسة نقدية لآراء خلف الله حول القصة الأسطورة(بحث)، ترجمة: نظيرة غلاب، مجلة نصوص معاصرة، مركز البحوث المعاصرة- بيروت ٢٠١٥م، منشور على الموقع الالكتروني للمجلة: https://nosos.net/ تم الأطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢٢/١٢/٢٣م .

(٤) ظ: مونتجمري وات / محمد في مكة/ ٣٨.

القرشيين كقابل عبد شمس ونوفل ومخزوم. ويبدوا ان الاولين قد استوليا في هذا الوقت على تجارة القسم الأكبر من التجارة مع سورية واليمن بعد ان كانت سابقا بايدي هاشم والمطلب فكانت القبائل الموسرة تحاول ان تتبع سياسة محايدة في وجه سياسة المطلب الموالية للحبشة. ولا يمكننا البت فيما اذا كان ابرهة قد قبل مقترحات عبد المطلب او رفضها لعلمه بانه لا يملك القوة الكافية لذلك وعلى كل حال فقد فلقد انتهت الحملة بدون طائل اذ فتك الطاعون بالجيش الحبشي))[١]. نلحظ أن المستشرق بالرغم من تأكيده حصول الحادثة إلا أنه يخرج بآراء غريبة حول عبد المطلب فهو يراه ليس بزعيم مكة ويرفض الاخبار عن زعامته مكة ويرى انها صنعت لتمجيد بني هاشم، الى جانب آخر يتهم عبد المطلب بالاستعانة بالحبشة والاتفاق مع ابرهة لتدمير مكة، وفي كل آرائه تلك هو لا يستند فيها الى أي دليل بل من بناة افكاره ومخيلته، والتاريخ لا يكتب بالافتراض والأفكار بل يستند على الوقائع والاحداث.

وفي دوافع ابرهة التي جعلته يجهز حملته على مكة يفترض أحد المستشرقين أن الدافع التجاري كان بجنب الدافع الديني من الحملة يقول:((ويمكننا الافتراض ان المصالح التجارية انظمت الى المصالح الدينية في هذه الحملة. ولا شك ان ابرهة كان لا يعجبه نجاح المكيين التجاري المتزايد اذا كانوا يجنون أرباحا مغرية كوسيط بين الاحباش والبدو . وقد ادرك ابرهة أهمية الدور الذي تقوم به المنطقة المحرمة حول مكة فيما يسمى بالنظام المكي وربما كان يوجد كنز في المعبد. فاذا ما اريد السيطرة على سلطان مكة وازدهارها وجب هدم معبدها وإقامة معبد اخر مكانه كمركز لتجارة المفرق بين عرب الصحراء))[٢]. يلحظ أنه يرى أن السبب الرئيسي هو سبب تجاري في المقام الأول فان نجاح مكة التجاري جلب لها الاطماع وحملت ابرهة كانت حملة تجارية مع بعض المصالح لكون ابرهة نصراني ويسعى ايضاً لنشر دينه بين الأوساط الوثنية في غرب الجزيرة العربية. وهذا الرأي قد قاله كثير من المفسرين حين ذهبوا الى ان الله اهلك أصحاب الفيل لأجل ايلاف قريش[٣].

ويذهب أحد المؤرخين أن ابرهة كان يحمل مشروع سياسي خطير من المشروعات العالمية القديمة التي وضعها ساسة العالم للسيطرة على الطرق الموصلة إلى المياه الدافئة وإلى الأرضين المتجه لأهم المواد المطلوبة في ذلك العهد حيث يرى أن الروم كانت غايتهم السيطرة على مكة في ذلك

(١) مونتجمري وات / محمد في مكة / ٣٨.

(٢) المصدر نفسه/ ٣٦-٣٧

(٣) ظ: الماوردي/ النكت والعيون، ٤٥٨/٤، الثعلبي/ الكشف والبيان، ٢٢٥/١٤، ابن عطيه/ المحرر الوجيز، ٦٠/٧، الواحدي/ الواحدي، ١١٤٨/١.

الوقت[١]. ويقدم جواد علي سببًا يراه هو المناسب لدوافع ابرهة لهدم الكعبة يقول:((وقصة تدنيس (القليس)، قد تكون حقيقية وقعت وحدثت، وقد تكون أسطورة حيكت ووضعت، على كل حال، وفي كلتا الحالتين لا يعقل أن تكون هي السبب المباشر الذي دفع النجاشي إلى السير إلى مكة لهدم البيت ونقضه من أساسه ورفع أحجاره حجرًا حجرًا، على نحو ما يزعمه أهل الأخبار بل يجب أن يكون السبب أهم من التدنيس وأعظم، وأن يكون فتح مكة بموجب خطة تسمو على فكرة تهديم البيت وتخريبه، خطة ترمي إلى ربط اليمن ببلاد الشام، لجعل العربية الغربية والعربية الجنوبية تحت حكم النصرانية، وبذلك يستفيد الروم والحبش وهم نصارى، وإن اختلفوا مذهبًا، ويحققون لهم بذلك نصرًا سياسيًّا واقتصاديًّا كبيرًا، فيتخلص الروم بذلك من الخضوع للأسعار العالية التي كان يفرضها الساسانيون على السلع التجارية النادرة المطلوبة التي احتكروا بيعها لمرورها ببلادهم؛ إذ سترد إليهم من سيلان والهند رأسًا عن طريق بلاد العرب، فتنخفض الأسعار ويكون في إمكان السفن البيزنطية السير بأمان في البحار العربية حتى سيلان والهند وما وراءهما من بحار))[٢]. وهو رأي لا يستبعده الباحث لكون الأقوال التي ساقها المؤرخون وبعض المفسرين تبدوا بعيدة عن الواقع بقولهم ان السبب هو صرف العرب نحو الكنيسة التي بناها ابرهة، ولكن العرب وثنيون فكيف يحجون الى كنيسة نصرانية؟ لا تربطهم بها ايةُ رابطة.

يتحصل أن القصة كانت قد حصلت فعلاً لكونها وردت في القرآن الكريم، وقد تداولها العرب وأهل مكة قبل الإسلام وكانت سببًا في علو شأن قريش ومكة والمفسرين يتفقون على الخطوط العريضة للقصة ويختلفون في بعض الجزئيات ، اما المستشرقين فقد انقسموا حيالها الى قسمين ذهب قسم منهم انها أسطورية مثلها مثل بقية القصص القرآني كـ (قصة أصحاب الكهف وغيرها) والقسم الآخر يرون انها واقعاً قد حدثت ولكنهم يختلفون في وقت حدوثها فذهب جماعة منهم انها حصلت في نفس عام ولادة الرسول الأعظم(صلى الله عليه واله) وهم بذلك يتفقون مع الرواية الإسلامية، وذهب بعضهم الى تقديمها الى عام(٥٤٠م) حسب نقوش يقولون انها تتحدث عن فترة حكم ابرهة لليمن .

أما في أسباب هلاك أصحاب الفيل حين أرادوا تدمير الكعبة يرى الباحث أن حرمة البيت وقدسيته ودعاء عبد المطلب هما السبب الرئيس لهلاك أصحاب الفيل، وليس ما ذهب اليه بعض المفسرين ان سبب هلاكهم هو لأجل تجارة قريش.

---

(١) ظ: جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٢٠٢/٦.

(٢) المصدر نفسه/ ٢٠٨/٦ .

الخلاصة

١) يتفق أغلب المستشرقين على وجود الاحناف قبل الإسلام وأن القسم الأكبر منهم كان في مكة، وهم بقولهم هذا لا يختلفون كثيرًا عن المفسرين الذين قالوا أن الاحناف فرقة دينية كانت موحدة وعلى ملة إبراهيم ، بينما يرفض المستشرقون ربطهم بالنبي إبراهيم .

٢) اعتبر بعض من المستشرقين الاحناف فرقة دينية ، بينما ذهب قسم آخر إلى أنه لا يمكن عدهم فرقة دينية .

٣) يرى بعض المستشرقين بأنه لم يتمكنوا حتى الآن من الوصول الى معنى واضح بخصوص معنى الحنيف

٤) ابرز خلاف بين المفسرين والمستشرقين في مسألة الحنيفية هو أن المفسرين يقولون أن الحنيفية ديانة كانت قبل الإسلام موحدة تعود للنبي إبراهيم ، بينما يرى المستشرقون أنهم جماعة من أهل مكة رفضوا عبادة قومهم ولا يتبعون دينًا محددًا ، لكن الأدلة التي أستند عليها المفسرين بأعتمادهم على ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية تؤيد وجهة نظرهم عكس الجانب الاخر الاستشراقي الذي أعتمد على التخمين والافتراض وتلك أدلة غير علمية في أثبات حقيقة تأريخية.

٥) نالت شعيرة الصفا والمروة قسطًا من تشكيك المستشرقين كونها ترتبط بالحج وطقوسه والأخير محل طعنهم وشبهاتهم ، فهم يعتقدون أنها من شعائر الجاهلية التي ورثها الإسلام وليس لها أصل إبراهيمي ، بينما القرآن الكريم يقول أنها من شعائر الله .

٦) نفى المستشرقون أن تكون هناك صلاة للعرب قبل الإسلام ، ويدعون أن الصلاة هي استخدام إسلامي ولم تكن معروفة في مكة قبل الإسلام ، ورأيهم هذا لا يستند الى أدلة فالصلاة وجدت في كل الإديان ولكن لكل دين طريقة الخاصة للصلاة ، بينما ذهب المفسرون إلى أن هناك صلاة للعرب كانت تقام في البيت ولكنها نوع من الصفير والتصفيق تخلو من الجانب والمعنوي الذي يشعر به المصلي وكذلك كانت تقام لتقديس الأصنام وليست عبادة الإله الواحد الاحد .

خُلاصة الفصلُ الثاني

١) إنَّ هنالك جذور توحيدية عند العرب قبل الإسلام بقيت بعض طقوسها حتى ظهور الإسلام ، وأن قريش كانت تؤمن بالله رب السماوات ولكنهم بنفس الوقت استمروا في عبادتهم للآلهة الأخرى.

٢) إنَّ ابراهيم (عليه السلام) بأمر من الله (تعالى) ذهب إلى مكة فأسكن فيها ولده إسماعيل وهو صبي ورجع إلى فلسطين فنشأ إسماعيل واجتمع عليه قوم من العرب القاطنين هناك وبنيت بذلك بلدة مكة. وأن إبراهيم وإسماعيل هما السببان الأصليان لبناء مدينة مكة . يرفض المستشرقون مسألة ذهاب إبراهيم وإسماعيل إلى مكة وسكن إسماعيل وأمه في مكة عند البيت الحرام ، وهم بذلك ينفون بناء الكعبة من قبل إبراهيم وإسماعيل ، وقد تأثر بعض المسلمين بتلك الرؤية الاستشراقية وأعتبر أن ورودها في القرآن الكريم ليس دليلاً كافيًا لأثباتها ، مدعيًا أن القصة استغلها الإسلام لسبب سياسي.

٣) إنَّ البيت الحرام كان موجودًا قبل إبراهيم فقد بناه آدم ثم انطمست معالمه بعد طوفان نوح وحين جاء إليه إبراهيم مع زوجته هاجر وإسماعيل كان للبيت نوع من الوجود كالأساسات مثًلا.

٤) إنَّ المستشرقين اختلفوا فيما بينهم، قسم يرى أن قصة بناء إبراهيم وإسماعيل الكعبة من صنع اليهود، والقسم الآخر يرى أنها من صنع الإسلام، ولكنهم يتفقون في رفضهم أن إبراهيم جاء الى مكة وبنى الكعبة دون أن يقدموا أدلة على دعواهم سوى أن العرب وثنيون وأن إبراهيم جاء بدين التوحيد ولو كانوا العرب ينتسبون لإبراهيم أو أن إبراهيم قد بنى الكعبة لكان العرب موحدين كاليهود. ورد عليهم الكثير من الكتاب وأعتبروا أن السبب الذي تخيله المستشرقون للقصة هو سببًا واهٍ .

٥) أن موقف المستشرقين من النبي إبراهيم وقصة بناء الكعبة موقف لا يستند الى أدلة تكفي لنفي الحادثة، ومبني على التخمين والافتراض ويعارض كل الاخبار الواردة والكتب المقدسة وما جاء في القران الكريم من أن إبراهيم هو باني الكعبة ومؤسس مدينة مكة عندما أسكن أبنه إسماعيل وزجته هاجر فيها.

٦) إيلاف قريش هي عقود وعهود تجارية عقدتها قريش مع القبائل الواقعة على الطريق التجاري واتفاقيات سماح بالتجارة مع بلدان الروم والحيرة واليمن والحبشة ، وكان هاشم جد الرسول(صلى الله عليه وآله) هو مؤسس الإيلاف . وأنقسم المفسرون فيما بينهم حول ارتباط سورة قريش بسورة الفيل ، فذهب قسم منهم إلى أن هناك ارتباط بين السورتين ، بينما نفى قسم آخر هذا الارتباط وذهبوا أن السورتين منفصلتين .

٧) شكك بعض المستشرقين الجدد في أهمية الإيلاف ودوره في تجارة مكة ، أذ يرون أن مكة ليست مركزًا تجاريًا ، وتجارتها كانت من النوع المحلي البسيط ، وقد رُفضت تلك الأفكار الاستشراقية

المشككة بمكة وتجارتها وإيلاف قريش من قبل كثير من الباحثين أذ اعتبروا تلك الآراء المشككة الغاية منها صدمة المسلمين بآراء غريبة حول مدينتهم المقدسة .

٨) يرى المستشرقون أن موقع مكة جعل نمو التجارة فيها أمر وارد ، وساعد على ذلك الأمن الذي تتمتع به المدينة ، ووجود الكعبة مقدس العرب جعل من مكة محط للقوافل التجارية. ويعتقد بعض المستشرقين أن انهيار منافسي مكة واستعداد مكة الذاتي كانت أهم عوامل نجاح مكة ، وإنَّ أبناء عبد مناف لهم دور كبير في أزدهار تجارة مكة وبالأخص هاشم.

٩) إنَّ في أصل الحنف معنيان: الاول: الميل ، والثاني : الاستقامة ، وأن الاحناف كانوا على دين إبراهيم الخليل ولم يكونوا يهوداً أو نصارى ولم يعبدوا الأصنام وقد سفهوا عبادتها ، وآمنوا بالله الواحد وكان القسم الأكبر منهم في مكة .

١٠) إنَّ الحنيفية كانت ديانة إبراهيم الخليل وأتباعها رفضوا عبادة الاوثان والاصنام وعبدوا الله موحدين على ملة إبراهيم الخليل، وأن الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله) كان منهم فهو على دين إبراهيم الخليل، دين الإسلام قبل أن يبعث صلوات الله عليه واله وسلم. يرى المستشرقون أنهم جماعة من أهل مكة رفضوا عبادة قومهم ولا يتبعون دينًا محددًا ، لكن الأدلة التي استند عليها المفسرون بأعتمادهم على ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية تؤيد وجهة نظرهم عكس الجانب الاخر الاستشراقي الذي أعتمد على التخمين والافتراض وتلك أدلة غير علمية في أثبات حقيقة تأريخية.

١١) إنَّ صلاة مكاء وتصدية هي شكل من أشكال العبادة قبل الإسلام في مكة وقد وردت ذكرها في القرآن الكريم ، وأنَّ المكاء هو صفير والتصدية هو تصفيق ، وذهب قسم من المفسرين أنها لم تكن صلاة بل نوع من اللعب واللهو عند البيت الحرام . بينما ينفى المستشرقون أن تكون هناك صلاة للعرب قبل الإسلام ، ويدعون أن الصلاة هي استخدام إسلامي ولم تكن معروفة في مكة قبل الإسلام ، بينما ذهب المفسرون الى أن هناك صلاة للعرب كانت تقام في البيت ولكنها نوع من الصفير والتصفيق تخلوا من الجانب والمعنوي الذي يشعر به المصلي وكذلك كانت تقام لتقديس الأصنام وليست عبادة الإله الواحد الاحد .

١٢) إنَّ الصفا والمروة اسمان لجبلين صغيرين في مكة ، وهما من شعائر الحج ، وأن فريضة السعي بينهما تعتبر اقتداءً بالسيدة هاجر زوجة النبي إبراهيم (عليه السلام) بعد أن تركها إبراهيم في مكة مع أبنها إسماعيل تنفيذًا لأمر الله سبحانه وتعالى، وبهذا فأن تاريخ السعي يعود إلى عهد النبي إبراهيم . وأن الجاهليين وضعوا عليها صنمين هما أساف ونائلة هذا الأمر دفع بعض المسلمين إلى التحرج من الطواف بينهما ولكن القرآن الكريم بين أن السعي هو من شعائر الله التي سنها إبراهيم

الخليل ، وأن الجاهليين قد وضع تلك الأصنام على الجبلين وبعد رفع الاصنام أصبح السعي واجبًا. بينما يعتقدون أنها من شعائر الجاهلية التي ورثها الإسلام وليس لها أصل إبراهيمي .

١٣) إنَّ الصفا والمروة تاريخ حي وشاهد على تلك المعالم والآثار التي تخلد شعيرة الحج تاريخ مكة الغارق في القدم وكذلك يستفاد أنها كانت مقدسة منذ أقدم العصور وقدسيتها تلك ليست حكرًا على المسلمين بل حتى العرب الوثنيين كانوا يقدسونها.

١٤) حادثة أصحاب الفيل وردت في القرآن الكريم وهي حادثة تاريخية قطعية ، حصلت في عهد قريب على الإسلام ، وكانت مؤثرة على مكة لدرجة أنها أتُخذت كتاريخ عند أهل مكة . وأن هناك من المفسرين أعطى صفة طبيعية للحادثة وأعتبر هلاك أصحاب الفيل كان بسبب داء الجدري ، بينما يرفض جمهور المفسرين هذه الآراء ويعدون الحادثة أعجاز أجراه الله تعالى . بينما شكك المستشرقون بالحادثة وأدعوا عدم واقعية حدوثها ، وينفون أي هجوم لإبرهة على مكة .

الفصلُ الثَّالث

البعدُ الدِّينيّ لمكَّةَ في الإسلام بينَ المفسِّرينَ والمستشرقينَ

- المبحثُ الأوَّلُ: البعدُ الدِّينيّ لمكَّة في الإسلام عند المفسِّرينَ
- المبحثُ الثَّاني: البعدُ الدِّينيّ لمكَّة في الإسلام عند المستشرقينَ

توطئة: قدست مكة المكرمة في عصور قديمة سبقت الإسلام ، وعندما جاء الإسلام أبرز مكانتها وقدسيتها بشكل لا لبس فيه وقد أقر الإسلام قدسيتها وأتخذ من البيت الحرام في مكة المكرمة قبلة له وأكد على الحج إليها وحرمتها وما تصريح آيات القرآن الكريم الكثيرة حولها الا دليل على قدسيتها وعلو شأنها وأهميتها في الإسلام. وفي ظل الإسلام صارت مكة (البلد الأمين) بلد الرسالة ومهبط الوحي وبلد شع منه نور الإسلام ليبلغ الآفاق وليعلن هويته للناس هويته الإسلام ورحابه الأمن وجواره الخير والبركة. وقد أختص الله هذه الأرض المباركة بمميزات عن غيرها من أرض الله ، إذ فيها بيت الله العتيق ، أول بيت وضع للناس. ومكة لها اهمية كبيرة في تاريخ العرب والاسلام إذ إنها كانت من أكبر المراكز الدينية في الجزيرة يؤمها عدد كبير من العرب من مختلف ارجاء الجزيرة للحج وزيارة الكعبة كما كانت مركزاً تجارياً كبيراً وقد أسهم أهلها في التجارة وهذا مما ساعد أهلها على الاطلاع على أحوال البلاد الاخرى ووسع أفق نظرهم كما أدى الى ظهور مؤسسات إدارية فيها.

وفي مكة ولد رسول الله (صلى الله عليه واله) وعاش وبلغ رسالته لمدة ثلاث عشرة سنة وكانت لأوضاعها الدينية والاجتماعية أثر كبير في تاريخ الإسلام وقد عارض معظم أهل مكة الدعوة الاسلامية وأشغلوا الرسول (ص) فترة من الزمن فلما أتم فتح مكة انضمّ اهل مكة الى الاسلام . وجود الكعبة فيها وهي بيت الله الحرام . إن أعداد من العرب كانت سنوياً ترحل الى مكة للحج وزيارة بيت الله الحرام وبالنظر لمكانة الكعبة وأهميتها فقد عنى بها اهل مكة وأعاد بناءها قبيل البعثة النبوية وكانوا يشرفون على عمارة البيت كما عنى اهل مكة بأمر الحج فأعتبروا الاشهر التي يتم فيها الحج مقدسة ولا يجوز القتال فيها وذلك لكي يؤمّنوا مجيء الحجاج كما إنهم كانوا يوفرون الماء والطعام للحجاج .

فمن الطبيعي أن يستهدفها أعداء الإسلام ويرموا بسهام شكهم وادعاءاتهم عليها فهي مهد الإسلام وقد وجه المستشرقون دراستهم حولها فدرسوا كل ما يتعلق من طقوس أقرها الإسلام وشككوا في أصالة الكثير الطقوس فيها .

المبحثُ الأوَّلُ

(البعدُ الدِّينيّ لمكَّة في الإسلام عند المفسِّرينَ)

المطلبُ الأوَّلُ: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بالقبلة والحجّ

المطلبُ الثَّاني: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بالشَّهر الحرام والنَّسيء

المطلبُ الأوَّلُ: النُّصوص القرآنيّة المتعلّقة بالقبلة والحجّ

الفرعُ الأوَّلُ: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بتحويل القبلة

لم يكن قد مضى على هجرة النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) إلى المدينة المنورة عدة أشهر إلا وبدأت نغمة معارضة اليهود للنبيّ صلّى اللّه عليه وآله تظهر شيئاً فشيئاً وفي الشهر السابع عشر من الهجرة بالضبط أمر اللّه تعالى نبيَّه (صلّى اللّه عليه وآله) بالأمر المؤكَّد القاطع بأن يتحول إلى الكعبة ويتخذها من الآن فصاعداً قبلةً له وللمسلمين كافة، فيتوجهون الى المسجد الحرام في أوقات الصلوات[1].

أوَّلاً: التَّوجه إلى البيت المقدس

صلّى رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) ثلاثةَ عَشَر عامًا كاملة في مكة نحو بيت المقدس. وبعد الهجرة الى المدينة بقي على الحالة من حيث القبلة، أي يصلي الى بيت المقدس، وقد كان هذا الاجراء نوعاً من المحاولة لإقامة التعاون والتقارب بين الدينين القديم والجديد، ولكن تنامي قوة المسلمين واشتداد ساعدهم أحدث رعباً كبيراً، وأوجد قلقاً واسعاً في أوساط اليهود القاطنين في المدينة لأن تقدّم الاسلام والمسلمين المطّرد كان يدلّ على أن الدين الاسلامي سيعمّ في أقرب وقت كل أنحاء شبه الجزيرة العربية، وستتقلّص (بل تزول) في المقابل قوة اليهود وسلطانهم، ومكانتهم، من هنا نصب أحبارُ اليهود العداوة لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، وعمدوا إلى ممارسة سلسلةٍ مِن الأعمال الإجهاضية والإيذائية ، لقد أخذوا يؤذون رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله والمسلمين بمختلف أنحاء الطرق وبشتى الوسائل والسبل، والمعاذير والحجج ومن جملتها التذرع بقضيّة صلاة النبيّ صلّى اللّه عليه وآله والمسلمين الى بيت المقدس. فكانوا يقولون معيّرين إياه: أنتَ تابع لنا تصلي الى قبلتنا!! أو كانوا يقولون: تخالفنا يا محمد

(١) ظ: ابن سعد، الطبقات الكبرى:١/ ٢٤١ –٢٤٢؛ ويقول ابن هشام في السيرة النبوية: أن القبلة صُرِفت عن الشام إلى الكعبة في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله المدينة (السيرة النبوية: ١/ ٦٠٦) ويرى ابن الاثير أن ذلك حدث في منتصف شهر شعبان (الكامل: ٢/ ٨٠).

في ديننا وتتبع قبلتنا، فشق هذا الكلام على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وأغتم لذلك غمًا شديدًا فكان يخرج من بيته في منتصف الليل ويتطلع في آفاق السماء ينتظر من اللّه أمرًا ووحيًا(١).

وفي القران الكريم جاء أمر تغيير القبلة في سورة البقرة وهي سورة مدنية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٢). قال المفسرون إن الآيات تأمر الرسول والمسلمين بالتوجه الى البيت الحرام وجعله قبلة لهم في صلاتهم بعد ما كانوا يتوجهون نحو بيت المقدس، وبهذا فقد جعلت الكعبة قبلة للمسلمين(٣).

وذهب المفسرون أنَّ من دواعي التوجه إلى البيت هي إنما أُمر الرسول (صلى الله عليه واله) بالصلاة الى بيت المقدس لأن مكة وبيت اللّه الحرام كانت العرب آلفة بحجها فأراد اللّه أن يمتحن بغير ما آلفوه ليظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه(٤). إنَّ من دواعي التوجه إلى البيت المقدس في أول الامر:((أن الكعبة كانت مشغولة في صدر الإسلام بأصنام المشركين و أوثانهم و كان السلطان معهم، والإسلام لم يقو بعد بحيث يظهر قهره وقدرته، فهدى الله رسوله إلى استقبال بيت المقدس، لكونه قبلة لليهود، الذين هم أقرب في دينهم من المشركين إلى الإسلام، ثم لما ظهر أمر الإسلام بهجرة رسول الله إلى المدينة، وقرب زمان الفتح وتوقع تطهير البيت من أرجاس الأصنام جاء الأمر بتحويل القبلة وهي

---

(١) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٥٢٩/٢، القمي/ تفسير القمي، ٢/٦، الطبرسي/ مجمع البيان، ٢٥٥/١، الثعلبي/ الكشف والبيان ، ٢٥٩/١، السيوطي/ الدر المنثور ، ٢٨٨/١.

(٢) البقرة / ١٤٢ – ١٤٥.

(٣) ظ: الطوسي/ التبيان، ١٢/٢، الرازي/ مفاتيح الغيب ، ٣٨٧/٢، السيوطي/ الدر المنثور، ٢٨٢/١

(٤) ظ: الطبرسي/ مجمع البيان، ١/ ٢٢٢ –٢٢٣.

النعمة العظيمة التي اختص بها المسلمون، ووعد في آية التحويل إتمام النعمة والهداية وهو خلوص الكعبة من أدناس الأوثان، تعينها لأن تكون قبلة يعبد الله إليها، ويكون المسلمون هم المختصون بها، وهي المختصة بهم، فهي بشارة بفتح مكة، ثم لما ذكر فتح مكة حين فتحت أشار إلى ما وعدهم به من إتمام النعمة و البشارة بقوله ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما الآية))[١]. وإن اعلان بيت المقدس كقبلة أولى أزال عن الاسلام الطابع القومي ، وأسقط اعتبار الأصنام المتواجدة في الكعبة[٢].

وفي صدد جعل البيت المقدس قبلة مؤقتة للمسلمين يقول أحد المفسرين المعاصرين:((لقد كان تحويل القبلة أولاً عن الكعبة إلى المسجد الأقصى لحكمة تربوية أشارت إليها آية في هذا الدرس ... فقد كان العرب يعظمون البيت الحرام في جاهليتهم ، ويعدونه عنوان مجدهم القومي. ولما كان الإسلام يريد استخلاص القلوب لله ، وتجريدها من التعلق بغيره ، وتخليصها من كل نعرة وكل عصبية لغير المنهج الإسلامي المرتبط بالله مباشرة ، المجرد من كل ملابسة تاريخية أو عنصرية أو أرضية على العموم . فقد نزعهم نزعاً من الاتجاه إلى البيت الحرام ، واختار لهم الاتجاه – فترة – إلى المسجد الأقصى ، ليخلص نفوسهم من رواسب الجاهلية ، ومن كل ما كانت تتعلق به في الجاهلية ، وليظهر من يتبع الرسول اتباعاً مجرداً من كل إيحاء آخر ، اتباع الطاعة الواثقة الراضية المستسلمة ، ممن ينقلب على عقبيه اعتزازاً بنعرة جاهلية تتعلق بالجنس والقوم والأرض والتاريخ؛ أو تتلبس بها في خفايا المشاعر وحنايا الضمير أي تلبس من قريب أو من بعيد))[٣]. اذاً يرى أن اتخاذ بيت المقدس قبلة مؤقتة للمسلمين كانت له غايات هو تخليص مشاعر العرب من التلبس القديم الذي تلبس بالكعبة وهو الشعور القومي تجاه الكعبة فاراد الاسلام تخليصهم من ذلك الامر أي التخلص من كل رواسب الجاهلية ووشائجها وان يتجردون من كل سماتهم القديمة، وان تتعرى نفس المسلم من كل رداء لبسته في الجاهلية ومن كل شعار أتخذته وان ينفرد في حسها شعار الاسلام وحده لا يتلبس به شعار اخر، وحين تخلصوا من تلك الرواسب اعاد الله لهم قبلتهم التي يحبونها ويحنون اليها[٤].

---

(١) محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٩١/١.

(٢) ظ: ناصر مكارم الشيرازي/الأمثل، ٤١٦/١

(٣) سيد قطب/ في ظلال القران، ٩٥/١.

(٤) ظ: المصدر نفسه ، ١٠١/١.

ثانيًا: التَّوَجُّهُ إلى المسجدِ الحرام

ذهب بعض المفسرين إلى القول أن دواعي تغيير القبلة الى الكعبة يكمن في أمور هي:((أن الأمر الأول مقرون بإكرامه إياهم بالقبلة التي كانوا يحبونها وهي قبلة أبيهم إبراهيم عليه السلام والثاني مقرون بقوله تعالى :﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[1]، أي: لكل صاحب دعوة وملة قبلة يتوجه إليها فتوجهوا أنتم إلى أشرف الجهات التي يعلم الله تعالى أنها حق وذلك هو قوله ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ [2]. والثالث مقرون بقطع الله تعالى حجة من خاصمه من اليهود في أمر القبلة فكانت هذه عللاً ثلاثاً قرن بكل واحدة منها أمر بالتزام القبلة نظيره أن يقال : ألزم هذه القبلة فإنها القبلة التي كنت تهواها ، ثم يقال : ألزم هذه القبلة فإنها قبلة الحق لا قبلة الهوى ... ثم يقال : إلزم هذه القبلة فإن في لزومك إياها انقطاع حجج اليهود عنك ...))[3].

أختلف المفسرون في السبب الذي كان من أجله يهوي رسول الله الكعبة على وجوه هي[4]: الأول: كره قبلةَ بيت المقدس، من أجل أن اليهودَ قالوا: يتَّبع قبلتنا ويُخالفنا في ديننا، عن مجاهد. والثاني: لأنها كانت قبلة ابيه إبراهيم وقبلة آبائه عن ابن عباس. والثالث: قيل ان اليهود قالوا ما درى محمد واصحابه اين قبلتهم حتى هديناهم. والرابع: قيل ان العرب كانوا يحبون الكعبة ويعظمونها فكان في التوجيه اليها استمالة لقلوبهم . إنَّ جميع الأوجه محتمله الورود:" ويحتمل أن يكون إنما أحب ذلك لجميع هذه الوجوه إذ لا تنافي بينها وقوله (فلنولينك قبلة ترضيها)، أي: فلنصرفنك إلى قبلة تريدها وتحبها وإنما أراد به محبة الطباع لا أنه كان يسخط القبلة الأولى "[5].

وهناك من يرى أن السبب الذي من أجله يهوى الرسول الكعبة لأن طبعه كان يميل اليها فهي كانت أحب إليه من بيت المقدس بحسب الطبع وان الحكمة والمصلحة ايضاً وافقت ميل طبع الرسول

---

(١) البقرة / ١٤٨.

(٢) البقرة/ ١٤٩.

(٣) الرازي/ مفاتيح الغيب، ٤٣٤/٢.

(٤) ظ: الطبري/ جامع البيان، ١٧٣/٣، الماوردي/ النكت والعيون، ١٠٣/١، الطوسي/ التبيان، ١٢/٢، الطبرسي/ مجمع البيان، ٣٨٤/١.

(٥) الطبرسي/ مجمع البيان، ٣٨٤/١.

نحو الكعبة، ولهذا جاء أمر التغيير لان الحكمة الإلهية والمصلحة اقتضت وكذلك طبع الرسول كان يميل نحوها[١].

وذهب بعض المفسرين أن النبي كان يقلب وجه في السماء وسبب ذلك كان انتظاراً منه أو توقعاً لنزول الوحي في أمر القبلة، فهو موعود من الله بقبلة تختص به ، لا أنه لا يرتضي بيت المقدس قبله[٢]، فان قيل أن الرسول كان لا يرتضي بيت المقدس قبله وهذا لا يجوز ولم يكن الرسول كذلك لأن الأنبياء يجب عليهم الرضا بأوامر الله تعالى ، بل أن الرسول(صلى الله عليه واله) كان ينظر الى السماء لأنه موعود من الله بتغيير القبلة[٣].

ويُستفاد من الآيات القرآنية في هذا المجال أنه كان لتغيير القبلة مضافاً إلى الردّ على دعوى اليهود سببُ آخر أيضاً، وهو أن هذه المسألة كانت من المسائل الاختيارية التي أراد اللّه تعالى بها أن يمتحن المسلمين، ويميّز المؤمن الواقعي الحقيقي عن أدعياء الايمان، المنتحلين له كذباً ونفاقاً، وأن يعرف النبيّ صلّى اللّه عليه وآله به من حوله معرفة جيدةً لأن إتباع النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله) في الأمر الثاني الذي نزل على رسول الله (صلّى اللّه عليه وآله) في أثناء الصلاة (وهو التوجه إلى المسجد الحرام) كان علامة قوية من علامات الايمان والتسليم، والاخلاص والوفاء للدين الجديد، بينما كانت مخالفته علامةً قويةً من علامات النفاق والتردّد كما يصرّح القرآن الكريم بنفسه بذلك اذ يقول ﴿ وَما جَعَلنا القِبلة التي كُنتَ عَلَيها إلا لِنَعلَم مَنْ يَتّبعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلى عَقِبَيهِ وإن كانَت لَكَبيرَة إلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّه ﴾[٤][٥].

ومن المعروف أنه يمكن الوقوف على حِكَم أُخرى لتغيير القبلة، إذا تتبعنا تاريخ الاسلام بشكل أوسع، وطالعنا أوضاع شبه الجزيرة العربية ويمكن الاشارة الى بعض هذه الحِكَم من خلال ما ذكره المفسرون: الأولى: إن الكعبة التي رفعت قواعدها على يَدَي بطل التوحيد وناشر لوائه النبيّ ابراهيم الخليل (عليه السلام) كانت موضع احترام وتقديس من المجتمع العربي، فقد كان العرب يحبون الكعبة

(١) ظ: الرازي/ مفاتيح الغيب، ٤٠٥/٢، محمد حسين الطباطبائي / الميزان، ١٨٩/١.
(٢) الطوسي/ التبيان، ١٢/٢.
(٣) ظ: الماوردي/ النكت والعيون، ١٠٣/١.
(٤) البقرة / ١٤٣.
(٥) ظ: السيوطي/ الدر المنثور، ٢٨٢/١، محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٨٨/١.

ويعظمونها غاية التعظيم على ما هم عليه من الشرك والفساد، فكان اتخاذه قبلة من شأنه كسب رضا العرب، واستمالة قلوبهم، وترغيبهم في الاسلام تمهيداً لاعتناق دين التوحيد ونبذ الاوثان والاصنام(١).

نلحظ إنَّها حكمة بليغة وأيّ هدفٍ، وأية غاية ترى أسمى وأجلُّ من أن يؤمن المشركون المعاندون المتخلفون عن ركب الحضارة والمدنية، وينتشر الاسلام بسببهم في كل أنحاء العالم.

الثانية: إنَّ الابتعاد عن اليهود الذين لم يكن يؤمل في إذعانهم للإسلام، وإيمانهم برسالة الرسول الأعظم(صلى الله عليه واله) ذلك اليوم كان يبدو أمراً ضرورياً، لأنهم كانوا يقومون بأعمال إيذائية ضد الاسلام والمسلمين ويطلعون على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله بين الفينة والأُخرى بأسئلة عويصة يشغلونه بها، يظهرون بها – حسب تصورهم – أنهم يعرفون أُموراً كثيرة وأنهم علماء، وبذلك يضيّعون على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله الوقت، ويشغلونه عن مهامه الكبرى فكان تغيير القبلة واحداً من مظاهر الابتعاد عن اليهود واجتنابهم، تماماً مثل نسخ صوم يوم عاشوراء الذي تم لنفس هذا الغرض (٢).

وقد أختلف المفسرون في المكان الذي أمر الله الرسول(صلى الله عليه واله) أن يولي وجه اليه من المسجد الحرام ، فقد ذهب قسم انه ولى وجه حيال ميزاب الكعبة ، وقسم أخر الكعبة أي نحوها، وقسم ثالث فقد قالوا وسط المسجد منتصفه، أي: باتجاه الكعبة لأنها في وسط المسجد ، وقسم رابع قالوا شطر المسجد أي جهته(٣).

---

(١) ظ: الماوردي/ النكت والعيون، ١٠٣/١، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣٨٨/٢، سيد قطب/ من وحي القران، ٩٥/١.

(٢) ظ: الطبري/ جامع البيان، ١٧٣/٣، ابن كثير/ تفسير القران العظيم، ٣٩١/١، الماوردي/ النكت والعيون، ١٠٣/١، الطبرسي/ مجمع البيان، ٣٨٣/١، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣٨٨/٢، ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ١٣/٢، سيد قطب/ في ظلال القران، ٩٤/١.

(٣) ظ: الطبري/ جامع البيان، ١٧٩/٣، الطبرسي/ مجمع البيان، ٣٨٤/١، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٤٠٦/٢، الشوكاني/ فتح القدير، ١٩٩/١.

والصواب عند الطبري هو أن يولي وجه نحو البيت الحرام[١]، وعند الطباطبائي شطر المسجد الحرام هو الكعبة[٢]. وعند جمهور مفسري مدرسة أهل البيت:" ... الحرم كله مسجد. وهذا مثل قول أصحابنا أن الحرم قبلة من كان نائيا عن الحرم من أهل الآفاق "[٣].

وذهب بعض المفسرين إلى أن هناك التفاته في قوله شطر المسجد :((يثير الإلتفات أن الآية لم تأمر المسلمين أن يصلوا تجاه الكعبة، بل شطر المسجد الحرام. لعل ذلك يعود إلى صعوبة بل تعذّر محاذاة الكعبة على المصلين البعيدين عن الكعبة. لذلك ذكر المسجد الحرام بدل الكعبة لأنه أوسع، ثم كلمة (شطر) تعني السمت والجانب، وبذلك كان الإتجاه شطر المسجد الحرام عملا ميسوراً للجميع، وخاصة لصفوف الجماعة الطويلة التي يزيد طولها غالباً على طول الكعبة. بديهي أن المحاذاة الدقيقة للكعبة . وحتى للمسجد الحرام . عمل صعب على المصلين البعيدين، لكن الوقوف شطره يخلو من كل صعوبة))[٤].

يتحصل أن أغلب المفسرين يذهبون إلى أن الشطر يعني نحو المسجد الحرام، أي: باتجاهه. تناول المفسرون مواضيع عدة في شأن القبلة والنسخ فيها، منها اية قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٥]، منسوخه بآية التوجه الى المسجد الحرام ، أي: إنَّ هناك نسخ في شأن القبلة وذهب في هذا الاتجاه أبرز المفسرين[٦]، قال ابن عباس:" أول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا شأن القبلة وقال قتادة نسخت هذه الآية ما قبلها وقال جعفر بن مبشر هذا مما نسخ من السنة بالقرآن "[٧].

---

(١) ظ: الطبري/ جامع البيان، ١٧٩/٣.

(٢) ظ: محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٨٩/١.

(٣) الطبرسي/ مجمع البيان، ١٣/٢.

(٤) ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل، ٤١٥/١.

(٥) البقرة/ ١١٥.

(٦) منهم: الثعلبي/ الكشف والبيان، ٢٥٩/١، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٤٠٥/٢، ابن كثير/ تفسير القران العظيم، ٣٩١/١، السيوطي/ الدر المنثور، ٣٨٧/١.

(٧) الطبرسي/ مجمع البيان، ٣٨٤/١.

وهناك رأي يرى إنه لا نسخ فيها، بل فيها في المسألة عموم وخصوص، فيقول:((فأما القول في هذه الآية ناسخة أم منسوخة ، أم لا هي ناسخة ولا منسوخة؟ فالصواب فيه من القول أن يقال: إنها جاءت مجيء العموم ، والمراد الخاص ، وذلك أن قوله ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ ، محتمل: أينما تولوا – في حال سيركم في أسفاركم ، في صلاتكم التطوع ، وفي حال مسايفتكم عدوكم ، في تطوعكم ومكتوبتكم ، فثم وجه الله ، كما قال ابن عمر والنخعي ، ومن قال ذلك ممن ذكرنا عنه آنفا))[١].

والرأي الراجح عند الطبرسي أن النسخ حصل من السنة بالقرآن، لأنه ليس في القرآن ما يدل على التعبد بالتوجه إلى بيت المقدس ومن قال إنها نسخت قوله ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ يقول فإن هذه الآية عندنا مخصوصة بالنوافل في حال السفر روي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهم السلام) وليست بمنسوخة[٢]. لكن أحد المفسرين المعاصرين يرى أنه لا يوجد نسخ في آيات القبلة، يقول:((الآيات مترتبة متسقة منتظمة في سياقها على ما يعطيه التدبر فيها وهي تنبىء عن جعل الكعبة قبلة للمسلمين فلا يصغى إلى قول من يقول إن فيها تقدما وتأخرا أو إن فيها ناسخا ومنسوخا، وربما رووا فيها شيئا من الروايات، ولا يعبأ بشيء منها بعد مخالفتها لظاهر الآيات))[٣].

أمَّا مسألة صلاة النبي إلى بيت المقدس فهي الأخرى أختلف فيها، وقد وردت فيها أقوال:((واختلف الناس في صلاة النبي (صلى الله عليه وآله) إلى بيت المقدس فقال قوم: كان يصلي بمكة إلى الكعبة، فلما صار بالمدينة أمر بالتوجه إلى بيت المقدس سبعة عشر شهرا ثم أعيد إلى الكعبة. وقال قوم: كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينها ولا يصلي في غير المكان الذي يمكن هذا فيه. وقال قوم: بل كان يصلي بمكة، وبعد قدومه المدينة سبعة عشر شهرا إلى بيت المقدس، ولم يكن عليه ان يجعل الكعبة بينه وبينها، ثم أمره الله بالتوجه إلى الكعبة))[٤].

---

(١) الطبري / جامع البيان، ٥٣٣/٢.

(٢) ظ: الطبرسي / مجمع البيان، ٣٨٤/١.

(٣) محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٨٤/١.

(٤) الطوسي/ التبيان، ١٦/٢؛ وذكر تلك الاقوال ايضاً الطبرسي في مجمع البيان/ ٣٨٥/١، وابن كثير في تفسيره ورد اقوال في هذا الشأن . ظ: ٤٣٥/١

وقد ورد تكرار في قوله(فول وجهك شطر المسجد الحرام) في ثلاث آيات ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[1]. ثم ذكر ثانياً قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[2] وذكر ثالثاً قوله: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾[3].

وللعلماء في التكرار أقوال:((أحدها : أن الأحوال ثلاثة ، أولها : أن يكون الإنسان في المسجد الحرام . وثانيها : أن يخرج عن المسجد الحرام ويكون في البلد . وثالثها : أن يخرج عن البلد إلى أقطار الأرض ، فالآية الأولى محمولة على الحالة الأولى ، والثانية على الثانية ، والثالثة على الثالثة ، لأنه قد كان يتوهم أن للقرب حرمة لا تثبت فيها للعبد ، فلأجل إزالة هذا الوهم كرر الله تعالى هذه الآيات))[4].

وذهب صاحب الميزان إلى أن:((تكرار الجملة الأولى بلفظها لعله للدلالة على ثبوت حكمها على أي حال، فهو كقول القائل، اتق الله إذا قمت واتق الله إذا قعدت، واتق الله إذا نطقت، واتق الله إذا سكت، يريد: التزم التقوى عند كل واحدة من هذه الأحوال و لتكن معك، ولو قيل اتق الله إذا قمت وإذا قعدت وإذا نطقت وإذا سكت فاتت هذه النكتة، والمعنى استقبل شطر المسجد الحرام من التي خرجت منها وحيث ما كنتم من الأرض فولوا وجوهكم شطره))[5].

ويرى آخرون أن التكرار إنَّما جاء لمعالجة حالة وقعت في الصف الإسلامي استدعت هذا التكرار وذلك بسبب ضخامة حملة الاضاليل والاباطيل التي اطلقها اليهود من جهة والمشركين من جهة أخرى

(١) البقرة / ١٤٤.
(٢) البقرة / ١٤٥.
(٣) البقرة / ١٥٠.
(٤) الرازي/ مفاتيح الغيب ، ٤٣٣/٢.
(٥) محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٩١/١.

وقد أثرت في بعض القلوب والنفوس وقد عالج القران الكريم هذا الأثر، ثم تبقى هذه النصوص على مدى تعالج مثل هذه الحالة في شتى صورها[١].

قد ذكر بعض المفسرين أن تحويل الْقِبْلَةِ مُقَدِّمَةً لَهُ قوله تعالى بَعْدَ ذكر فتح مَكَّةَ فِي سورة الفتح ﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[٢]، فكان فِي الْآيَةِ بِشَارَةٌ بِفتح مَكَّةَ مع أشتمال قوله تعالى في سورة الفتح مع ما ذكر فتح مكة بقوله ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾[٣]، ليدل على كونها مشتملة على فتح مكة، وأن الله (عزوجل) قد وعد رسوله بفتح مكة وتطهير البيت وتحويل القبلة الى الكعبة ، فهي بشارة بفتح مكة وأتمام النعمة عليهم[٤].

وعلى كل حال فان الإسلام الذي يتفوق على جميع الأديان، يجب أن تتجلى فيه هذه الحقيقة بحيث يغدو أمرة تكامله وتفوقه بادياً للعيان، واضحاً للجميع ، وفي هذه الحالة تصوَّر بعض المسلمين أن ما أتوا به من صلاة وعبادة وهم متجهون إلى بيت المقدس كان باطلاً إذ قالوا: كيف بأعمالنا التي كنا نعمل في قبلتنا الأولى، أو حال من مضى من أمواتنا وهم كانوا يصلون الى بيت المقدس؟! فنزل الوحيُ الإلهيُ يقول﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٥]، فقد طمأن الله المسلمين المسلمين على إيمانهم وعلى صلاتهم، وانهم ليسوا على ضلال وان صلاتهم لم تضع[٦].

ومع ملاحظة هذه الاعتبارات وبينما كان الرسول (صلّى اللّه عليه وآله) قد أنتهى من الركعة الثانية من صلاة الظهر، نزل عليه جبرئيل، وأمره بأن يتوجه بالمصلّين معه حدبَ المسجد الحرام ، وجاء في بعض الاخبار أَنّ جبرئيل أخذ بيد الرسول (صلّى اللّه عليه وآله) وأداره نحو المسجد الحرام، فتبعه الرجال والنساء الذين كانوا يأتمون به في المسجد ، فتحوّل الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال

---

(١) ظ: سيد قطب/ في ظلال القران، ١٠٥/١.

(٢) الفتح /٢.

(٣) الفتح /١.

(٤) ظ: محمد الطباطبائي/ الميزان، ١٩١/١، محمد رشيد رضا/ المنار، ٢١/٢-٢٢.

(٥) البقرة /١٤٣.

(٦) ظ: سيد قطب/ في ظلال القران، ١٠٢/١.

فكان أول صلاته الى بيت المقدس، وآخرها الى الكعبة ، ومنذ ذلك الحين جعلت الكعبة المعظمة قبلة مستقلة للمسلمين يتوجهون اليها في كثير من واجباتهم وشعائرهم الدينية(١).

هذا والغريب أن اليهود الذين كانوا قبل نزول الأمر بالتحوّل من بيت المقدس الى الكعبة المعظمة يفتخرون على المسلمين بأنهم يصلّون على قبلة اليهود، لما حُوّل المسلمون إلى الكعبة المعظمة، وأُمروا بالصلاة اليها دون بيت المقدس أخذوا يعيبون على المسلمين التوجه إلى نقطة ما في الأرض فردّ اللّه عليهم بقوله ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾(٢). أي أن اللّه فوق الزمان والمكان، والتوجه إلى نقطة خاصة في حالة العبادة أنما هو لمصالح اجتماعية خاصة فالصلاة الى الكعبة توجّه الى اللّه كالصلاة الى بيت المقدس سواء بسواء(٣).

ذكر المفسرون ايضاً أن أهل الكتاب كانوا يعلمون بأمر القبلة وكانوا يعرفون أن الرسول سيبعث من ذرية إسماعيل من إبراهيم وأن قبلته ستكون الكعبة ولكنهم يخفون هذا الأمر عدوانا منهم ويكتمون ما جاء في كتبهم في شأن تغيير قبلة نبي الإسلام، وأن تغيير القبلة من علامات الرسول الموجودة في كتبهم(٤).

إنَّ النّبي(صلى الله عليه وآله وسلم) كان مرتبطاً بالكعبة إرتباطاً خاصاً، ومنتظراً لأمر تغيير القبلة، ولعلنا نستطيع أن نتلمس سبب ذلك في إرتباطه (صلى الله عليه وآله وسلم) بإبراهيم(عليه السلام)، أضف إلى ذلك أن الكعبة أقدم قاعدة توحيدية، وأنه(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يعلم بوقوع هذا التغيير، وكان يترقب حدوثه(٥).

ونلحظ أنَّ ارتباط الرسول الأعظم بالكعبة يستفاد منه أمور عدة وهو أن الإسلام والدين الذي جاء به هو استمرار لما جاء به إبراهيم الخليل ، إضافة لذلك اتخاذ القبلة الكعبة هي استقلال مطلق للإسلام

---

(١) ظ: القمي/ تفسير القمي، ٢/٦، الطبرسي/ مجمع البيان، ٣٧٧/١، الطباطبائي/ الميزان، ١٩٢/١، الشنقيطي/ البحر المديد، ١١٦/١.

(٢) البقرة /١٤٢.

(٣) ظ: الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣٨٧/٢، ابن كثير/ تفسير القران العظيم، ٣٩١/١، السيوطي/ الدر المنثور، ٣٧٩/١، محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٨٥/١.

(٤) ظ: الطبرسي/ مجمع البيان، ٣٨٤/١، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٤٣٣/٢، ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل، ٤١٤/١.

(٥) ناصر مكارم الشيرازي/الأمثل، ٤١٥/١.

عن بقية الأديان وكونه الدين الخاتم الذي يجب على الجميع اتباعه ، فان الاختصاص والتمييز ضروريان للإسلام فقد اختص الإسلام بدين إبراهيم وتميز بقبلته الكعبة.

ولهذا يقول أحد المفسرين المعاصرين :((وقد شاء الله أن يعهد بالوراثة إلى الأمة المسلمة ، وقد أبى أهل الكتاب أن يفيئوا إلى دين أبيهم إبراهيم – وهو الإسلام – فيشاركوا في هذه الوراثة. الآن يجيء تحويل القبلة في أوانه . تحويلها إلى بيت الله الأول الذي بناه إبراهيم . لتتميز للمسلمين كل خصائص الوراثة . حسيها وشعوريها ، وراثة الدين ، ووراثة القبلة ، ووراثة الفضل من الله جميعاً))[١]. ويرى أن الجماعة المسلمة التي تتجه الى قبلة متميزة يجب ان تدرك ان القبلة ليست مجرد مكان او جهة يصلون اليها وان المكان والجهة ليس سوى رمز، رمز للتميز والاختصاص وتميز الشخصية وتميز الهدف والكيان[٢].

يرى الباحث أن تغيير القبلة جاء لضرورة من ضرورات الدين اقتضتها المصلحة الإلهية اولاً ، وقد وافقت تلك المصلحة رغبت الرسول الأعظم ، من تخصيص قبلة مستقلة للمسلمين القبلة التي كانوا يقدسونها حتى قبل بعثة الرسول وكذلك تميز الإسلام بكونه دين إبراهيم الخليل وتابع قبلته ، ويمكن لنا ان نعرف الحكمة التي اقتضت تغيير القبلة من الحملات التي شنت على الإسلام بغية تشويهه من المستشرقين الذين وجدوا فيها مادة للتشكيك في الإسلام واصالته .

الفرعُ الثَّاني: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بحجّ البيت

ورد الحج في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة ، منها إحدى عشرة مرة بلفظ الحج[٣]، ومرة بلفظ الحاج[٤]، ومرة بلفظ الحجج[٥]. منها: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ

(١) سيد قطب/ في ظلال القران ، ٩٧/١.

(٢) ظ: المصدر نفسه ، ٩٩/١.

(٣) حيث ذكر لفظ الحج ثمان مرات في سورة البقرة/ ١٥٨، ١٨٩، في ثلاث مواضع من الاية، ١٩٦،أيضا في ثلاث مواضع من الاية ١٩٧، وال عمران/ ٩٧، والتوبة/ ٣، الحج/ ٢٧.

(٤) في سورة التوبة اية/ ١٩.

(٥) في سورة القصص اية/ ٢٧.

فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[1] ، وقوله تعالى ﴿ فِيهِ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[2]،

الْحَجُّ لغة: بِفتح الحاء ويجوز كَسرها، هُوَ لُغَةً القصد، حَجَّ إلينا فلاَنٌ: أَي قدم، وَحَجه يحجه حَجًّا: قَصَدَهُ. ورجلٌ محجوجٌ، أَي مقصودٌ ، والْحَجُّ: الْقَصْدُ لِمُعَظَّمٍ ، وكثرة الاختلاف والتردد وحججت فلاناً اذا أتيته مرة بعد مرة ، وقيل حج البيت لأنهم يأتونه كل سنة[3]." الحج: القصد والسير إلى البيت خاصة. تقول حَجَّ يَحُجّ حَجًّا قال: والحَجّ قضاء نُسُكِ سنة واحدة "[4]. إنَّ في حج أصول أربعة، فالأوّل: القصد ، وكلّ قصد حجّ ، ثمّ اختصّ بهذا الاسم القصد إلى بيت اللّه الحرام للنسك ، والأصل الآخر: الحجّة وهي السنة، وقد يمكن أن يجمع الى الأصل الأوّل، لأنّ الحجّ في السنة لا يكون إلّا مرّة واحدة، فكأنّ العام سمّي بما فيه من الحجّ حجّة. والأصل الثالث: الحجاج وهو العظم المستدير حول العين. والأصل الرابع : الحججة : النكوص[5]. وفي تحقيق لفظة الحج جاء في القران الكريم بمعنى قضاء المناسك لا القصد المطلق، يقول:((أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة هو القصد الملازم للحركة والعمل . والحجّ : هو القصد مع عمل مخصوص وحركة، وهي المناسك، وهذا المعنى الخاصّ هو الحقيقة الشرعيّة كالصلاة والزكاة. فلا يطلق الحاجّ على مطلق من يقصد هذا العمل، بل إذا بلغ الى حدّ المناسك وعمل بها سالكا لقضائها :﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾[6]...، ﴾[6]...، . ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ ﴾[7]...،. ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾[8]....﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ

(١) الحج /٢٧.
(٢) آل عمران: ٩٧.
(٣) ظ: الفراهيدي/ العين، ١٦٣/١، تهذيب اللغة، ٤٢٠/١، الزبيدي / تاج العروس، ١٣٥٠/١.
(٤) الجوهري/ تهذيب اللغة، ٤٢٠/١.
(٥) ظ: ابن فارس/ مقاييس اللغة، ٢٤/٢-٢٥.
(٦) البقرة /١٩٧.
(٧) التوبة /١٩.
(٨) الحج /٢٧.

مَعْلُومَاتٌ ﴾[1]. فهذه الآيات وغيرها تدلّ على أنّ الحجّ عبارة عن قضاء المناسك لا القصد المطلق))[2].

))[2].

الحج هو((العمل المعروف بين المسلمين الذي شرعه إبراهيم الخليل (عليه السلام) وكان بعده بين العرب ثم أمضاه الله سبحانه لهذه الأمة شريعة باقية إلى يوم القيامة. ويبتدي هذا العمل بالإحرام والوقوف في العرفات ثم المشعر الحرام، وفيها التضحية بمنى ورمي الجمرات الثلاث والطواف وصلاته والسعي بين الصفا والمروة ، وفيها أمور مفروضة أخر، وهو على ثلاثة أقسام: حج الإفراد، وحج القران ، وحج التمتع الذي شرعه الله في آخر عهد رسول الله))[3].

أصل مشروعية الحج : إنَّ الحج هو امتداد لدعوة النبي إبراهيم ، فقد أمره الله تعالى أن يبلغ الناس حكم الحج للناس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[4]. قال المفسرون ، أي: ناد الناس بقصد البيت أو بعمل الحج والمخاطب به إبراهيم وقيل إن المخاطب نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجمهور المفسرين مع الراي الاول، وان النبي ابراهيم(عليه السلام) قد أرسى الحجر الاساس للحج كفريضة من فرائض الدين الاسلامي، وتتميز هذه الفريضة عن سائر الفرائض بما يؤدي فيها من طقوس ومناسك متعددة الجوانب في ايام معينة تعتبر في حد ذاتها منهجهاً تربوياً ينمي حالة العبودية لدى المؤمنين وبالتالي يتزودون من مناهله القدسية ، وجاء الرسول الاعظم محمد(صلى الله عليه واله وسلم) فجعل هذا المنهج الذي انتهجه ابراهيم الخليل سنة واجبة يتبعها المسلمون وبهذا اصبح الحج احدى فرائض الاسلام التي أوجبها على المقتدرين من اتباعه[5].

اذاً الحج هو امتداد لدعوة إبراهيم كما في قوله تعالى ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ

(١) البقرة /١٩٧.

(٢) ظ: المصطفوي/ التحقيق في كلمات القرآن، ١٩٨/٢-١٩٩.

(٣) الطباطبائي / الميزان، ٤٢/٢.

(٤) الحج /٢٧.

(٥) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٢١/١٧، الطبرسي/ مجمع البيان ، ١٢٧/٧، الرازي/ مفاتيح الغيب ، ١١٣/١١، القرطبي/ الجامع لأحكام القران، ٣٧/١٢، الطباطبائي/ الميزان ، ١٧٣/١و١١٨/٧.

يَشْكُرُونَ ﴾[1]، ولم يكن الحج اصل وثني بل ان تشريعه جاء بدعاء إبراهيم عليه السلام[2]. وقد أستجاب لهذه الدعوة الناس من أهل القبلة وحجوا إلى البيت الحرام واستمروا على هذا الحال اجيالاً ، حتى توالت السنين وخلطوا في بعض شعائره وطقوسه الشرك وابتدعوا مناسك اخرى لم تكن اصلا فيه ، ولكن بقيت اصداء لدعوة ابراهيم قائمة رغم ما اختلط فيها من انحرافات وشرك حتى جاء الاسلام وصحح المسار واعاد طقوس الحج الابراهيمي الى ما كانت عليه، كما في قوله تعالى: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3][4].

وعليه فإن:((... مراسم الحج هذه قد سنت وأُسست منذ عهد إبراهيم (عليه السلام) ثمّ استمرت حتّى العهد الجاهلي حيث كان العرب الجاهليون يمارسونها ويؤدونها، ولكنها شرعت في الإسلام في صورة أكمل، وكيفية خالية عن الخرافات التي لصقت بها من العهد الجاهلي ولكن المستفاد من الخطبة القاصعة في نهج البلاغة وبعض الأحاديث والروايات أن فريضة الحج شرعت أول مرّة في زمن آدم (عليه السلام) إلاَّ أن اتخاذها الصفة الرسمية يرتبط . في الأغلب . بزمن الخليل (عليه السلام)))[5].

اذن فالذي عليه المفسرون أن الحج في الإسلام هو تشريع إلهي شرعه الله تعالى في القران الكريم كما شرعه في ملة ابراهيم الخليل ولم يكن تشريعه في الاسلام إرضاءً للعرب او سنة جاهلية أبقاها الاسلام[6].

يتحصل ان أصل الحج وتشريعه الهي أمر بتبليغه ابراهيم الخليل للناس ، ولا يوجد شيء أسمه حج جاهلي بل أن الجاهليين كانوا يأدون الحج الابراهيمي ولكنهم أدخلوا فيه بعض الطقوس والشعائر الدخيلة عليه.

---

(١) إبراهيم/ ٣٧.

(٢) ظ: الطباطبائي/ الميزان، ١٦٢/١.

(٣) آل عمران: ٩٧.

(٤) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٦٠٥/١٨، السيوطي/ الدر المنثور، ١٣٧/٧.

(٥) الامثل: ٦٠٩/٢.

(٦) ظ: الطوسي/ مجمع البيان، ١٥٤/٢، الكشاف/ الزمخشري، ٣٠١/١، ابن عطيه/ المحرر الوجيز ،٤٦٧/١، أبو حيان/ البحر المحيط ، ٣٣٠/٣، ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ١٦٥/٢.

إن ما كان عليه العرب قبل الاسلام من تعظيم الكعبة والحج اليها انما هو مما بقي من آثار دعوة ابراهيم الخليل فقد ذكر أهل الاخبار أن العرب كانوا على ملة إبراهيم . لم يتفق المؤرخون على رأي واحد بشأن دخول الشرك وانتشاره في جزيرة العرب فبعضهم مثل ابن الكلبي يرى:((أَنَّ إِسْمَاعِيلَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا لَمَّا سكن مَكَّة وَولد لَهُ بهَا أَوْلَاد كثير حَتَّى ملأوا مَكَّةَ وَنَفَوْا مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْعَمَالِيقِ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ مَكَّةُ وَوَقَعَتْ بَيْنَهُمُ الْحُرُوبُ وَالْعَدَاوَاتُ واخرج بَعضهم بَعْضًا فتفسحوا فِي الْبِلَاد والتماس الْمَعَاشِ وَكَانَ الَّذِي سَلَخَ بِهِمْ إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَان وَالْحِجَارَة أَنه كَانَ لَا يظعن من مَكَّة ظَاعِنٌ إِلا احْتَمَلَ مَعَهُ حَجَرًا مِنْ حِجَارَةِ الْحَرَمِ تَعْظِيمًا لِلْحَرَمِ وَصَبَابَةً بِمَكَّةَ ... وَهُمْ بَعْدُ يُعَظِّمُونَ الْكَعْبَةَ وَمَكَّةَ وَيَحُجُّونَ وَيَعْتَمِرُونَ عَلَى إِرْثِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ ثُمَّ سَلَخَ ذَلِكَ بِهِمْ إِلَى أَنْ عَبَدُوا مَا اسْتَحَبُّوا وَنَسُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ وَاسْتَبْدَلُوا بِدِينِ إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل غَيره فعبدوا الأَوْثَانَ))[1]. أي: إنَّ هذا العمل قد أدى على المدى الطويل إلى نشوء صناعة الاصنام وعبادتها وبالتالي ساد الشرك. إمَّا الرأي الثاني في أنتشار الشرك ينسب إلى عمرو بن لحي ، واشار الالوسي إلى أثر عمرو بن لحي في فساد عقيدة العرب وإحرافها عن ملة ابراهيم ، فيقول:" اعلم ان العرب من عدنان وقحطان ، كانوا قبل ظهور عمرو بن لحي الخزاعي فيهم على بصيرة من امرهم يتعبدون بشريعة خليل الرحمن سيدنا ابراهيم وقد تلقوها من ولده نبي الله اسماعيل وهي الحنيفية "[2]. يبدو أن جذور الشرك كانت موجودة قبل عمرو بن لحي ، وما كان عمرو الا انه مهد لها من خلال نصبه الاوثان.

أدخل الجاهليون تغييرات في طقوس الحج بما تناسب أهواءهم ومعتقدهم بعد أن تخلوا عن التوحيد واشركوا بالله ونصبوا الاصنام في البيت الحرام ومن تلك المناسك التي أحدثوها هي نصبهم صنمين هما أساف ونائلة على الصفا والمروة ، وتغييرهم مواقيت الحج حين تقتضي ضروراتهم بذلك ، والنسيء والحمس وغيرها من امور لا صلة لها بالحج الابراهيمي :((اعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا قَدْ غَيَّرُوا مَنَاسِكَ الْحَجِّ عَنْ سُنَّةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَقَوْمًا آخَرِينَ سَمَّوْا أَنْفُسَهُمْ بِالْحُمْسِ، وَهُمْ أَهْلُ الشِّدَّةِ فِي دِينِهِمْ، وَالْحَمَاسَةُ الشِّدَّةُ يُقَالُ: رَجُلٌ أَحْمَسُ وَقَوْمٌ حُمْسٌ، ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا لَا يَقِفُونَ فِي عَرَفَاتٍ، وَيَقُولُونَ لَا نَخْرُجُ مِنَ الْحَرَمِ وَلَا نَتْرُكُهُ فِي وَقْتِ الطَّاعَةِ وَكَانَ غَيْرُهُمْ يَقِفُونَ بِعَرَفَةَ وَالَّذِينَ كَانُوا يَقِفُونَ بِعَرَفَةَ يُفِيضُونَ قَبْلَ أَنْ تغرب الشمس، والذي يَقِفُونَ بِمُزْدَلِفَةَ يُفِيضُونَ إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَيَقُولُونَ:

(١) ابن الكلبي/ الاصنام/٦.

(٢) الالوسي/ بلوغ الارب في معرفة احوال العرب، ١٩٤/٢، اورد هذا القول ابن الكلبي في الاصنام/٢٤.

أَشْرِقْ ثَبِيرُ كَيْمَا نُغِيرُ، وَمَعْنَاهُ: أَشْرِقْ يَا ثَبِيرُ بِالشَّمْسِ كَيْمَا نَنْدَفِعُ مِنْ مُزْدَلِفَةَ فَيَدْخُلُونَ فِي غَوْرٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَهُوَ الْمُنْخَفَضُ مِنْهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ جَاوَزُوا الْمُزْدَلِفَةَ وَصَارُوا فِي غَوْرٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِمُخَالَفَةِ الْقَوْمِ فِي الدَّفْعَتَيْنِ، وَأَمَرَهُ بِأَنْ يُفِيضَ مِنْ عَرَفَةَ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَبِأَنْ يُفِيضَ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَالْآيَةُ لَا دَلَالَةَ فِيهَا عَلَى ذَلِكَ، بَلِ السُّنَّةُ دَلَّتْ عَلَى هَذِهِ الْأَحْكَامِ))[1].

وقد كانت قريش ابتدعَت أمر الحُمْس[2]؛ وهم بذلك تميزوا بشعائر لا يشاركهم فيها احد، رأيًا رأَوه بينهم، ولا يدخلوا بيتًا من شَعر، ولا يستظلوا إن استظلوا إلا في بيوت الأَدَم ما كانوا حرامًا، ثم غالوا في ذلك فقالوا: لا ينبغي لأهل الحِلّ أن يأكلوا من طعامٍ جاؤوا به معهم من الحِلّ في الحَرم إذا جاؤوا حُجّاجًا أو عُمّارًا، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحُمْس ، فحملوا على ذلك العرب فدانَت به، وأخذوا بما شرعوا لهم من ذلك، فكان الرجل من العرب إذا حجّ لم يأكل إلّا طعام رجل من الحرم، ولم يطف إلا في ثيابه، وكان لكلّ شريف من أشراف العرب رجل من قريش، يقال له: (الحِرْمِيّ)، وكلّ واحد منهما حِرْمِيٌّ صاحبِه[3].

وكان الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) لا يقف مع قريشٍ والحمسِ في طرف الحرم، وكان يقف مع الناس بعرفة. قال جبير بن مطعم: أَضْلَلْتُ بعيرًا يوم عرفة، فخرجتُ أقصُّه وأتبعه بعرفة، إِذْ أبصرت محمدًا بعرفة، فقلتُ: هذا من الحمس، ما يُوقفه هاهنا؟! فعجبتُ له[4].

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[5]. قال الطوسي:" أنه أمر لقريش وخلفائهم، لانهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفة، ولا يفيضون منها، ويقولون: نحن أهل حرم الله لا نخرج عنه، فكانوا يقفون بجمع ويفيضون منه، دون عرفة، فأمرهم الله تعالى أن

(١) ظ: الرازي/مفاتيح الغيب، ٣٢٨/٥.

(٢) الحمس : قبائل من العرب قد تشددت في دينها فكانت لا تستظل ايام منى ولا تدخل البيوت من ابوابها وهم قريش كلها : كنانة وما ولدت الهون بن خزيمة والغوث وثقيف ، وخزاعة وعدوان وبنو ربيعة بن عامر بن صعصعة . ظ : ابن منظور / لسان العرب ، ٥٧/٦ مادة (حمس) ، ابن دريد / الاشتقاق /١٥٣ .

(٣) ظ: الطبري/ جامع البيان ،٩/ ٤٦٨.

(٤) ظ: الازرقي/ اخبار مكة، ١٠/ ١٨٨.

(٥) البقرة /١٩٩.

يفيضوا من عرفة بعد الوقوف بها "[١] ، أي: أن الله تعالى أمر الحمس وهم قريش وحلفائهم ان يعودوا لمناسك ابراهيم وهي الافاضة من عرفة[٢].

ويرى ناصر مكارم الشيرازي أن في الامر الالهي الى قريش وحلفائهم من الحمس فيها درس الهي في الوحدة والاتحاد حيث ان الآية الكريمة تبطل كلّ هذه الأوهام وهي التي يقولها (الحمس) وتأمر بوقوف الحجّاج جميعاً في عرفات، ثمّ التحرك منها نحو المشعر الحرام، ومن ثمّ الإتجاه إلى مِنى دون أن يكون لأحد امتياز على آخر[٣].

وكانت لهم أسواقهم التي يتبايعون فيها قبل الحج وبعده، فإذا أحرموا بالحجّ حرَّموا على أنفسهم البيع والشراء حتى يقضوا مناسكهم، يلتمسون البِرّ بذلك، ويقولون: (أيام ذِكر)، فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[٤]، فأعلمهم (عزوجل) أن لا بِرّ في ذلك، وأنّ لهم الْتِماسَ فضله بالبيع والشراء[٥]. وأنزل تعالى:﴿ وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[٦]، قال مقاتل: كان أهل الجاهلية يُشركون في إحرامهم، فأمَر اللهُ (عزّ وجلّ) النبيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ واله وَسَلَّمَ) والمسلمين أن يتموهما لله[٧].

وبالمجمل فقد كانت للعرب الجاهليين مناسك ورثوها من ملة ابراهيم ولكنهم خلطوها بعبادة الاصنام وطقوس:((وفيها شيء من الدين الحنيف وهو إسلام إبراهيم (عليه السلام) كالختنة والحج إلا أنهم خلطوه سنن وثنية كالتمسح بالأصنام التي حول الكعبة والطواف عريانا ...))[٨].

---

(١) الطوسي/ التبيان، ١٦٧/٢.
(٢) ظ: الطبرسي/ مجمع البيان، ٤١/٢، محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ٤٥/٢.
(٣) ظ: ناصر مكارم الشيرازي/ الامثل، ٥٧/٢
(٤) البقرة /١٩٨.
(٥) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٤/ ١٦٨.
(٦) البقرة/١٩٦.
(٧) ظ: مقاتل/ تفسير مقاتل بن سليمان ،١/ ١٧١.
(٨) محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٤٧/١٠.

يتحصل ان الاسلام كان له موقف من الشعائر التي ابتدعها الجاهليون ، فقد أمرهم بالعودة الى طقوس وشعائر الحج التي كان عليها ابراهيم واسماعيل ورفض كل ما ادخله الجاهليون من شعائر، وهذا يعني ان الاسلام عاد بالحج الى شعائره الابراهيمية التي كان عليها ابراهيم الخليل.

أهمية الحج

للتأكيد على أهمية الحجّ قال سبحانه في الآية: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1] قال المفسرون، أي: أن الذين يتجاهلون هذا النداء، ويتنكرون لهذه الفريضة، ويخالفونها لا يضرون بذلك إلاَّ أنفسهم لأن الله غني عن العالمين، فلا يصيبه شيء بسبب اعراضهم ونكرانهم وتركهم لهذه الفريضة[2].

إنَّ للحج بعد توحيدي وهو البعد الأرسخ في الحج اذ أن الحج كتلة توحيدية متماسكة من الممارسات والشعائر التي تكرس عقيدة التوحيد في المسلم وأن كل شعائر الحج وواجباته هي مفهوم توحيدي خالص الغرض منها تركيز الحس والتوحيد للمسلم[3].

الطواف والحجر والاسود

قال المفسرون إنَّ الطواف حول الكعبة شعيرة تعبدية تقوم على التوحيد الخالص لله تلبية للنداء الإلهي الذي أمر إبراهيم الخليل (عليه السلام) به، اذا فالطواف احد اركان الحج وشعيرة اساسية فيه منذ عهد ابراهيم الخليل[4]. وفي علة الطواف حول البيت جاء:((... أن الله تبارك وتعالى لما أمر الملائكة ان يسجدوا لادم ردت الملائكة فقالت : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[5]، فغضب عليهم ثم سألوه التوبة فأمروهم ان يطوفوا بالضراح وهو البيت المعمور ، فمكثوا يطوفون به سبع سنين يستغفرون الله مما قالوا ، ثم تاب عليهم من بعد ذلك

---

(١) ال عمران/٩٧.

(٢) ظ: الطوسي/ التبيان، ٥٣٥/٢، الطبرسي/ مجمع البيان، ٣١١/٢، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣١٨/٤، ناصر مكارم الشيرازي/ الامثل، ٦١٠/٢.

(٣) ظ: ناصر مكارم الشيرازي/ الامثل، ٤٠/٢.

(٤) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٧٦/٣، الطوسي/ التبيان،١٥٣/٢، الزمخشري/ الكشاف، ٣٩٤/٢.

(٥) البقرة / ٣٠

ورضى عنهم ، فكان هذا اصل الطواف ، ثم جعل الله البيت الحرام حذاء الضراح توبة لمن أذنب من بنى آدم وطهورا لهم))[١]. وقد أورد الطباطبائي الحديث في معرض تفسيره ويرى فيه غرابة فيقول:((أقول: الحديث لا يخلو عن الغرابة من جهات، وكيف كان فبناء على تفسير العرش بالعلم يكون معنى لواذ الملائكة بالعرش هو اعترافهم بالجهل وإرجاع العلم إليه سبحانه حيث قالوا: ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[٢]))[٣].

عن ابن عباس قال :((حج آدم فطاف بالبيت سبعاً ، فلقيته الملائكة في الطواف فقالوا : بر حجك يا آدم ، أما إنا قد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام . قال : فماذا كنتم تقولون في الطواف؟ قالوا : كنا نقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . قال آدم : فزيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فزادت الملائكة فيها ذلك ، ثم حج إبراهيم بعد بنائه البيت ، فلقيته الملائكة في الطواف فسلموا عليه فقال لهم : ماذا كنتم تقولون في طوافكم؟ قالوا : كنا نقول قبل أبيك آدم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فاعلمناه ذلك ، فقال : زيدوا ولا حول ولا قوّة إلا بالله . فقال إبراهيم : زيدوا فيها العلي العظيم . فقالت الملائكة ذلك))[٤]. اذا بعض المفسرين يرجع الطواف الى الملائكة ومن بعدهم آدم ثم إبراهيم عليها السلام.

إن الذي عليه أغلب المفسرين وهو أن شعيرة الطواف في الحج تعود الى إبراهيم وإسماعيل عليها السلام [٥] ، وشعيرة الطواف لم تسلم من هي الأخرى من بدع المشركين فقد كان بعض المشركين يطوفون بالبيت عراة ، الرجال في النهار والنساء في الليل ، وقد نهى الإسلام عن ذلك[٦]، وعند فتح مكة

---

(١) العياشي/ تفسير العياشي، ٣١/١-٣٢.

(٢) البقرة / ٣٢ .

(٣) الطباطبائي/ الميزان، ٧٢/٨.

(٤) السيوطي/ الدر المنثور، ١٥٦/١.

(٥) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٧٦/٣، محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٤٧/١٤، ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل، ٣٧٠/١٤.

(٦) ظ: الطوسي/ التبيان ، ٣٨٠/٤، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٦٨/٧.

مكة أمر الرسول عليّاً(عليه السلام) بإبلاغ منع العراة والحفاة من الطواف الذي كان شائعاً ومألوفاً حتى ذلك الوقت [١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢].((إشارة إلى ما كان معمولا عند أهل الجاهلية من الطواف بالبيت الحرام عراة يقولون: نطوف كما ولدتنا أمهاتنا ولا نطوف في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب، ونقل عن الفراء أنهم كانوا يعملون شيئا من سيور مقطعة يشدونهم على حقويهم يسمى حوفا وإن عمل من صوف سمي رهطا و كانت المرأة تضع على قبلها نسعة أو شيئا آخر فتقول: اليوم يبدو بعضه أو كله. وما بدا منه فلا أحله))[٣] ، أي: إن سبب طوافهم عراة هو:" ظناً منهم بأنّ الثياب التي ارتكبت فيها الذنوب لا تليق بأن يطاف بها حول الكعبة المعظمة "[٤].

وتعددت اقوال المفسرين في حكمة الطواف ، منها أن الطواف يراد به تفدية النفس[٥].

الحجر الأسود : هو أحد اجزاء الكعبة، حيث يقع في الجهة الشرقيّة من الركن اليماني، وهو مكون من ثماني قطع صغيرة مختلفة الحجم، والحجر الأسود هو مبدأ الطواف ومنتهاه[٦].

وجاء أن الحجر الأسود:" حجر ثقيل بيضوي الشكل غير منتظم لونه أسود ضارب إلى الحمرة، و فيه نقط حمراء، و تعاريج صفراء، و هي أثر لحام القطع التي كانت تكسرت منه، قطرة نحو ثلاثين سانتي مترا "[٧].

سُمي الحجر الأسود لسواد لونه، حيث قيل: أنه كان فيما سبق شديد البياض، فاسود لما مسته أيدي الكفار، وذُكر في الروايات أنه كان ملكاً عظيماً من عظماء الملائكة قد أودعه الله ميثاق العباد، ثم

(١) ناصر مكارم الشيرازي/المثل ، ٥٣٣/٥.
(٢) الأعراف/ ٢٨.
(٣) محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ٣٧/٨.
(٤) ناصر مكارم الشيرازي/ الامثل، ١٥/٥.
(٥) ظ: محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٩٦/١.
(٦) ظ: الشنقيطي/ اضواء البيان، ٤٤٢/٤.
(٧) محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٩٦/٣.

حوّل في صورة درّ بيضاء ورُميَ إلى آدم (عليه السلام)، فحمله آدم حتى وافى به مكة[١]، وورد أيضاً أنّ الله استودع إبراهيم الحجر الأسود، حينما نزل به جبرائيل عليه السلام بعد أن غرقت الأرض ورُفع إلى السماء، فوضعه إبراهيم موضع الركن[٢].

وذهب المفسرون أن الحجر الاسود نزل من الجنة مع آدم[٣]، عن الامام الصادق(عليه السلام) قال:" أن الله أنزل الحجر الأسود من الجنة لآدم "[٤]، وعن ابن عباس قال:" قال رسول الله صلى الله عليه[واله] وسلم نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن ، فسوّدته خطايا بني آدم "[٥]. وذهب بعض المفسرين إلى القول إنّ الحجر أتى به جبرائيل من السماء، حينما بنى إبراهيم عليه السلام بيت الله الحرام[٦].

يرفض صاحب المنار الروايات التي تقول أن الحجر الاسود قد نزل من الجنة أو أنه كان أبيض وغيرته خطايا المشركين ، فيقول:((وَمِنْ ذَلِكَ زَعْمُهُمْ أَنَّ الْكَعْبَةَ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فِي زَمَنِ آدَمَ، وَوَصْفُهُمْ حَجَّ آدَمَ إِلَيْهَا ... وَحُلِّيَتْ بِالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، وَأَنَّ هَذَا الْحَجَرَ كَانَ يَاقُوتَةً بَيْضَاءَ – وَقِيلَ: زُمُرُّدَةً – مِنْ يَوَاقِيتِ الْجَنَّةِ أَوْ زُمُرُّدِهَا، وَأَنَّهَا كَانَتْ مُودَعَةً فِي بَاطِنِ جَبَلِ أَبِي قَبِيسٍ فَتَمَخَّضَ الْجَبَلُ فَوَلَدَهَا، وَأَنَّ الْحَجَرَ إِنَّمَا اسْوَدَّ لِمُلَامَسَةِ النِّسَاءِ الْحُيَّضِ لَهُ، وَقِيلَ: لِاسْتِلَامِ الْمُذْنِبِينَ إِيَّاهُ، وَكُلُّ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ خُرَافَاتٌ إِسْرَائِيلِيَّةٌ بَثَّهَا زَنَادِقَةُ الْيَهُودِ فِي الْمُسْلِمِينَ لِيُشَوِّهُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَيُنَفِّرُوا أَهْلَ الْكِتَابِ مِنْهُ... لَوْ كَانَ أُولَئِكَ الْقَصَّاصُونَ يَعْرِفُونَ الْمَاسَ لَقَالُوا: إِنَّ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ أَبْهَجُ الْجَوَاهِرِ مَنْظَرًا وَأَكْثَرُهَا بَهَاءً، وَقَدْ أَرَادَ هَؤُلَاءِ أَنَّ يُزَيِّنُوا الدِّينَ وَيُرَقِّشُوهُ بِرِوَايَاتِهِمْ هَذِهِ ... فَإِنَّهَا لَا تَرُوقُ لِأَهْلِ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ الشَّرِيفَ – هَذَا الضَّرْبُ مِنَ الشَّرَفِ الْمَعْنَوِيِّ – هُوَ مَا شَرَّفَهُ اللهُ – تَعَالَى –، فَشَرَفُ هَذَا الْبَيْتِ إِنَّمَا هُوَ بِتَسْمِيَةِ اللهِ – تَعَالَى – إِيَّاهُ بَيْتَهُ، وَجَعْلِهِ مَوْضِعًا لِضُرُوبٍ مِنْ عِبَادَتِهِ لَا تَكُونُ فِي غَيْرِهِ كَمَا تَقَدَّمَ، لَا بِكَوْنِ أَحْجَارِهِ تَفْضُلُ سَائِرَ الْأَحْجَارِ، وَلَا بِكَوْنِ مَوْقِعِهِ يَفْضُلُ سَائِرَ الْمَوَاقِعِ، وَلَا بِكَوْنِهِ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَا بِأَنَّهُ

---

(١) ظ: الطوسي/ التبيان، ٣٤٦/١، العياشي/ تفسير العياشي، ٢٠١/١.

(٢) ظ: الحويزي/ نور الثقلين، ١٧٢/١، ابن عادل/ تفسير اللباب ، ٢٠١/٢.

(٣) ظ: الماوردي/ النكت والعيون، ٢٤٠/٤، ابن كثير/ تفسير القران العظيم، ٢٣٧/١ ، الميرزا محمد المشهدي / تفسير تفسير كنز الدقائق، ١٧٤/٣.

(٤) الطبرسي/ مجمع البيان، ٣٥٢/١.

(٥) السيوطي/ الدر المنثور، ٢٥٨/١.

(٦) ظ: ابن عاشور/ التحرير والتوير، ١٦٤/٣.

مِنْ عَالَمِ الضِّيَاءِ))[1]. فهو يرى أن الحجر هو كالأحجار الاخرى التي بنية منها الكعبة وما تشريف الحجر الاسود الا تشريف معنوي بنسبة الى بيت الله ، وبكونه احد اجزاء الكعبة.

بينما ذهب الطباطبائي أنه لا مانع من قبول تلك الروايات التي تقول أن الحجر الاسود نزل من الجنة، فيقول:((وإنما هو من إلهيات المعارف التي سمح بها القرآن الشريف، وانعطف إلى الجري على مسيرها الأخبار الذي يقضي به كلامه تعالى: أن الأشياء التي في هذه النشأة الطبيعية المشهودة جميعا نازلة إليها من عند الله سبحانه، فما كانت منها خيرا جميلا، أو وسيلة خير، أو وعاء لخير، فهو من الجنة، وإليها تعود، وما كان منها شرا، أو وسيلة شر، أو وعاء لشر، فهو من النار، وإليها ترجع، قال تعالى: "و إن من شيء إلا عندنا خزائنه، و ما ننزله إلا بقدر معلوم))[2].

وبغض النظر على من نزل الحجر الاسود على آدم أو إبراهيم فاننا نلحظ أن المفسرين يقولون أن الحجر الاسود نزل من الجنة ليوضع في البيت الحرام ، ولم يكن نيزك أو شيء من هذا القبيل ، وكذلك لم يكن حجراً من احجار الارض.

وإنّ علّة وضع الحجر في الركن اليماني دون غيره، وعلة اخراجه من الجنة، وعلة جعل الميثاق والعهد فيه للعباد، قد بيّنه الإمام الصادق (عليه السلام) حينما سُئل عن ذلك فقال: إنّ الله تبارك وتعالى وضع الحجر الأسود وهو جوهرةٌ أُخرجت من الجنة إلى آدم، فوضعت في ذلك الركن لعلّة الميثاق[3].

وقد اعاد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وضع الحجر الاسود عندما بنت قريش الكعبة، جمعت القبائل الحجارة، حتى أن وصلوا إلى موضع الركن أرادت كل قبيلة أن ترفعه إلى موضعه، فتشاجروا فيه حتى تواعدوا للقتال، فحكموا أنّ أول من يدخل من باب المسجد يقضي بينهم، فكان أول من دخل عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما رأوه قالوا: هذا الأمين قد رضينا به، فأمرهم

(١) محمد رشيد رضا / المنار، ٣٨٤/١.

(٢) محمد حسين الطباطبائي/ الميزان ١٦٨/١.

(٣) ظ: الصدوق/ علل الشرائع، ٢/ ٤٢٩، العياشي/ تفسير العياشي، ٢٠١/١.

بثوبٍ فبسطه، ثم وضع الحجر في وسطه، ثم أخذت القبائل بجوانب الثوب، فرفعوه جميعاً حتى إذا بلغوا به موضعه تناوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فوضعه في موضعه[١].

يتحصل أن الحج في الاسلام ليس مجرد مجموعة من الشعائر التي يقوم بها المسلمون دون هدف بل للحج مقاصد وحكم . وإن الاسلام يقر ما ورثه العرب عن دين ابراهيم من مناسك الحج ويبطل ما أبتدعه المشركون في الحج .

المطلبُ الثَّاني: النُّصوص القرآنيَّة المتعلِّقة بالشَّهر الحرام والنَّسيء

الفرعُ الأوَّلُ: القتال في الأشهر الحرم

ورد تحريم الأشهر الحرم في القران الكريم في آيات منها: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[٢]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[٣]. قال المفسرون أنّ تحريم القتال في هذه الأشهر إنّما يكون نافذ المفعول إذا لم يبدأ العدو بقتال المسلمين فيها، أمّا لو فعل فيجوز قتاله لأنّ احترام الشهر الحرام لم يُنتقض من قبلهم، بل انتقض من قبل العدوّ[٤].

جاء ذكر الاشهر الحرم في القرآن الكريم في آيات عدة يستدل منها ومن الروايات انه كان لهذه الاشهر آثر كبير في حياة العرب وبخاصة في بيئة مكة قبل الاسلام ، فبينما الحروب المستعرة والغارات قائمة والناس مندفعين وراء ثاراتهم وغاراتهم يقف كل هذا حين حلول الاشهر الحرم تعظيما لها واحتراماً

---

(١) ظ: الطبري/ تاريخ الطبري، ٢/ ١٨٥، المسعودي/ مروج الذهب، ٢/ ٢٧٥، محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٩٥/٣.

(٢) البقرة/ ٢١٧.

(٣) البقرة/ ١٩٤.

(٤) ظ: الطبرسي/ مجمع البيان، ٢٦/٢، العياشي/ تفسير العياشي، ١٥٢/٢.

ويصبح الناس في هدنة عامة وشاملة [١]. " والأَشْهُرُ الحُرُم ذو القَعْدة وذو الحِجة والمُحَرَّم ورَجَبٌ، ثلاثة سَرْدٌ وواحد فَرْدٌ. والمُحَرَّم سُمِّيَ به لأنَّهم لا يَسْتَحِلُّونَ فيه القتال "[٢].

إنَّ الاشهر الحرم أربعة أشهر، مفرد فهو رجب، والبقية متتالية وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم، وسميت حُرُمًا لأن الله حرم فيها القتال بين الناس، لهذا وُصفت بأنها حرم جمع حرام، وقد أشار إليها القرآن الكريم وذلك في قول الله تعالى ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [٣][٤].

واختلفوا في هذه الأشهر الأربعة:((وهي: شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وقيل هي عشرون من ذي الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وربيع الأول ، وعشر من ربيع الآخر ، وإنما سميت حرماً لأنه كان يحرم فيها القتل والقتال ، فهذه الأشهر الحرم لما حرم القتل والقتال فيها كانت حرماً ، وقيل إنما سميت حرماً لأن أحد أقسام هذه المدة من الأشهر الحرم لأن عشرين من ذي الحجة مع المحرم من الأشهر الحرم))[٥].

وفي سبب جعل الاشهر الحرم:((إنَّ الله تعالى جعل الاشهر الحرم لا يحل فيها القتال، والقتل وكل ذلك بسبب البيت الحرام، فهو آمن بهذه الوجوه))[٦]، أي: إن حرمتها هو وقوع الحج فيها ذهاباً ورجوعاً وأداء ، واما شهر رجب فهو شهر للعمرة[٧]،أو إنها أشهر يرجع فيها للطاعة((وإنما جعل الله هذه هذه الأشهر الأربعة حرما ليكف الناس فيها عن القتال وينبسط عليهم بساط الأمن، و يأخذوا فيها الأهبة للسعادة، و يرجعوا إلى ربهم بالطاعات و القربات))[٨].

---

(١) ظ: احمد إبراهيم/ مكة والمدينة في الجاهلية / ٢١١.

(٢) الفراهيدي/ العين، ٢١٦/١.

(٣) التوبة/٣٦.

(٤) ظ: الطبري/ جامع البيان، ١٣٦/١٤، الطوسي/ التبيان، ١٦٧/٥، ، محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ٨٤/٩.

(٥) الرازي/ مفاتيح الغيب، ٤٥٤/٧.

(٦) الطوسي/ التبيان، ٤٥١/١.

(٧) ظ: ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ١٧٧/٢.

(٨) الطباطبائي/ الميزان، ٥٠/٩.

يرى بعض المفسّرين أنّ تحريم القتال في هذه الأشهر الأربعة كان من عهد إبراهيم الخليل(عليه السلام) ، وكان نافذ حتى في زمان الجاهلية على أنّه سنة متّبعة إلاّ أنّ عرب الجاهلية كانوا يغيرون هذا الأشهر أحياناً تبعاً لميولهم وأهوائهم، إلاّ أنّ الإسلام أقرّ حرمتها على حالها ولم يغيّرها[١]. عن جابر قال:((لم يكن رسول الله صلى الله عليه [واله] وسلم يغزو في الشهر الحرام إلا أن يُغْزَى، أو يَغزو حتى إذا حضر ذلك أقامَ حتىّ ينسلخ))[٢].

ذهب المفسرون أنَّ القتال في الأشهر الحرم فيه مسألتان: **الأولى** : أن يكون قتال دفاع عن النفس ، بمعنى أن يبتدئ المعتدون القتال في الأشهر الحرم ، فيجوز للمسلمين قتال هؤلاء المعتدين باتفاق المفسرين[٣].((أنّ احترام الأشهر الحُرم ضروري أمام العدو الّذي يراعي حرمة هذه الأشهر، أمّا العدو الّذي يهتك هذه الحرمة فلا تجب معه رعاية الإحترام وتجوز محاربته حتّى في هذه الأشهر، واُمر المسلمون أن يهبّوا للجهاد عند اشتعال نار الحرب كي لا تخامر أذهان المشركين فكرة انتهاك حرمة هذه الشّهور))[٤]. **والثانية** : أن يكون قتال ابتداء ، بمعنى أن يبتدئ المسلمون القتال في الأشهر الحرم : فذهب اغلب المفسرين إلى تحريم بدء القتال في الأشهر الحرم، وذهب قسم آخر إلى أن الآية منسوخة بقوله: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾[٥]، وبقوله: ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾[٦][٧].

إنَّ المفسرين اختلفوا في مشروعية بدء قتال المشركين في الأشهر الحرم على قولين: **القول الأول:** ان الآية محكمة ، والحكم ثابت أي ان التحريم باقٍ ((... أنه على التحريم فيمن يرى لهذه

---

(١) ظ: الزمخشري/ الكشاف، ٤١٩/٢، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٢١/٨، الالوسي/ روح المعاني، ١٥٠/٥، الطباطبائي/ الميزان، ٥٠/٩، ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل، ٤٦/٦، ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ١٩٥/٢ .

(٢) الطبري/ جامع البيان، ٣٠٠/٤

(٣) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٥٨٠/٣، الطوسي/ التبيان، ١٤٩/٢، الطبرسي/ مجمع البيان، ٢٦/٢، الرزي/ مفاتيح الغيب، ٢٤٦/٣، الشوكاني/ فتح القدير، ٢٥٤/١. ويقول السيد الخوئي في هذا الشأن:" يحرم القتال في الأشهر الحرم – وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم – بالكتاب والسنة، نعم إذا بدأ الكفار في القتال في تلك الأشهر جاز قتالهم فيها على أساس أنه دفاع في الحقيقة، ولا شبهة في جوازه فيها "(منهاج الصالحين: ٣٦٨/١).

(٤) ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل، ٣٢/٢.

(٥) البقرة/ ١٩٣.

(٦) التوبة /٥.

(٧) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٣١٣/٤، الطوسي/ التبيان، ٢٠٦/٢، الطبرسي/ مجمع البيان، ٦٤/٢، الرازي/ مفاتيح الغيب، ٢٦٤/٣.

الاشهر حرمة، فانهم لا يبتدئون فيه بالقتال، وكذلك في الحرم))[١]. وهذه الآية لا دلالة فيها على تحريم القتال مطلقاً في الشهر الحرام ، فلا حاجة إلى تقدير النسخ[٢]. وأشار الطباطبائي إلى أن القول أنها منسوخة ليس بصائب، فيقول:" والآية تدل على حرمة القتال في الشهر الحرام، وقد قيل: إنها منسوخة بقوله تعالى:﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾[٣] وليس بصواب "[٤]. **والقول الثاني:** إنَّ الحكم منسوخ منسوخ . هذا الرأي ذهب اليه اغلب مفسري أهل السنة[٥]. ((والصواب من القول في ذلك ما قاله عطاء بن ميسرة: من أن النهي عن قتال المشركين في الأشهر الحرُم منسوخ بقول الله جل ثناؤه:﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞ ﴾[٦] . وإنما قلنا ذلك ناسخٌ لقوله:﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ ﴾[٧]، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه [واله] وسلم أنه غزَا هوازن بحُنين وثقيفًا بالطائف، وأرسل أبا عامر إلى أوْطاس لحرب من بها من المشركين، في الأشهر الحرُم، وذلك في شوال وبعض ذي القعدة، وهو من الأشهر الحرم. فكان معلومًا بذلك أنه لو كان القتالُ فيهن حرامًا وفيه معصية، كان أبعد الناس من فعله صلى الله عليه[واله] وسلم))[٨].

وهناك رأي يقول إنَّ جواز القتال ابتداء في الأشهر الحرم ليس لأن الحكم منسوخ بل كون المشركين انتهكوا حرمة البيت الحرام ولم يراعوا مقدساته فهو يرى ان المشركين هم المعتدين وكان اعتداؤهم هو صد المسلمين عن المسجد الحرام ومنعهم منه ونشرهم الاوثان والاصنام كل ذلك هو اعتداء يستوجب القتال، ولأن إقرار حقوق عباد الله في أرض الله وحماية المستضعفين من بطش

---

(١) الطوسي/ التبيان، ٢٠٦/٢، وذهب الى هذا القول الطبرسي/ مجمع البيان، ٦٤/٢، الراوندي، فقه القرآن، ٣٥٧/١.

(٢) ظ: الرازي/ مفاتيح الغيب، ٢٦٤/٣.

(٣) التوبة/ ٥.

(٤) الميزان: ٩٥/٢

(٥) ظ: الماوردي/ النكت والعيون، ١٥٤/١، الكيا الهراسي/ احكام القران، ١٧٦/٤، القرطبي/ الجامع لأحكام القران، ١٣٤/٨، ابن كثير/ تفسير القران العظيم، ٤/ ١٤٩-١٥٠، السيوطي/ الدر المنثور، ٤١١/١، الالوسي/ روح المعاني، ٩١/١٠، ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ٢٦٥/٢.

(٦) التوبة/ ٣٦.

(٧) البقرة/٢١٧.

(٨) الطبري / جامع البيان، ٣١٤/٤.

المتجبرين لا يقل حرمة عند الله من حرمة الأشهر الحرم فقد أبيح القتال فيها لمن ظُلموا من المسلمين ومن فُتنوا في دينهم وأُخرجوا من ديارهم ظلمًا وعدوانًا[١].

وفي فلسفة الأشهر الحرم، قالوا :((كان تحريم القتال في هذه الأشهر الأربعة أَحَدَ الطرق لإيقاف الحروب الطويلة الأمد ووسيلة للدعوة نحو الصلح والدعة، لأنّ المحاربين إذا وضعوا أسلحتهم في هذه الأشهر الأربعة، وأخمدت نيران الحرب ووجدت الفرصة للتفكير، فمن غير المستبعد أن تنتهي الحرب ويحل السلام محلّه، لأنّ الشروع المجدد بعد إيقاف القتال وانطفاء نار الحرب في غاية الصعوبة، ولا ننسى أن المقاتلين في حرب فيتنام خلال العشرين سنةً من الحرب كانوا يواجهون صعوبة كبيرة لإيقاف القتال خلال أربع وعشرين ساعة لبداية العام الميلادي الجديد، إلاّ أنّ الإسلام جعل لأتباعه قراراً بإيقاف القتال خلال أربعة أشهر، وهذا الأمر بنفسه يدل على روح السلام في الإسلام والمطالبة بالصلح))[٢].

الخلاصة: ان العرب في الجاهلية كانت تحرم القتال في الأشهر الحرم ، وكان التحريم معروفاً في ملة إبراهيم الخليل ، وقد ابقى الإسلام على حرمة تلك الأشهر وحرم فيها القتال الا دفاعاً. وقد اختلف العلماء، هل حرمة القتال فيها باقية أم نسخت؟ على قولين: الاول أنها نسخت، وأن تحريم القتال فيها نُسخ، وقول الآخر يرى أنها لم تُنسخ، وأن التحريم فيها باقٍ كما كان.

الفرعُ الثَّاني: النَّسيء زيادةٌ في الكفر

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[٣].

النسيء لغة: من نسأ الشيء ينسؤه نسأ ومنسأة ونسيئا إذا أخره تأخيرا ، وهو تأخير الشيء ودفعه عن وقته[٤].

---

(١) ظ: سيد قطب/ في ظلال القران، ٢٠٥/١-٢٠٦.

(٢) ناصر مكارم الشيرازي/الأمثل، ٤٧/٦.

(٣) التوبة/٣٧.

(٤) ظ: الفراهيدي/ العين، ٧٤/٢، ابن دريد/ جمهرة اللغة، ١٢٣/٢، ابن منظور/ لسان العرب، ١٦٦/١.

وجاء إن النسيء ((هو فعيلٌ بمعنى مفعول من قولك: نَسَأْتُ الشيءَ، فهو مَنْسوءٌ، إذا أخَّرته))[١]. اذاً النسيء في اللغة هو تأخير الشيء.

قال المفسرون أن آية النسيء تشير الى إحدى السُنن الخاطئة في الجاهلية، وهي سنة النسيء التي يراد منها تغيير الأشهر الحرم، ففي أحد الاعوام يقرّرون حليّة الشهر الحرام ويحرمون أحد الأشهر الحلال للمحافظة على عدد الاشهر الحرم أربعة[٢].

وفي معنى النسيء جاء :((يعني تأخير الأشهر الحرم عما رتبها الله سبحانه عليه وكانت العرب تحرم الشهور الأربعة وذلك مما تمسكت به من ملة إبراهيم وإسماعيل وهم كانوا أصحاب غارات وحروب فربما كان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغزون فيها فكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمونه و يستحلون المحرم فيمكثون بذلك زمانا ثم يزول التحريم إلى المحرم ولا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة ...))[٣]. وقال صاحب الكشاف:((والنسيء : تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر ، وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات ، فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شقّ عليهم ترك المحاربة ، فيحلّونه ويحرّمون مكانه شهر آخر ، حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم ، فكانوا يحرّمون من شقّ شهور العام أربعة أشهر وذلك ليوافقوا العدّة التي هي الأربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين))[٤].

إما أنه كيف كان ذلك فقد اختلف فيه كلام المفسرين كأهل التاريخ[٥]. ذهب جمهور المفسرين إلى القول أن النسيء المراد به التأخير أي تغيير الاشهر الحرم ، إذ كان العرب يقررون حلية شهر حرام في عام ما ويحرمون احد الاشهر الحلال للمحافظة على العدد ، فمثلا يحرمون شهر صفر بدل محرم ،

(١) الجوهري/ الصحاح في اللغة، ٢٠٥/٢.
(٢) ظ: ناصر مكارم الشيرازي/ الامثل، ٤٦/٦.
(٣) الطبرسي/ مجمع البيان، ٤٤/٥.
(٤) الزمخشري/ الكشاف ، ٤٢٠/٢.
(٥) ظ: محمد حسين الطباطبائي/ الميزان: ١٥١/٩.

فكانوا يحلون المحرم ، فيستحلون القتال فيه ؛ لطول مدة التحريم عليهم بتوالي ثلاثة أشهر محرمة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ثم يحرمون صفر مكانه ، وهذا عليه اغلب المفسرين[١].

وهناك من المفسرين من يذكر في سبب هذا التأخير وجهًا آخر، فيقول:((النسيء مصدر كالنذير والنكير معناه التأخير، والمراد منه هنا تأخير الأشهر الحرم وغيرها من الأشهر القمرية عما رتبها الله سبحانه عليه، فإن العرب علموا أنهم لو رتبوا حسابهم على السنة القمرية فإنه يقع حجهم تارة في الصيف، وتارة في الشتاء، وكان يشق عليهم الأسفار، ولم ينتفعوا بها في المرابحات والتجارات، لأن سائر الناس من سائر البلاد ما كانوا يحضرون إلا في الأوقات اللائقة الموافقة فعلموا أن بناء الأمر على رعاية السنة القمرية يخل بمصالح الدنيا، فتركوا ذلك واعتبروا السنة الشمسية، ولما كانت السنة الشمسية زائدة عن السنة القمرية بمقدار معين احتاجوا إلى الكبيسة، وحصل لهم بسبب تلك الكبيسة أمران. أحدهما: أنهم كانوا يجعلون بعض السنين ثلاثة عشر شهرًا بسبب اجتماع تلك الزيادات. والثاني: أنه كان ينتقل الحج من بعض الشهور القمرية إلى غيره، فكان الحج يقع في بعض السنين في ذي الحجة، وبعده في المحرم، وبعده في صفر، وهكذا في الدور، حتى ينتهي بعد مدة مخصوصة مرة أخرى إلى ذي الحجة، فحصل بسبب الكبيسة هذان الأمران الزيادة في عدة الشهور، وتأخير الحرمة الحاصلة لشهر إلى شهر آخر))[٢]. وأورد القرطبي رأياً مفاده أن الشهر النسيء ، بمعنى الشهر الذي يأتي متأخراً ، وأن الشهر الذي يضاف هو لتقويم انحراف السنة عن مواسمها الفصلية ، وعليه : فكلمة (النسيء) في القرآن الكريم بمعنى شهر التعديل والتقويم، والغاية منه تأخير الحج عن وقته تحريًّا منهم للسنة الشمسية[٣].

والشهر النسيء شهر كبيس ، اذا أضيف الى أشهر السنة لا يُعد من بينها ولا نقول إذا أضيف على سنة أن عدد أشهرها قد أصبح ثلاثة عشر شهرا ، بل تبقى السنة بأشهرها الإثني عشر المعروفة ، بينما الشهر النسيء الكبيس وظيفته الوحيدة تقويم الإنحراف الذي حصل للأشهر عن مواسمها كي تعود

---

(١) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٢٤٣/١٤ ، الماوردي/ النكت والعيون ، ١٠٥/٢ ، ابن عطية/ المحرر الوجيز، ٢١٨/١، السيوطي/ الدر المنثور، ٦٧/٥، البغوي/ معالم التنزيل، ٤٥/٤، ابن عاشور/ التحرير والتنوير، ٢٧٢/٦، سيد قطب/ في ظلال القران، ٢٩/٤، محمد حسين الطباطبائي/ الميزان ،١٥٢/٩، ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل، ٤٨/٦ .

(٢) الرازي/ مفاتيح الغيب، ٢٠/٨.

(٣) ظ: القرطبي/ الجامع لأحكام القران ، ١٢٥/٨

أشهر الربيع الى فصل الربيع وأشهر الجماد الى فصل جماد الحبوب والحصاد وأشهر الحج الى فصل الشتاء ، الفصل الأفضل بالنسبة لمناخ مكة الصحراوي ليكون موسما للحج وفتح الأسواق فيها حيث يكون الطقس رائعا والحرارة معتدلة(١).

ويعلل الرازي ذلك فيقول: والحاصل أن بناء العبادات على السنة القمرية يخل بمصالح الدنيا، وبناءها على السنة الشمسية يفيد رعاية مصالح الدنيا، والله تعالى أمرهم من وقت إبراهيم واسماعيل ببناء الأمر على رعاية السنة القمرية، فهم تركوا أمر الله في رعاية السنة القمرية، واعتبروا السنة الشمسية رعاية لمصالح الدنيا، وأوقعوا الحج في شهر آخر سوى الأشهر الحرم، فلهذا السبب عاب الله عليهم وجعله سببًا لزيادة كفرهم وإنما كان ذلك سببًا لزيادة الكفر، لأن الله تعالى أمرهم بإيقاع الحج في الأشهر الحرم، ثم إنهم بسبب هذه الكبيسة أوقعوه في غير هذه الأشهر، وذكروا لاتباعهم أن هذا الذي عملناه هو الواجب، وأن إيقاعه في الشهور القمرية غير واجب فكان هذا إنكارًا منهم لحكم الله مع العلم به، وتمردًا عن طاعته وذلك يوجب الكفر بإجماع المسلمين، فثبت أن عمله في ذلك النسيء يوجب زيادة في الكفر(٢).

هناك احتمال يرد أيضًا:((وهو أنّ ذا الحجة قد يقع في الصيف أحياناً، ممّا يسبب عليهم، حرجاً في موضوع الحج، ونعرف أن الحج لم يكن مسألة عبادية عند العرب فحسب، بل كان موسماً كبيراً منذ زمن إبراهيم الخليل(عليه السلام) يجتمع فيه خلق كبير، وتقام فيه الأسواق التجارية والإقتصادية والمحافل الشعرية والخطابية، ويفيدون منها فوائد عامّة، لذلك كانوا يبدلون شهر ذي الحجة حسب ميولهم ويجعلون مكانه شهراً آخر طيب الأجواء لطيف الهواء))(٣). أي انه لا يستبعد هذا الرأي فهو يقول إن الغايتين ربما تكونان صحيحتين غاية القتال او غاية الحج ، ولكنه يقول انه زيادة في الكفر كانوا يرتكبون مخالفتين في آن واحد إذ كانوا يحرّمون ما أحل الله ويحلّون ما حرّم الله(٤).

اذاً هذا الرأي يرى أن الغاية من النسيء هو تأخير الحج عن وقته تحرياً منهم للسنة الشمسية ، ليحافظوا على وقت الحج، بجعله ثابتًا في فصل الشتاء المناسب لمناخ مكة.

---

(١) ظ: البقاعي/ نظم الدرر، ٤٤٩/٣ ، الالوسي/ روح المعاني، ٩١/١٠ وما بعدها.

(٢) ظ: الرازي / مفاتيح الغيب ، ٢١/٨.

(٣) ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل، ٤٨/٦.

(٤) ظ: المصدر نفسه، ٤٩/٦

بينما يرى الطباطبائي:" أن النسيء الذي تذكره الآية عنهم إنما هو تأخير حرمة الشهر الحرام. للتوسل بذلك إلى قتال فيه لا لتأخير الحج الذي هو عبادة دينية مختصة ببعضها "[١]، ويقول ايضاً:" وأما ما ذكره بعضهم أن النسيء هو ما كانوا يؤخرون الحج من شهر إلى شهر فمها لا ينطبق على لفظ الآية البتة "[٢]. يرفض الطباطبائي الروايات والاقوال التي تربط النسيء بالحج فيقول:((فالحق أن النسيء هو ما تقدم أنهم كانوا يتحرجون من توالي شهور ثلاثة محرمة فينسئون حرمة المحرم إلى صفر ثم يعيدونها مكانها في العام المقبل. وأما حجهم في كل شهر سنة أو في كل شهر سنتين أو في شهر سنة وفي شهر سنتين فلم يثبت عن مأخذ واضح يوثق به، وليس من البعيد أن تكون عرب الجاهلية مختلفين في ذلك لكونهم قبائل شتى وعشائر متفرقة كل متبع لهوى نفسه غير أن الحج كان عبادة ذات موسم لا يتخلفون عنه لحاجتها إلى أمن لنفوسهم وحرمة لدمائهم، و ما كانوا يتمكنون من ذلك لو كان أحل الشهر بعضهم وحرمه آخرون على اختلاف في شاكلة التحريم، و هو ظاهر))[٣].

وأختلفوا في أول من نسأ : قالوا ان أوّل من نسأ بنو مالك بن كنانة وكان (يليه) أبو ثمامة عبادة بن عوف بن أمية الكناني، كان يوافي الموسم كل عام فيقول: أيّها الناس إني أُحدّث ولا أخاف ولا مردّ لما أقول إنّا قد حرمنا المحرم، وأخّرنا صفر، ثم يجيء العام المقبل فيقول: إنّا قد حرّمنا صفر وأخّرنا المحرم. قاله ابن عباس وقتادة والضحاك، او رجل من كنانة يقال له : نعيم بن ثعلبة، وقيل جنادة بن عوف وهو الذي أدركه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ، وقيل (عمرو بن لحي) أو إلى (القلمس)، وهو (حذيفة بن فقيم بن عامر بن الحارث)، أو (حذيفة بن عبد بن فقيم)، أو(قلع بن حذيفة بن عبد بن فقيم) وآخرون[٤].

(١) محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٥١/٩.

(٢) المصدر نفسه: ١٥٢/٩

(٣) محمد حسين الطباطبائي/ الميزان، ١٥٤/٩.

(٤) ظ: الطبري/ جامع البيان، ٢٤٥/١٤، الثعلبي/ الكشف والبيان، ١٤٠/٦-٤١، السيوطي/ الدر المنثور، ٦٨/٥، ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل، ٤٨/٦.

ذهب صاحب المنار إلى أن في النسيء الذي أوجده الجاهليون تشريع ديني ملزم لهم غيروا به ملة ابراهيم الخليل وبسبب سوء التأويل هذا واتباع الهوى سماه الله زيادة في الكفر أَيْ أَنَّهُ كُفْرٌ بشرع دين لم يأذن به الله فان تشريع الحلال والحرام حق لله وحده(١).

وبالمجمل يتفق جميع المفسرين أن النسيء هو زيادة في الكفر .

خلاصة المبحث الأول

١) توجه الرسول والمسلمون في أول الدعوة الإسلامية في صلاتهم إلى البيت المقدس كقبلة لهم
٢) يرى المفسرون أن الغاية من هذا التوجه هو لأجل استخلاص القلوب لله وتجريدها من كل عصبية لغير والإسلام ، كون الكعبة مقدس العرب القومي وكان التوجه لغيرها أمر يصعب على المسلمين التوجه إلى غيرها ، وذهب قسم من المفسرين إلى أن الغاية ايضًا هو كسب ود أهل الكتاب للدخول في الإسلام.
٣) جاء الأمر الإلهي للرسول (صلى الله عليه واله) بتغيير القبلة والإتجاه نحو الكعبة واتخاذها قبلة للمسلمين ، الغاية منها هو الرد على دعوى اليهود بقولهم يخالفنا ويتبع قبلتنا من جهة ومن جهة آخرى اختبار المسلمين .
٤) ذهب بعض المفسرين إلى أن جعل الكعبة قبلة للمسلمين هو استقلال الإسلام عن بقية الأديان .
٥) إنَّ الحج هو تشريع إلهي شرعه الله تعالى في القرآن الكريم كما شرعه ملة إبراهيم الخليل ، ولم يكن تشريعه إرضاء للعرب أو سُنة جاهلية أبقاها الإسلام
٦) تعود طقوس الحج إلى عهد النبي إبراهيم (عليه السلام) بعد الانتهاء من بناء الكعبة ، إذ أقام إبراهيم المناسك وتوارثها أحفاده من بعده
٧) أدخل الجاهليون في طقوس الحج ابتدعوها بعض التغييرات منها وضع صنمين على الصفا والمروة ، والحمس الذي أوجدته قريش ليتميزوا به عن قبائل العرب الأخرى
٨) إن أصل مشروعية الحج هو امتداد لدعوة النبي إبراهيم ، وأكد عليه الإسلام بعد إزالة مظاهر الشرك التي أدخلت فيه

(١) ظ: محمد رشيد رضا/ المنار، ٣٦٠/١٠

٩) ليس هناك حج جاهلي بل إن العرب كانت لهم مناسك ورثوها من ملة إبراهيم وخلطوها بعبادة الأصنام

١٠) الطواف حول الكعبة من شعائر الحج وهي شعيرة خالصة لله تعالى ، وشعيرة الطواف لم تسلم هي الأخرى من أضافات المشركين إذ كان بعضهم يطوف حول الكعبة عريانًا

١١) إنَّ الحجر الأسود هو حجر من أحجار الجنة ولم يكن نيزك سقط من السماء وكذلك لم يكن حجرًا ارضيًا .

١٢) إنَّ العرب كانوا يحرمون القتال في الأشهر الحرم ، وكان ذلك التحريم في ملة إبراهيم الخليل ثوارثه العرب ، ولما جاء الإسلام أقر تلك السنة الحسنة وأبقى على حرمة تلك الأشهر .

١٣) النسيء هو تأخير حرمة الأشهر الحرم ، أي يبدلون الأشهر حين تقتضي حاجتهم لذلك ، وهو زيادة في الكفر كما وصفه القرآن ، ويذهب أغلب المفسرين إلى أن النسيء يخص الأشهر الحرم ولا علاقة له بتواقيت الحج .

المبحثُ الثَّاني

البعدُ الدِّينيّ لمكّةَ في الإسلام عند المستشرقينَ

المطلبُ الأوَّلُ: موقف المستشرقينَ من القبلة والحجّ

المطلبُ الثَّاني: موقف المستشرقينَ من الشَّهر الحرام والنَّسيء

المطلبُ الأوَّلُ: موقف المستشرقينَ من القبلة والحجّ

الفرعُ الأوَّلُ: موقف المستشرقينَ من تحويل القبلة

أهم مواقف وأفكار المستشرقين عن تحويل القبلة مما يلي:

اولا: رغبة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وسعية في كسب ود اليهود لما هاجر الى المدينة ، فأتخذ عبادات قريبة من عبادات اليهود كاستقبال بيت المقدس في الصلاة وصوم يوم عاشوراء[١]. وفي هذا الصدد ذهب أحد المستشرقين إلى القول:((... وكان على محمد أن يعاهد اليهود الكثيرين النافذين في المدينة ... فبدأ محمد كثير التسامح نحو اليهود ، فكان يصوم يوم يصومون ، ويُوَلِّي وجهه شطر بيت المقدس في الصلاة ، وقد آمن به بعض أحبارهم ولا سيما عبد الله بن سلام مع هذه المقاومة الشديدة لانتشار الإسلام))[٢]. ثم نشبت حرب باردة بين محمد واليهود في المدينة أمر النبي أن تحول القبلة عن بيت المقدس الى مكة[٣]، ويعزو تغيير القبلة بعضهم الى خيبة أمل النبي محمد في إيمان اليهود بدعوته أو دعمه يقول :((ويبدو أن معارضة يهود المدينة له كان لها – بالأخص – تأثير كبير في وضوح صورة الإسلام كدين متميز. ففي تلك المرحلة بالذات، ونتيجة لرفض اليهود الإيمان به، أضحى للجماعة الإسلامية الناشئة طابع خاص واضح. وقد حدث تغير حاسم في مجرى الإسلام في السنة الثانية للهجرة (يوليو ٦٢٣ – يونيو ٦٢٤ م). وكانت بداية هذا التغير تحويل قبلة الصلاة من القدس إلى الكعبة في مكة))[٤].

ويرى عدد من المستشرقين أنَّ التحول إلى قبلة العرب القدامى الكعبة أحتاج إلى تعليل حتى لا يساء فهم قضية تحول القبلة بأنه عود إلى التقاليد الوثنية جرى تعليل ذلك الامر بأن إبراهيم وإسماعيل

---

(١) ظ: بول/ موجز دائرة المعارف ، ١٣٤/٢٩، رودي باريت/ محمد والقران/ ١٩٤، أرمسترونج/ سيرة النبي محمد/ ٢٤٣.

(٢) إيميل درمنغم/ حياة محمد/ ١٤٨.

(٣) ظ: فيلب حتي/ صانع التاريخ العربي/٢٨.

(٤) بول/ موجز دائرة المعارف ، ١٣٤/٢٩.

قد بنيا الكعبة وجعلاها حرمًا مقدسًا لله يحج إليه الناس وتكون رمزًا للوحدة الاسلامية في وجه الشرك والضلال ولهذا فقد أقترن الاعتراض عن اليهودية بالتوجه نحو مكة وما يرتبط بها من شعائر[١].

يتحصل أن سبب توجه المسلمين إلى بيت المقدس أول الامر في نظر المستشرقين أن الرسول(صلى الله عليه واله) لما هاجر إلى المدينة المنورة أستقبل بيت المقدس لغرض سياسي وكان فعله ذلك من تلقاء نفسه ، ثم بسبب معارضة اليهود له أنعطف نحو الكعبة ليجعلها قبلة للإسلام.

ثانيا: رغبة النبي محمد (صلى الله عليه واله) في إيجاد صلة بالقبائل العربية الوثنية فكان تحويل القبلة إلى مقدس العرب وهي الكعبة ، وحصل ذلك بعد أخفاقه في بناء علاقة وثيقه مع اليهود[٢]، ويرى بعضهم في هذا الشأن:((إنَّ سبب تحويل قبلة الصلاة الأورشماليه يندرج في اطار التصور الجديد عن أديان الوحي القديمة ، الذي ناله محمد بالتدرج في المدينة، ففي حين كان يشعر في الماضي أنه وثيق الصلة باليهود والنصارى، فقد حركة اخفاق دعايته بين هؤلاء الى ان يولي وجهه بالارتباط باخر وجده أخيرا في دين إبراهيم الذي ربط الوحي بينه وبين الكعبة ، ولهذا اصبح مكان الطقوس الوثنية حرمًا للإسلام ، وأتخذ مكانا مثل هذا قبلة للصلاة ، وكما كانت اورشليم قبلة لليهود. إن القبلة المكية التي وجب على محمد – حسب نظريته عن دين إبراهيم – أن يعدها الحق الأوحد لم تقتصر على رفع إحساس المسلمين بذاتهم الذي شكل عائقًا جديدًا بين اليهود المواجهين المستنكرين وبين الإسلام وإنما أيضا سهلت الدعاية بين القبائل الوثنية))[٣].

أي: أن خلاصة دعواه هو أن الرسول (صلى الله عليه واله) كان ذا صلة وثيقة باليهود ولكن بعد أن خفقت دعايته بينهم اتجه نحو دين إبراهيم واتخذ الكعبة قبلة له وهذا التحول يندرج تحت الاطار الذي يزعمه المستشرقين وهو التصور الجديد الذي حصل عليه الرسول بالتدرج عن إبراهيم في المدينة أو تحوله الى إبراهيم ليتخذه مرجعية.

---

(١) ظ: بروكلمان/ تاريخ الشعوب الإسلامية/ ٤٨، رودي باريت/ محمد والقران/ ٢٠٣.

(٢) بول/ موجز دائرة المعارف الإسلامية، ١٣٥/٢٩، ارمسترونج/ حياة محمد/٢٢٣.

(٣) تيودور نولدكه/ تاريخ القران، ٢٠٦/٣– ٢٠٨.

وقد وصف بعض المستشرقين تحويل القبلة بأنه:((الخطوة الدينية التي تفوق كل ما عداها ابداعا والهاما ، فتحول المسلمين الى القبلة المكية كان يعني أنهم يعلنون ضمنًا أنهم لا ينتمون الى أي مجتمع من المجتمعات بل يولون وجوههم شطر الله فحسب))[١].

ويرى عدد من المستشرقين أن تغيير القبلة هو استقلال بالدين الجديد الإسلام وجعله عقيدة متميزة لها جذور في مقدس العرب وهي الكعبة وكان المهاجرين والانصار يخلصون لمكة وجاء تحويل القبلة إليها عندها أصبح توجههم الخاص وكان هذا التوجه مستقلًا عن اهل الكتاب وان حماس المسلمين لمكة عاملا جديدا من عوامل صهر المهاجرين والانصار في أمة واحدة وكذلك جاء التحويل عاملا في تخفيف الم النزوح الذي حدث بسبب الهجرة ، وبه كان تحويل القبلة وجهلها هوية إسلامية خالصة[٢].

ويرد على افترآءات ومزاعم المستشرقين بما يلي:

١) إنَّ القول بأن تغيير القبلة جاء من تلقاء الرسول(صلى الله عليه وآله) وأن عمل ذلك غرض سياسي فهم يجهلون حقيقة الإسلام ، أن الرسول بلغَ ما جاءه من ربه فقط ، والقران الكريم يشير الى ذلك في آيات عدة منها قوله تعالى ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[٣]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[٤].[٥].

٢) كما ان الرسول لا دخل له في اختيار شيء قرره الله تعالى وارده وهو أنتفاء سلطة الرسول أمام الله كما قال تعالى﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[٦][٧].

---

(١) ارمسترونج/ حياة محمد/٢٤٤.

(٢) ظ: رودي باريت/ محمد والقران/٢٠٣، كارين ارمسترونج/ حياة محمد/٢٤٥.

(٣) ال عمران/٢٠.

(٤) المائدة/٩٢.

(٥) وورد في أيات عدة منها: المائدة/١٩٩، الرعد/٤٠، النور/٥٤، النحل/٨٢، العنكبوت/١٨، الشورى/٤٨.

(٦) آل عمران/١٢٨.

(٧) ظ: الرازي/ مفاتيح الغيب، ٣٨٠/٤.

٣) إنَّ المدة الفاصلة بين تحول القبلة وهجرة الرسول الى المدينة هي سبعة عشر شهرًا كانت فيها العلاقات بين الرسول واليهود على أحسن حال[١]، حيث عقد فيها الرسول مع زعماء اليهود وثيقة المدينة التي تكفل الحرية الدينية للجميع والامن والاستقرار في المدينة[٢] .

٤) إن تحويل القبلة لم يكن لأن اليهود لم يأمنوا بالرسول كما زعم المستشرقون بل أن الله تعالى أراد به الاختبار والتصفية والتمحيص ، والغرض هو تمحيص وإيمان قال تعالى﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾[٣] . فبين الله سبحانه في هذه الآية((إنَّ هذه الأحكام والتشريعات ليست إلا لأجل مصالح تعود إلى تربية الناس وتكميلهم، وتمحيص المؤمنين من غيرهم، وتمييز المطيعين من العاصين، والمنقادين من المتمردين))[٤].

٥) أما ادعاؤهم أن الرسول قد حصل على تصور جديد عن إبراهيم والكعبة عندما خالط اليهود في المدينة فهذا ادعاء واهي كون أن اسم إبراهيم قد ورد في السور المكية ثلاثًا وثلاثين مرة[٥][٦] . فكيف يقال أن النبي محمد(صلى الله عليه واله) قد حصل تصوره عن إبراهيم(عليه السلام) من اليهود.

الخلاصة: إن بعض المستشرقين رأى أن صلاة النبي(صلى الله عليه واله وسلم) إلى البيت المقدس أولاً لغرض كسب ود اليهود ورأى آخرون أن تحويل القبلة إلى الكعبة ثانيًا جاء لغرض كسب ود القبائل العربية الوثنية، فاعترضوا على كل حال على القبلة الوقتية بيت المقدس الدائمة الكعبة .

---

(١) ظ: د. رضا عبد المجيد المتولي/ تحويل القبلة في الفكر الاستشراقي/١٦١١،

(٢) ظ: محمد حسين هيكل/ حياة محمد/٢٢٨.

(٣) البقرة /١٤٣.

(٤) الطباطبائي/ الميزان، ١٨٨/١.

(٥) في سور: الانعام/ ٧٤، ٧٥، ٨٣، ١٦١، هود/ ٦٩، ٧٤، ٧٥، ٧٦. يوسف/ ٦، ٣٨، إبراهيم / ٣٥، الحجر/ ٥١، ٥١، النحل/ ١٢٠، ١٢١، مريم/ ٤١، ٤٦، ٥٨، الأنبياء/ ٥١، ٦٠، ٦٢، ٦٩، الشعراء/ ٦٩، العنكبوت/ ٣١، الصافات/ ١٠٤، ١٠٩، ص/٤٥، الشورى/١٣، الزخرف/٦٢، الذاريات/٢٤، الأعلى/١٩، النجم/٣٧.

(٦) ظ: محمد فؤاد عبد الباقي/ المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم /٢.

الفرعُ الثَّاني: موقف المستشرقينَ من حجّ البيت

كان الحج وما يزال موضع اهتمام من الباحثين الغربيين يدرسون شعائره ومشاعره عقدياً وتاريخياً واجتماعياً وجغرافياً وثقافياً. وقد وُجد منهم من أعد رسائل جامعية حول الحج حصل بها على أعلى الدرجات العليمة، كما ادعى بعضهم الآخر الإسلام ليستطيع الوصول إلى مكة المكرمة ، أنَّ شعيرة الحج نالت اهتمام طائفة من المستشرقين فقد أبدى عدد منهم إعجابه بالحج لما فيه من تقوية للروابط بين المسلمين ووحدة صفهم، وقد نتج عن تلك الرحلات مؤلفات عدة اشادت بالحج ، الا انها لم تخلُ من الطعون والشبهات مثل وصفهم بالأصل الوثني للحج أو اقتباسه من الاديان الاخرى وغير ذلك من الشبهات[١].

تعددت رحلات المستشرقين الى مكة المكرمة ، ومن أوائل المستشرقين زيتسن(ت١٨١١م)[٢]، حيث تنكر بهوية طبيب وأدعى دخوله الاسلام وشارك المسلمين في أداء الحج[٣] ، والمستشرق السويدي جون لويس بوركهارت(ت ١٨١٧م)[٤]، والاسباني دومينغو باديا(ت١٨١٨م)[٥]، والسير ريشارد برتون حيث أبدى اهتمامًا كبيرًا بالحج وركز على الطعن فيه[٦]، والهولندي سنوك خورسيه(ت١٩٣٦م) حيث أصبح مرجعًا مهما للمستشرقين الذي جاءوا بعده في دراستهم لمكة والحج[٧].

إنَّ معظم رحلات المستشرقين في القرنين التاسع عشر والقرن العشرين ركزت على زيارة المدن المقدسة في الحجاز وبالأخص ليشتركوا عن قرب في شعيرة الحج ودراستها لما للحج من أهمية في توحيد صفوف المسلمين وأذابة الفوارق العرقية والجنسية بينهم ، وقد أشار عدد من المستشرقين الى هذا الأمر بالقول:((لقد ظل الحج على مر العصور أكبر عامل موحد في الاسلام ، وأقوى رابطة بين

---

(١) ظ: محمد بن سعيد عبد الله السرحاني/ موقف المستشرقين من مكانة الحج في الإسلام دراسة تحليله(بحث)، مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد التاسع، العدد الثاني، ٢٠٢١م/ ٤٤.

(٢) مستشرق الماني الجنسية سافر الى مصر عام ١٨٠٧م واقام فيها وتنقل من منها الى الحجاز وتوفي ١٨١١م. ظ: عبد الرحمن بدوي/ موسوعة المستشرقين/٢٢٦.

(٣) ظ: بيتر برينت/ بلاد العرب القاصية رحلات المستشرقين الى بلاد العرب/١٠٧.

(٤) المصدر نفسه/١٠٨.

(٥) ظ: خوان غوستولو/ في الاستشراق الاسباني/٩٨.

(٦) ظ: عدنان محمد عبد العزيز وزان/ صورة الإسلام في الادب الإنكليزي، ٥٩٨/٢.

(٧) ظ: عبد الرحمن بدوي/ موسوعة المستشرقين/٢٤٥.

مختلف طبقات المؤمنين، وهو الذي جعل من كل مسلم قادر رحالة ولو مرة في العمر. واجتماعات كهذه لها تأثير فعال بين جماعات المؤمنين الذين يأتون من أقطار المعمورة . فالحج أتاح للزنوج والبربر والصينيين والفرس... والفقير والغني والوضيع والرفيع ، أن يجتمعوا ويتآخوا على أساس الإيمان المشترك . والحق أن الاسلام قد وفق أكثر من أديان العالم جميعًا في القضاء على فوراق الجنس والالوان القومية وخاصة بين أبنائه في أن الاجتماع في موسم الحج له الفضل الاكبر في تحقيق هذه الغاية))[١].

ذهب جمهور المستشرقين بأنه كان هناك حج الى مكة قبل الإسلام ، وقد عمل أهل مكة كثيرًا على توفير سبل أنجاحه من توفير الغذاء والماء لقاصدي مكة من مختلف أرجاء العرب لغرض الحج[٢]. ويشير بعضهم الى ذلك بالقول: إن هناك حج الى مكة ولا أحد يستطيع تحديده بدايته ، ويشير القرآن إلى أن إبراهيم [عليه السلام] هو أول من بدأ الحد ونادى المسلمين بأن يحجوا ، وعلى كل مسلم أن يؤدي هذه الشعيرة مرة في العمر، ويطوف الحجاج حول الكعبة سبع مرات، ويركضون بين الصفا والمروة، ويجتمعون على جبل عرفات على بعد اثني عشر ميلاً من مكة، وفي طريق العودة يضحون بالغنم أو الجمال في منى حيث يتم رمي الجمرات. وأحد أهم أعمال الحج تقبيل الحجر الأسود في جدار الكعبة[٣]. وإنَّ الحج لم يكن مقتصرا على الوثنيين العرب بل ان النصارى كانوا ايضًا يحجون، فقد كانوا يكرمون الكعبة وغيرها من أماكن العبادة الوثنية اذ يقول:" وهذه جماهيرهم تحج الى مكة ومنى وسائر المواسم والمناسك... [٤]، ثم يهاجم المستشرق كستر اولئك النصارى الذين يحجوان الى مكة فيقول:" ولا يخفي انهم كانوا الى كثير من الفرق والبدع المنفصلة والمتفرعة عن المذاهب النصرانية الشرقية "[٥].

وبالرغم من أن أغلب كتابات المستشرقين تضمنت التشكيك في مشروعية الحج في الإسلام إلا أنهم لم يستطيعوا إنكار بعض جوانب الحج وهذا ما صرح به أحدهم بالقول:((يعمل هذا الحج بصورة مهمه على جعل المسلمين يدركون انهم أمة واحدة تربطهم أواصر متينة))[٦].

---

(١) فليب حتي/ العرب تاريخ موجز/ ٥٨-٦٠.

(٢) ظ: كستر/ دراسة المستشرق كستر عن مكة المندرج في كتاب مكة في الدراسات الاستشراقية/ ١٨٧.

(٣) ظ: الفرد حيليوم / الإسلام/ ٧٠.

(٤) كستر/ دراسة المستشرق كستر عن مكة المندرج في كتاب مكة في الدراسات الاستشراقية /١٤٧ .

(٥) المصدر نفسه / ١٤٨.

(٦) مونتجمري وات/ محمد في المدينة/٤٧٠.

وأشار بعض المستشرقين إلى دور الحج في توحيد المسلمين بقوله لقد كان ولا يزال الحج قوة موحدة في الاسلام اذ يجتمع المسلمون من كل بلدان الارض لأداء هذه الشعيرة الدينية[١].

وفي حديث بعض المستشرقين عن عوامل وحدة المسلمين ذهبوا الى أن للحج الدور الاكبر في تغذية الروح الوحدة الاسلامية[٢]. وهذه الصورة للحج أدت الى أهتمام بعض المستشرقين بهذه الشعيرة الاسلامية. وشككوا في أصالته الإسلامية بغية الطعن بهذه الشعيرة المهمة في الإسلام.

أصل الحج في الإسلام بنظر المستشرقين

إنَّ مكانة الحج في الإسلام دفعت بعض المستشرقين إلى التشكيك في أصل هذه الشعيرة ، فهم يرون أنَّها شعيرة جاهلية ذات أصل وثني أدخلها الإسلام ضمن شعائره أو هي شعيرة ذات أصل يهودي.

أولاً: الأصل الوثني للحج

من المستشرقين من أدعى هذا الأصل هو فنسنك فقد ذهب أن الحج هو عادة وثنية في الأصل وكانت عناية الرسول أول الامر بالحج قليلة ولهذا لم ترد في السور القديمة[٣].

إنَّ دعوى الاصل الوثني للحج تبناها وتحدث عنها عدة مستشرقين منهم غولد تسيهر[٤]، هنري ماسيه[٥]، وأميل درغايم[٦]، وروم لاندو[٧]، ومونتغمري وات[٨]، وفليب حتي[٩]. ونوقش الأصل الوثني الوثني للحج وشعائره في دائرة العلوم الاجتماعية، وفي دائرة معارف الدين والاخلاق[١٠].

---

(١) ظ: روم لاندو / الإسلام والعرب/ ٤٩.

(٢) ظ: هاملتون جب/ وجهة الإسلام نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي/٢٢٩.

(٣) ظ: فنسنك/ موجز دائرة المعارف الإسلامية، ٤٦٤/١١.

(٤) ظ: العقيدة والشريعة في الاسلام: ص ٢٤.

(٥) ظ: الاسلام: ص١١٧.

(٦) ظ: حياة محمد: ص٣٦٧.

(٧) ظ: الاسلام والعرب: ص٣٨.

(٨) ظ: محمد في المدينة: ص٤٦٨.

(٩) ظ: تاريخ العرب: ١٨٥/١.

(١٠) ظ: محمد بن عبد الله السرحاني/ موقف المستشرقين من مكانة الحج في الإسلام(بحث)/٧٠.

وذهب بعض المستشرقين إلى أن الحج مزيج من الوثنية وطقوس أخرى، فيقول:((ويحتفظ الحج بأهمية رئيسية سواء كان بسبب نتائجه السياسية والاقتصادية أو بسبب قدمه ، وبالفعل فهو يبدو مزيجاً من البقايا الوثنية والطقوس الجديدة والمزارات التي يزورها الحاج في مكة هي أماكن عبادة قبل الإسلام))[١].

يرى ماسيه أن في الحج ثلاثة عناصر هي: الحصول على المغفرة والرحمة، والعنصر الثاني عنصر سياسي تقليدي حيث يقوم الحج من ناحية المبدأ على الأقل بدور جمعية كاملة للمؤمنين وأخيراً عنصرا أثنوغرافيا (علم خصوصيات الشعوب) وهو الطقوس المختلفة التي يمارسها الحجاج المسلمون[٢].

المسلمون[٢].

إنَّ محمدًا أثار اهتمامه بالحج للمرة الاولى في المدينة عندما انتصر في معركة بدر ففكر بفتح مكة وكان عليه أن يربط تلك العادة الوثنية للإسلام حتى يحقق دعواه ان الاسلام امتداد لإبراهيم عليه السلام[٣].

أدعى أحد المستشرقين أن مشروعية الحج جاءت إرضاءً للقبائل العربية، يقول:((... فأنه بعمله هذا سيظهر ايضًا لمشركي مكة أن الاسلام دين الجزيرة العربية ولا يمثل تهديدًا لمقدساتهم))[٤].

وذهب بعضهم إلى أن الإسلام عدل بعض معالم الحج حيث نزع منه الطابع الوثني وبقي على معالمه العامة وان الاسلام تبنى معالم الحج الوثني الخارجية دون تغيير كبير[٥].

يزعم بعض المستشرقين أن تقديس الحجر الأسود وأستلامة نوع من الوثنية وعبادة الأصنام لأن الحجر حسب ظنهم كان صنمًا من الأصنام التي كانت في الكعبة ولكنه لم يزل كغيرة من الأصنام في عام فتح مكة اذ يقول:((وفي مكة كان يطاف حول الكعبة التي فيها الحجر الأسود وكان مقدسًا من زمن قديم جدا ، وقد أخذ محمد بهذه العادة القديمة ، لما وضع شعائر دينه وجعل الكعبة مدار هذه الشعائر

---

(١) هنري ماسية/ الاسلام/١٦٧.

(٢) ظ: المصدر نفسه/ ١٧٣.

(٣) ظ: فنسنك/ موجز دائرة المعارف الإسلامية، ٤٦٤/١١.

(٤) محمد بن سعيد عبد الله السرحاني/ موقف المستشرقين من مكانة الحج في الإسلام دراسة تحليله(بحث)/ ٥٠ .

(٥) ظ: رودي باريت/ محمد والقرآن/ ٢٩.

))[١]. وفي الطواف حول البيت ولمس الحجر الأسود زعم المستشرق بول قائلاً:" نستطيع أن نستنتج من ممارسة المسلمين لهذه العشيرة ما كانت عليه عبادة الوثنين القديمة "[٢].

ثانيًا: إنَّ الحج مقتبس من الاديان الاخرى

ذهب بعض المستشرقين إلى القول أنَّ طقوس الحج في الاسلام مشابهة للحج عند النصارى وأن ووقوف عرفة هو يشابه احتفال لليهود[٣]، ولم يقتصر أحد المستشرقين على وقوف عرفه بل ذهب إلى أن الحج في الإسلام بأكمله يرجع الى أصل يهودي[٤].

ويساهم المستشرق فير(T.H.Weir) بتكريس شبهة التأثير النصراني واليهودي والجاهلي في صياغة ملامح الشريعة الإسلامية والإيحاء بأن العديد من العبادات التي جاء بها النبي محمد ما هي إلاّ موروثات متأصلة لدى العرب زمن الجاهلية إذ يقول:((... ولكنه [محمداً صلى الله عليه وآله وسلم] وجد الحج إلى الأماكن المقدسة متأصّلاً في نفوس العرب لا يستطيع له دفعاً. وكان قصاراه أَلاّ يُبقي من بيوت العبادة إلاّ على بيت واحد جعله بيت الله الواحد))[٥].

ويفصّل مستشرق آخر أكثر في دعمه لهذه الشبهة فيقول:((... وقد وازن (هوتسما Houtsma) بين الوقوف وبين إقامة بني إسرائيل على جبل سينا. فهؤلاء يعدّون أنفسهم لهذه الإقامة بالامتناع عن النساء وبغسل ثيابهم، وبذلك يقفون أمام الرب، وعلى هذا النحو لا يقرب المسلمون النساء ويرتدون ثياب الإحرام ويقفون أمام الخالق في سفح جبل مقدّس))[٦].

وينساق مع هذه الدعوى قائلاً:((ونلاحظ أن ثوب الإحرام ربما كان الثوب المقدّس عند قدماء الساميين، إذْ إنَّ الجزء الأعلى من الثوب الذي كان يرتديه الكاهن الأعظم في العهد القديم كان غير مخيط.. ويرتدي كهنة اليهود الأفود الصُّدرة حول الحرقفتين والمَيل حول الكتفين. ونجد لهذا نظيراً في الإسلام عند الصلاة وفي تكفين الميت. وكان العرب في جاهليتهم عند الكهانة يلبسون رداءً ومئزراً، كما

---

(١) بول/ موجز دائرة المعارف، ٩٦١/٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ٩٦١/٢٢.

(٣) ظ: المصدر نفسه / ٣٠.

(٤) ظ: محمد بن عبد الله السرحاني/ موقف المستشرقين من مكانة الحج في الإسلام(بحث)/٤٩.

(٥) فير/ موجز دائرة المعارف،٦١٨/٩ مادة:(الجاهلية).

(٦) فنسنك/ موجز دائرة المعارف الإسلامية، ٤٦٤/١١ مادة: (الحج).

كان الزهاد المتأخرون يرتدون مثل هذا الثوب. يضاف إلى ذلك أن اللون الأبيض يعدُّ مقدساً في كثير من الأديان... فلباس الإحرام والحالة هذه قديم جداً ولا يرجع أصله للإسلام. زد على ذلك أن لبس الحذاء محرمٌ كذلك... وهذه عادة سامية قديمة كذلك... ويجب كذلك على المحرم أن لا يغطّي رأسه، وربما كانت هذه عادة من عادات الحزن قبل الإسلام))[١].

كما ويصرّح بعض المستشرقين بالشبهة دون تردّد، فيقول: ورمي الجمرات شعيرة أخذها الإسلام عن الوثنية فلم ينصّ صراحة في القرآن، ولكنها ذكرت في سير النبي(صلى الله عليه واله) وفي الحديث[٢].

نلحظ أن بعض المستشرقين يرجع أصل الحج أما وثني أو إلى الأديان الأخرى وينفي أصالته الإسلامية كل ذلك مبني على رفضهم ذهاب إبراهيم عليه السلام الى مكة وبنائه البيت الحرام ، بينما أصالة الحج بأنه فكرة إسلامية خالصة أسسها إبراهيم الخليل وسار العرب على خطاه من بعده ولكنهم حرفوا هذه الشعيرة وأدخلوا فيها بعض مظاهر الشرك وعندما جاء الإسلام نقى الحج من كل ما أضيف اليه من طقوس الجاهليون وأعاد الشعيرة الى أصلها الابراهيمي الصرف.

في الوقت الذي ذهب فيه جمهور المستشرقين إلى القول أن هناك حج كان الى مكة المكرمة قبل الإسلام وبعد الإسلام بقية هذه الشعيرة على حالها سوى بعض التغييرات في طقوسها بعد إزالة مظاهر الوثنية منها ، ذهب قسم من المستشرقين ان مكة لم تكن مركزا للحج[٣].

وينفي بعض المستشرقين مسألة الحج الى مكة بالقول أنه لا يوجد هناك حج الى مكة بل أن الحجاج كانوا يقومون بزيارة الأسواق التجارية، وأن أمر الحج الى مكة أوجده الإسلام فلا يوجد دليل لدينا على أنه هناك حج اليها قبل الإسلام وكذلك لم تكن سوقا للحج وأن مواسم الحج فهي الأوقات التي كانوا يقيمون فيها أسواقهم أي: التي يتاجرون فيها[٤].

---

(١) فنسنك/ موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ٤٥٧/٢ مادة:(إحرام).

(٢) ظ: بوهل/ موجز دائرة المعارف، ٢١٨٠/١٠ مادة(الجمرة).

(٣) ظ: كستر/ دراسة المستشرق كستر عن مكة المندرج في كتاب مكة في الدراسات الاستشراقية /٢٣٠.

(٤) ظ: باتريشيا كرون/ تجارة مكة وظهور الإسلام/١٧٤.

إن مسالة الحج الى مكة هي مسالة توارثها العرب من ملة إبراهيم الخليل فهو من دعا الناس للحج وأسس مناسكه وأوقاته وكان العرب على تلك الحالة من قصد البيت والحج اليه حتى ظهور الإسلام ؛ نعم أن العرب الوثنيين أدخلوا بعض الطقوس والبدع في الحج ولكنهم أستمروا على قصد البيت والحج اليه من بلاد العرب(١).

بعد هذا الاستعراض الموجز عن الحج في كتابات المستشرقين تبين أن المستشرقين ينهمكون في النظر إلى الحج على أنه مجموعة من الطقوس والشعائر يدرسون ظاهرها ويحاولون ربطها بالشعائر الوثنية، ويربطونها بالحج عند الأمم الأخرى. ونظراً لحرصهم على تعمد تشويه هذه الشعيرة العظيمة من شعائر الإسلام فإنهم لا يرون النصوص القرآنية والحديثية التي بين أيديهم.

الخلاصة

١) اهتم المستشرقون بدراسة الحج وظهر ذلك من خلال ما كتبوه وفي الرحلات التي قاموا بها الى مكة.
٢) أظهر عدد من المستشرقين أعجابهم بمناسك الحج وبهذه الشعيرة لما تؤول اليه من وحدة للمسلمين وجمع لصفهم.
٣) أدعى بعض المستشرقين أن أصل الحج وثني أو تقليد لما في الأديان الأخرى كاليهودية او النصرانية.
٤) تجاهل عدد من المستشرقين الموارد التي خالف فيها الإسلام الحج الجاهلي
٥) من الأخطاء التي وقع فيها القسم الأكبر من المستشرقين في دراستهم الحج هو تجاهلهم المصادر الإسلامية واعتمادهم على بعض الرحلات او نقل من المستشرقين الذين قبلهم.
٦) يتفق جمهور المستشرقين على أنه كان هناك حج الى مكة قبل الإسلام وعند ظهور الإسلام بقية هذه الشعيرة مع تغيير معالمها الوثنية فقط.
٧) أدعى عدد من المستشرقين بعدم وجود حج الى مكة قبل الإسلام وأن الحج الى مكة فكرة جاء بها الإسلام.

---

(١) ظ: ابن حبيب/ المحبر/ ٣١١، ابن الاثير/ الكامل في التاريخ، ١٧/٢، الازرقي/ أخبار مكة، ١٧٦/١-١٧٩.

المطلبُ الثَّاني: موقف المستشرقينَ من الشَّهر الحرام والنَّسيء

الفرعُ الأوَّلُ: القتال في الشَّهر الحرام

تناول المستشرقون الجهاد في الإسلام في مواضيع كثيرة ووجهوا نقدهم من خلاله إلى العقيدة الإسلامية وذلك من خلال إثارة العديد من الشبهات حوله كتصوريهم العقيدة الإسلامية بعقيدة الدم والقتل وإنها تنتشر بحد السيف والجهاد له معنى واحد وهو القتال ، وأن الاسلام في سبيل تحقيق غايته في الأنتشار ضرب كل القيم والاعراف ومنها حرمة الاشهر الحرم. أدعى بعض المستشرقين أنَّ الاسلام عند تشريعه القتال بعد هجرة الرسول إلى المدينة قد بدأ مرحلة دموية بنشر الدين الجديد بقوة السيف ولم يقف بطريقة أي شيء حتى ما كان العرب يقدسه ويحترمونه كالأشهر الحرم فقد انتهك الإسلام حرمة هذه الأشهر وقتل أحد المكيين في شهر رجب وهو أحد الاشهر التي يحرم فيها القتال عند العرب(١)، وأنَّ المسلمين قد استغلوا الشهر الحرام وهاجموا قافلة صغيرة لأهل مكة واستولوا عليها ولم يكن ذلك بسبب قدرتهم العسكرية بل لأن هذا الامر حصل في الاشهر الحرم ، وحين سأل المسلمون عن انتهاكهم حرمة القتال وقعوا في حرج شديد ولكن القرآن برر لهم هذا العمل بان المشركين ارتكبوا ما أعظم وأفضح(٢).

وذهب بعضهم إلى القول أن النبي محمد(صلى الله عليه واله) هو من أمرهم بالقتال في الشهر الحرام وعمله ذلك هو مخالفة الشعور العربي بحرمة هذه الاشهر يعلق قائلا:" مما يجعل كثيرًا من الكتاب الاوربيين ينظرون الى ذلك العمل نظرة عدم ارتياح "(٣). وإنَّ المسلمين قد وقعوا في اشكاليه كبيرة عند قتلهم أحد المكيين في شهر رجب وهو أحد الأشهر التي يحرم فيها القتال وقد بلبل ذلك الحدث الجماعة المسلمة كثيرًا ولكنوا تغلبوا على الازمة بوحي قرآني يبرر لهم القتل في الشهر الحرام(٤). وموقف المستشرقين هذا يذكرنا بموقف المشركين الذين أثاروا ضجة كبيرة بدعوى انتهاك المسلمين الشهر الحرام(٥) ، ويصف الفريد جيوم موقف الرسول بعد هذه الحادثة بقوله:" إنَّ الخروج على أتفاق أجتمع عليه العرب جميعًا ليس أمرًا سهلاً ولكن التحرج في مثل هذه الأمور يجب أنَّ لا يعرقل ضرورة إبادة

(١) ظ: جان فلوري/ الحرب المقدسة/ ٦٩.
(٢) ظ: رودي باريت/ محمد والقران/ ٢١٠
(٣) الفريد جيوم/ الاسلام/٤٢.
(٤) ظ: جان فلوري/ الحرب المقدسة/ ٨٩.
(٥) ظ: الطوسي/ التبيان، ٢٠٥/٢.

الوثنية "[١]. فالمستشرق يزعم أنَ الغاية التي يريده تحقيقها الرسول(صلى الله عليه واله) تبرر له كل الوسائل حتى وأنَّ كانت تنتهك العرف السائد أو مقدس ما.

ويرى المستشرقون أن الأشهر الحرم تم أسلمتها من خلال سلخ سمة القداسة عنها وذلك لأن مصلحة الجماعة المسلمة لابد لها أن تتفوق على قداسة هذه الأشهر المفترضة رغم أن القتال في تلك الفترة هو شر ولكن الأذية التي لحق بها المسلمون تتجاوز هذا الشر ، وقد برر لهم القتال بنسخ الشريعة الجاهلية القديمة التي تحضر القتال في هذه الاشهر، وأنَّ مؤسسة الجاهلية كانت تحترم الأشهر الحرام عكس المسلمون الذين لم يراعوا هذه الحرمة في مواضع كثيرة [٢].

يعلل أحد المستشرقين أن فعل الرسول(صلى الله عليه وآله) كان يتطلب منه عدم الالتزام بالنظام الجاهلي، فيقول:((لم يكن لمحمد الكثير من المحاذير فقد كانت تلك الأشهر الحرم وما زالت جزءًا من النظام الوثني الذي كان يحاول هو التغلب عليه . وربما بدأ انتهاكه لها مساويًا للتقليل من شأن تلك الالهة الوثنية))[٣] ، أي: أن حرمة الأشهر الحرم لم تكن ذات أهمية دينية رئيسية للمسلمين في بداية صراعهم مع قريش[٤].

كذلك فقد أكَّد المستشرقون مراراً أنَّ الرسول محمد(صلى الله عليه وآله) كان قد سلك مسلكاً جديداً تمام الجِدة منذ أن هاجر إلى المدينة ومنذ أن تغيرت ظروف حياته هناك، وأنَّه لم يعد المبشر المُرسل إلى المجتمع الذي كان قد أقنعهم بالحجَّة بصدق الذي أُوحي إليه، وإنَّما ظهر الآن أقرب إلى أن يكون متعصباً مندفعاً يستغل كلَّ ما في سلطتهِ من قوةٍ ومهارةٍ وسياسة في فرض نفسهِ وفرض آرائهِ[٥] وقد صرَّح بهذا أكثر من مستشرق ، يقال:((إنَّ الدعائم التي سار عليها مُحمَّد وقد كانت سياسية محضة، إذ أنَّه لم يكن قد أقرَّ حتَّى ذلك الحين طريقة إكراه الناس على اعتناق الإسلام أو معاقبتهم على رفضهِ

(١) الفريد جيوم/ الاسلام/ ٤٢.
(٢) ظ: بروكلمان/ تاريخ الشعوب الاسلامية/ ٤٩، جان فلوري/ الحرب المقدسة/٨١.
(٣) كارين ارمسترونج/ حياة محمد/ ٢٥٦.
(٤) ظ: كندرمان/ موجز دائرة المعارف الإسلامية، ٩٩١/١٩.
(٥) ظ: د. حيدر قاسم مطر التميمي/ الجهاد الإسلامي في الدراسات الاستشراقية(بحث)/١٠٢.

))[١]، نقلًا عن الدكتور حيدر قاسم مطر التميمي[٢]. ومستشرق آخر يقول:((بدأت فترة هامة في حياةِ مُحمَّد ، لقد ظلَّ حتَّى الآن ينشر الإسلام معتمداً على الحجَّة والإقناع، صابراً على ما يلقاه من أذى المشركين، حتَّى نزل كثير من الآيات تحث المسلمين على الجهاد وتُبشِّر من استُشهد بالجنة.. وهكذا انتقل الإسلام من دور الحُجَّة والإقناع إلى دور الجهاد والقوة، ولم يكن ذلك غريباً على العرب الذين عُرفوا بالشجاعة والإقدام وحبِّ القتال))[٣]. وإنَّ مُحمَّداً بعد الهجرة إلى المدينة المنورة قد وصل إلى نقطة تحول كبرى وإنحراف عن تعاليم السيد عيسى المسيح ، وهي عدم الإكراه واجتناب وسائل القوة للوصول إلى قلوب الكفار ، بل انه استخدم وسائل البطش والسيف في سبيل نشر دعوته[٤].

نورد بعض الشهادات العادلة التي أدلى بها بعض كبار المستشرقين حول القتال وحقيقته في الإسلام والعديد من المستشرقين الذين تناولوا موضوع الجهاد بالبحث والدراسة، لعلَّ من أبرزهم المستشرقة الإيطالية لورا فيشيا فاغليري (Laura Veccia Vaglieri 1893-1989)، التي بيَّنت أنَّ التحول السياسي والديني العميق الذي أحدثه النبي محمد(صلى الله عليه وآله) في الجزيرة العربية عموماً قد ((أزعج طائفةً من الناس، فراحوا يتساءلون ما الذي أدى إلى حدوثِهِ، ولكن كثيراً منهم كانوا عمياً أو كانوا يُغمضون أعينهم عمداً، هائمين طويلاً على نحوٍ بائس في متاهة التخمينات الخاطئة، إنَّهم لم يُريدوا أن يعتقدوا أنَّ حكمة الله وحدها كانت مسؤولة عن رسالةِ مُحمَّد ، آخر الأنبياء الكِبار حَمَلَة الشرائع والنبي الذي ختم سلسلتهم إلى الأبد، إنَّ مثل هذهِ الرسالة كان يتعيَّن عليها أن تكون رسالةً عالمية لجميع أفراد الجنس البشري من غير تمييزٍ وعلى اختلاف الجنسيات والأوطان والأعراق، لقد كان أولئك إمَّا عمياً وإمَّا غير راغبين في أن يروا))[٥]، أي : أن النبي محمدًا أحدث تحولا سياسيا ودينيا عميق، الامر الذي أزعج طائفة كبيرة من المستشرقين جعلهم يطعنون ويخمنون تخمينات خاطئة بغية التشكيك بما أنجزه . كذلك فقد كان لهذهِ المستشرقة رأيٌ تحدثت فيه عن الموقف الذي كان يواجه الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) حين الإذن بالقتال وبعد الهجرة، تقول:((كان من دأبِ الرسول، بوصفهِ نبياً موحىً إليه، أن

---

(١) Muir, Sir William, The Life of Mohammad.. From Original Sources, Boston: Adamant Media Corporation, 2001, p.282.

(٢) الجهاد الإسلامي في الدراسات الاستشراقية(بحث)/١٠٢.

(٣) إيرفنغ، واشنطن، مُحمَّد وخلفاؤه، ترجمة: هاني يحيى نصري، (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩م)، ص٢١٠.

(٤) ظ: المصدر نفسه/٢٠٩.

(٥) فاغليري، لورا فيشيا، دفاع عن الإسلام، تر: منير البعلبكي /٢٨.

يُخاطب المكِّيين ويُحدثهم عن رؤاه السماوية التي طلبت إليه أن يصبر على الأذى والتي أثارت سخط قريش حتَّى إذا اتخذ القرار العسير بالهجرةِ إلى المدينة، وبذلك أصبح محور صراع سياسي، كان عليه أن يختار بين الموت على نحوٍ مُذل، وهو أمر لا يتفق مع رغبات الله ، وبين القتال لإنقاذ نفسهِ وجماعتهِ الصغيرة من الهلاك. كان الصراع يدور بين الفوضوية ومادية الوثنيين المتبربرين ومُخاصمات وأكاذيب اليهود غير المتسامحين على الرغم من تحضرهم البعيد، من ناحية، وبين مثل أعلى رفيع في التجدد الديني والإجتماعي من ناحيةٍ ثانية. ذلك كان المثل الأعلى الذي أراد مُحمَّد أن يُحققه بأيِّ ثمنٍ فقاتل قتال الرجل الوديع ضدَّ الغطرسة والطغيان، أو قُل قتال الرجل الذي لا يرغب في الحرب ولكنه مُكره على منازلة أولئك الذين أصروا على تدميرهِ بالقوة))[١].

ذهب مستشرق آخر إلى أن الذي ((ينتهي بزعم الزاعمين أنَّ الإسلام قد انتشر بالسيف إلى الغاية من السخف والغثاثة، ولا يرتضي أن يُعتبر هذا الزعم من أكاذيب التاريخ؛ فإنَّه أضعف من أن يُحسب من الأكاذيب التي تحتاج إلى تصحيح، وهو أظهر بطلاناً من أن يُبطل بالمناقشة؛ لأنَّ القائل بهِ سواء ومن يقول: إنَّ رجلاً واحداً حمل سيفه وخرج إلى جميع مخالفيه؛ ليبعث فيهم الخوف من سيفهِ . وحده . ويسوقهم كرهاً إلى اعتقاد ما يُنكرون، فيعتقدونه ويثبتون عليهِ ثمَّ يحملون السيف معه لتخويف الآخرين))[٢].

كما يقول المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون (Gustave Le Bon 1841-1931):((إنَّ القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً في أديانهم، فإذا ما حدث وأعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام واتخذوا العربية لغةً لهم فذلك لِمَا رأوا من عدل العرب الغالبين ما لم يروا مثله من سادتهم السابقين))[٣].

وعند الرجوع الى المصادر التاريخية وأقوال المفسرين نجد أن الرسول(صلى الله عليه واله) لم يأمر بالقتال في الأشهر الحرم عندما أرسل سرية عبد الله بن جحش إنّما كانت غايته من السرية هي الترصد والاستطلاع على قريش والتعرف على أخبارهم[٤]، وأن النبي(صلى الله عليه وآله) كان يحرم

---

(١) فاغليري، لورا فيشيا، دفاع عن الإسلام / ٣٠.

(٢) عباس محمود العقاد/ ما يُقال عن الإسلام /١٠٢.

(٣) غوستاف لوبون/ حضارة العرب/١٣٤.

(٤) ظ: ابن هشام/ السيرة ، ٦٠٢/٢.

القتال في الأشهر الحرم[١]، وأن أمر التعرض للقافلة هو أن ((ابن جحش الأسدي . وهو ابن عمّة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) . وذلك قبل بدر بشهرين ... فانطلقوا حتّى هبطوا نخلة . وهي أرض بين مكّة والطائف . فوجدوا بها عمرو بن الحضرميّ في قافلة تجارة لقريش في آخر يوم من جمادي الأخرة، وكانوا يرون أنه من جمادي وهو رجب . من الأشهر الحرم . فاختلف المسلمون أيقتلون الحضرميّ ويغنمون ماله، لعدم علمهم بحلول الشهر الحرام، أم يتركونه احتراماً لحرمة شهر رجب، وانتهى بهم الأمر أن شدّوا على الحضرميّ فقتلوه وغنموا ماله))[٢] وعند نزول الآية الكريمة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾[٣]. قد جوز الله (سبحانه وتعالى) فيها القتال في الأشهر الحرم، وبين الله تعالى أن الفتنة في الدين أعظم من قتل المشركين في الشهر الحرام وأن كان محظورا لا يجوز[٤]. وإنَّ القرآن الكريم قد أمضى بجديّة السنّة الحسنة الّتي كانت موجودة منذ قديم الأزمان بين العرب الجاهليّين بالنسبة إلى تحريم القتال في الأشهر الحُرم (رجب، ذي القعدة، ذي الحجّة، محرم) وهذا يفند ما أدعاه المستشرقون أن الإسلام قد ألغى الأشهر الحرم بل أن القرآن أمضى هذا القانون والتقليد العربي وأكد على حرمة تلك الأشهر، ولكن هذا التحريم لا يخلوا من استثناءات فلا ينبغي السماح للمجموعات الفاسدة من استغلال هذه التحريم بإشاعة الظلم والفساد وانتهاك الحقوق ، فعلى الرّغم من أنّ الجهاد حرام في هذه الأشهر الحُرم، ولكنّ الصد عن سبيل الله والكفر به وهتك المسجد الحرام وإخراج الساكنين فيه وأمثال ذلك أعظم إثماً وجرماً عند الله[٥].

إلى جانب آخر إن القول بأن أهل المدينة كانوا أهل سلب ونهب يرون لهم ما أجازه لهم الرسول(صلى الله عليه واله) بمهاجمة قوافل قريش، فان هذا الكلام مردود ، لأن أهل المدينة كأهل مكة لم يكونوا أهل بادية يعيشون على الغزو والسلب، أما المهاجرون فلم يفعلوا ذلك قبل موقعة بدر[٦].

---

(١) ظ: جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ١١٨/١٦.

(٢) ناصر مكارم الشيرازي/ الامثل ، ١٠٦/٢.

(٣) البقرة/ ٢١٧.

(٤) ظ: أبو بكر البيهقي/ السنن الكبرى ، ١٢/٩، الطبرسي/ مجمع البيان ، ٢٤/٢، الرازي/ مفاتيح الغيب ، ٢٦٤/٣.

(٥) ظ: ناصر مكارم الشيرازي/ الأمثل ، ١٠٧/٢.

(٦) ظ: محمد حسين هيكل/ حياة محمد/ ٢٢٥.

إنَّ الهدف من أرسال سرية عبد الله بن جحش وأرسال السرايا الأولى كذلك هو أفهام قريش أن مصلحتهم تقتضي التفاهم مع المسلمين من أهل مكة الذين هاجروا إلى المدينة بسبب الاضطهاد الذي تعرضوا له في مكة ، تفاهم يكفل للمسلمين حرية الدعوة الى الدين الإسلامي، فإذا أيقنت قريش تعرض تجارتها للخطر من أبنائها الذين اضطهدتهم وهاجروا الى المدينة دعاها ذلك الى التفكير إلى التفاهم معهم(١).

الخلاصة

١) ادعى المستشرقون أن النبي محمد (صلى الله عليه واله) هو من أمر بانتهاك حرمة القتال في الاشهر الحرم حين أرسل سرية من المسلمين لقتل أحد المكيين.

٢) كذلك قالوا أن الرسول بعد أن وقع في إحراج كبير وضجة جراء فعلتهم باختراق القانون العربي بحرمة القتال في الاشهر الحرم برر فعلة أصحابه من خلال الوحي القرآني وجوز لهم القتال في الاشهر الحرم .

٣) قالوا إنَّ الإسلام قد ألغى الأشهر الحرم في حملته للقضاء على الوثنية وطقوسها .

٤) يرد عليهم في ذلك أن النبي لم يأمر السرية التي ارسلها بالقتال إنما كانت الغاية من إرسالهم هو الترصد والاستطلاع. وكتب التاريخ تؤيد ذلك ولكن المستشرقون يأخذون من الكتب ما يلائم مزاجهم فقط .

٥) إنَّ الاسلام أقر حرمة الاشهر الحرم وأكد القرآن الكريم على ذلك . ولكن تلك الحرمة لها شروط واستثناءات وبهذا لم تلغى الاشهر الحرم كما أدعى المستشرقون.

٦) إن الرسول الاعظم (صلوات الله عليه وعلى آله) أستنكر عمل سرية عبد الله بن جحش ولم يقبل منهم الغنائم وأن القرآن الكريم هو من جوز أمر القتال في الشهر الحرام بحالات خاصة ولهذا فلم يبرر الرسول أمر القتال إنما الباري تعالى هو من جوز القتال.

---

(١) ظ: محمد حسين هيكل/ حياة محمد /٢٢٤.

الفرعُ الثَّاني: موقف المستشرقين من النَّسيء

تناول المستشرقون النسيء باعتباره التقويم أحد مظاهر التقويم الجاهلي فقالوا في عصور قبل الإسلام كان يقام الحج إلى أماكن مختلفة في جزيرة العرب ، وجرت الاعياد بالارتباط بالوثنية ووجدت أسواق سنوية في مواسم ملائمة من السنة حتى يكون القس مناسب لعقدها، للحافظ على جميع هذه الاحداث بشكل منظم تم استخدام التقويم الشمسي القمري ، ولكي يجانسوا بين الاثنين تم إقحام نظام النسيء وهو مصحح التقويم الذي أستخدمه بنو كنانه حيث قاموا بتركيب نقلة في الشهر وفقًا للدورة نفسها كالتقويم اليهودي(١).

وورد أن كلمة ((النسيء المذكورة في القرآن والتي كثر حولها الجدل إنما تشير إلى زيادة هذا الشهر الثالث عشر ، كما بين ذلك من جديد الأستاذ (موبرج) بيانا مقنعا لا جدال فيه . ولم يحرم النسيء تحريما صريحا على يد محمد عليه الصلاة والسلام إلا في السنة العاشرة للهجرة وكان وقت الحج، الذى كان يرتبط في أول الأمر بالخريف، أعنى أنه قد حدد بحسب السنة الشمسية، يعين بحسب نوء أحد المنازل الثمانية والعشرين للقمر. وهذا الضرب من تعيين المواقيت الشمسية نجده في العصور القديمة عند أمم متحضرة (كالصين والهند ومصر) على أن السنة القمرية الشمسية في عهد النبي [صلى اللَّه عليه واله وسلم] كانت قد تقدمت على السنة الشمسية بكثير بسبب عدم كفاية وسائل الملاحظة والكبس فوقعت بداية السنة القمرية كما وقع شهر ذي الحجة السابق لها وكذلك وقت الحج في فصل الربيع))(٢).

قد أدعى (جيمز هنري بريستد) وهو عالم فلك، أن هناك خطأ وقع فيه القرآن الكريم في مسألة النسيء، فيقول:((لقد راج التقويم القمري في الدنيا لكثرة تداوله في غرب آسيا ، ولغلبة الإسلام سياسيا بوجه خاص ولقد مضى محمد (صلى الله عليه[واله] وسلم) بالاختلاف بين التقويم القمري والشمسي إلى أقصى حد من العبث يمكن تصوره ، حتى إنه أبطل إضافة الشهر الكبيسة (Intercalary months). إن السنة القمرية المزعومة تشتمل على٣٥٤ يوما ، وتقل أحد عشر يوما عن السنة الشمسية. وهكذا تزيد السنة القمرية سنة كل٣٣ سنة ، وثلاث سنين في كل قرن. فلو حل رمضان في يونيو في هذه السنة

(١) ظ: هيديوكي أيو/ التقويم في مكة قبل الإسلام المندرج في كتاب مكة قبل الإسلام/٩٩.
(٢) هارتنر / موجز دائرة المعارف الاسلامية، ٢٨٣/١٧.

فسوف يحل بعد ست سنين في أبريل... وقد سجل تقويمهم واحدا وأربعين عاما زائدا في هذه المدة من قرننا. وقد ألغت كنيسة اليهود الشرقية هذه السخافة واختارت طريقة إضافة الشهور(Intercalation) لتجعل تقويمها مثل التقويم الشمسي ، وهذا هو السبب في أن غرب آسيا يعانى حتى الآن لعنة هذه الطريقة القديمة–التقويم القمري))[١].

وذهب آخرون أن إلغاء النبي محمد(صلى الله عليه واله) التقويم التقليدي لمكة واعتماد تقويم قمري صاف تغير على أثره الحج التقليدي والنظام التجاري في شبه الجزيرة العربية[٢]، حتى أن بعض الكتاب تبنى هذا الرأي وأعتبر أن الرسول(صلى الله عليه واله) قان بتغيير القويم ، بالقول:((... وكانت أعمال الحكومة تشغل وقته كله ، فقد كان يُعنى أشد العناية بكل صغيرة وكبيرة في شؤون التشريع والقضاء، والتنظيم المدني، والديني، والحزبي. وحتى التقويم نفسه قد عني بتنظيمه لأتباعه، فقد كان العرب يقسمون السنة كما يقسمها اليهود إلى اثني عشر شهراً قمرياً، وكانوا يضيفون إليها شهراً كل ثلاث سنوات لكي تتفق مع السنة الشمسية. فأمر النبي أن تكون السنة الإسلامية اثني عشر شهراً على الدوام كل منها ثلاثون يوماً أو تسعة وعشرون على التوالي، وكانت نتيجة هذا أن أصبحت السنة الإسلامية فيما بعد غير متفقة مع فصول السنة، وأن تقدم التقويم الإسلامي سنة كاملة على التقويم الجريجوري كل اثنتين وثلاثين سنة))[٣].

نلحظ أن المستشرقين يتبنون رؤية أن النسيء هو عملية إلغاء للتقويم السائد عند العرب قبل الإسلام ، وهذا أدعاء غير صحيح فقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن عملية النسيء هي تقديم وتأخير الأشهر الحرم لأسباب أوردها البحث ، ولا علاقة لها بالتقويم المعمول به في جزيرة العرب.

ولسنا هنا بصدد مناقشة الفرق بين التقويم القمري والشمسي ، ولكن لابد من توضيح أن ما نسبه المستشرقون إلى الإسلام أنه الغى التقويم هو في الحقيقة غفلة شديدة ترجع إلى المستشرقين أنفسهم ، فأنه لم يمنع القرآن الكريم إضافة (الشهور الكبيسة) ، وبنفس الوقت أن العرب كان تقويمهم هو التقويم القمري ، وإنما حرم النسيء الذي يعني تأخير شهر وتقديم شهر آخر عليه. والقصة بدأت مع إبراهيم

(١) علي بن نايف الشحود/ موسوعة الغزو الفكري الثقافي واثاره على المسلمين ، ٢٤٦/١٦.
(٢) ظ: هيديوكي آيو/ التقويم في مكة قبل الإسلام المندرج في كتاب مكة قبل الإسلام/ ١٠٢.
(٣) وول ديورانت/ قصة الحضارة ، ٣٢/١٣.

الخليل فمن بين العادات الكريمة التي دعا إليها إبراهيم (عليه السلام) العرب تحريم أربعة أشهر لا قتال فيها ولا جدال ، وهى:(ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب) ، وقد كان العرب يسافرون في هذه الأشهر بكل حرية لكي يؤدوا فريضة الحج والعمرة. وحين دب الفساد في بعض القبائل ، اخترعوا (النسيء) وهى أن يضعوا شهرا غير حرام محل الشهر الحرام كأن يجعلوا صفر في مكان المحرم ، وذلك لكي يحاربوا قبيلة يلزم قتالها في الشهر الحرام. وهذه هي البدعة المقيتة التي وصفها القرآن الكريم بأنها زيادة في الكفر[١].

فالنسيء ليس عملية تقويم معمول به بل هو التحايل والتلاعب في إيجاد حيل مشروعة في تجويز القتال في بعض الأشهر الحرم، وذلك كأن تكون قبيلة قوية تريد القتال في شهر محرم، لاستعدادها له فيه فتعمد إلى هذا الحل، والتحايل على العرف بالتوسل إلى الشخص الذي يتولى النسيء لتغيير الشهور، فيصير الشهر الحرام حلالًا، وبذلك يتاح لها القتال فيه ، وسبب ذلك هو توالي ثلاث أشهر حرم عليهم، وكانوا يفعلون ذلك عند الحاجة وليست عملية دائمه[٢].

الخلاصة: أدعى المستشرقون أنَّ الإسلام الغى التقويم الجاهلي الذي كان يوافق بين التقويم الشمسي والقمري وأستخدم من قبل العرب قبل الإسلام لتثبيت الأشهر في مواسمها واعتبروا ان تغييره خطا ورد في القرآن، بينما أن النسيء هو في الحقيقة تأجيل أشهر الحرم في بعض السنين لكي يتسنى لهم ممارسة نشاطهم في القتال والغزو ، وكان يحصل ذلك في مناسبات قليلة وليس قوميا دائما بل يأخرون الأشهر الحرم حين الحاجة.

---

١) ظ: علي بن نايف الشحود/ موسوعة الغزو الفكري والثقافي واثاره على المسلمين، ٢٤٧/١٦.

٢) ظ: جواد علي/ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ١٢٩/١٦.

خُلاصة الفصل الثالث

١) توجه الرسول والمسلمون في أول الدعوة الإسلامية في صلاتهم إلى البيت المقدس كقبلة لهم ، ويرى المفسرون أن الغاية من هذا التوجه هو لأجل استخلاص القلوب لله وتجريدها من كل عصبية لغير والإسلام ، كون الكعبة مقدس العرب القومي وكان التوجه لغيرها أمر يصعب على المسلمين التوجه إلى غيرها ، بينما أدعى المستشرقون أن صلاة النبي(صلى الله عليه واله وسلم) إلى بيت المقدس كان لغرض كسب ود اليهود .

٢) إنَّ الرسول (صلى الله عليه واله) حين غير القبلة نحو البيت الحرام ، ذلك تنفيذًا للأمر الإلهي والإتجاه نحو الكعبة واتخاذها قبلة للمسلمين ، والغاية من ذلك هو الرد على دعوى اليهود بقولهم يخالفنا ويتبع قبلتنا من جهة ومن جهة آخرى اختبار المسلمين . بينما يرى المستشرقون أن تحويل القبلة إلى الكعبة ثانيًا جاء لغرض كسب ود القبائل العربية الوثنية، فاعترضوا على كل حال على القبلة الوقتية بيت المقدس الدائمة الكعبة .

٣) ذهب بعض المفسرين أن جعل الكعبة قبلة للمسلمين هو استقلال الإسلام عن بقية الأديان .

٤) إنَّ الحج هو تشريع إلهي شرعه الله تعالى في القرآن الكريم كما شرعه ملة إبراهيم الخليل ، وتعود طقوسه إلى عهد إبراهيم ولم يكن تشريعه إرضاء للعرب أو سُنة جاهلية أبقاها الإسلام . أدعى بعض المستشرقين أن أصل الحج وثني أو تقليد لما في الأديان الأخرى كاليهودية او النصرانية.

٥) أهتم المستشرقون بدراسة الحج وظهر ذلك من خلال ما كتبوه وفي الرحلات التي قاموا بها الى مكة ، وأظهر عدد منهم أعجابه بمناسك الحج وبهذه الشعيرة لما تؤول اليه من وحدة للمسلمين وجمع لصفهم .

٦) أدخل الجاهليون في طقوس الحج ابتدعوها بعض التغييرات منها وضع صنمين على الصفا والمروة ، والحمس الذي أوجدته قريش ليتميزوا به عن قبائل العرب الأخرى . بينما تجاهل عدد من المستشرقين الموارد التي خالف فيها الإسلام الحج الجاهلي

٧) ليس هناك حج جاهلي بل أن العرب كانت لهم مناسك ورثوها من ملة إبراهيم وخلطوها بعبادة الأصنام هذا ما بينه المفسرون .

٨) يتفق جمهور المستشرقين على أنه كان هناك حج الى مكة قبل الإسلام وعند ظهور الإسلام بقيت هذه الشعيرة مع تغيير معالمها الوثنية فقط ، بينما عدد من المستشرقين الجدد بعدم وجود حج الى مكة قبل الإسلام وأن الحج الى مكة فكرة جاء بها الإسلام.

٩) إنَّ الحجر الأسود هو حجر من أحجار الجنة ولم يكن نيزك سقط من السماء وكذلك لم يكن حجرًا ارضيًا .

١٠) إنَّ العرب كانوا يحرمون القتال في الأشهر الحرم ، وكان ذلك التحريم في ملة إبراهيم الخليل توارثه العرب ، ولما جاء الإسلام أقر تلك السنة الحسنة وأبقى على حرمة تلك الأشهر . بينما يدعي المستشرقون أنَّ الإسلام قد الغى الأشهر الحرم في حملته للقضاء على الوثنية وطقوسها ، وهذا أدعاء يفنده القرآن الكريم.

١١) النسيء هو تأخير حرمة الأشهر الحرم ، أي يبدلون الأشهر حين تقتضي حاجتهم لذلك ، وهو زيادة في الكفر كما وصفه القرآن ، ويذهب أغلب المفسرين أن النسيء يخص الأشهر الحرم ولا علاقة له بتواقيت الحج . ويدعى المستشرقون أنَّ الإسلام الغى التقويم الجاهلي الذي كان يوافق بين التقويم الشمسي والقمري وأستخدم من قبل العرب قبل الإسلام لتثبيت الأشهر في مواسمها واعتبروا ان تغييره خطا ورد القرآن، بينما أن النسيء هو في الحقيقة تأجيل أشهر الحرم في بعض السنين لكي يتسنى لهم ممارسة نشاطهم في القتال والغزو ، وكان يحصل ذلك في مناسبات قليلة وليس تقويمًا دائمًا كما يزعمون ، بل أن الجاهليين كانوا يأخرون الأشهر الحرم حين الحاجة.

الخاتمةُ والنَّتائجُ

الخاتمة والنتائج

١) إنَّ مكة مكان مقدس معروف في الأديان ، وقد نصت الكتب المقدسة والتاريخية على موضع مكة . وأن أسماء مكة كلها تشير إلى القداسة وأن هناك بيتًا للرب .

٢) البحث التاريخي لتاريخ الأنبياء ينص على أنَّ هناك هجرة لإسماعيل إلى مكة وأنه تجمعت عليه القبائل، وأنَّ إبراهيم وإسماعيل هما السببان الأصليان لبناء مدينة مكة.

٣) إنَّ مفهوم التفسير في الفكر الحديث أصبح ممارسة عكس مفهومه السابق هو الإيضاح والبيان .

٤) إنَّ موقف المستشرقين من النبي إبراهيم وقصة بناء الكعبة موقف لا يستند إلى أدلة تكفي لنفي الحادثة، ومبني على التخمين والافتراض ويعارض كل الاخبار الواردة في الكتب المقدسة وما جاء في القرآن الكريم من أن إبراهيم هو باني الكعبة ومؤسس مدينة مكة عندما أسكن أبنه إسماعيل وزجته هاجر فيها.

٥) إنَّ الحقائق التاريخية والتسميات تؤخذ من ساكني المنطقة فلم يذكر لنا المؤرخون أي اسم لمكة غير هذا ويثبتون هذا الاسم وهذا المكان .

٦) تعددت أسماء مكة المكرمة، وقد زادت أسماؤها على ثلاثين اسمًا وهي تعبر عن أحوال وأوصاف مختلفة، وقد ورد بعض هذه الأسماء في القرآن الكريم، ومن أهمها مكة، وبكة، وأم القرى، والبلد الأمين، وقد شرح هذه الأسماء المفسرون فاصطلح على أن التسمية مكة تعني التي تمك الجبارين أي تدكهم وتحطمهم، أو أنها سميت بذلك لازدحام الناس فيها، كما شرحت بكة بشروح بمعنى التهشيم والقهر، وأن التسمية أم القرى نشير إلى القداسة الزعامة والقيادة، ، فهي أهم وأعظم القرى، أما صفة البلد الأمين فتشير إلى أن من دخله كان آمناً وأن أهلها آمنون على مدى التاريخ .

٧) أعتقد بعض الباحثين أن الاسمين مكة وبكة يعودان من الناحية اللغوية إلى أصول بابلية أو عربية جنوبية، أو إلى أصول آرامية.

٨) إن الدراسات الاستشراقية تعتقد أن مكوربا التي ذكرها بطليموس هي مكة ، ويرى الدارسون أن مكوربا هي نعت لمكة وليست أسما لها وهي الصفة التي وصف بها أهل العربية الجنوبية (مكة) وذلك لأن كلمة مكرب في اللغة الجنوبية تحمل الدلالة العامة: معبد، هيكل .

٩) الاستشراق ظاهرة فريدة غير مسبوقة في تاريخ الحضارات كلها فلم تقم حضارة بمثل هذا الجهد الشامل لدراسة حضارة أخرى من جميع وجوهها لتحقيق غايات مرسومة مسبقاً ، وهذا الأمر يدل على خطورة الاستشراق ووجوب أن تكون هناك دراسة لمجابهة والرد على ما يطرح من أفكار وآراء .

١٠) إن للمستشرقين اليد الطولى في تشكل موقف الغرب إزاء الإسلام والمسلمين على مدى قرون وحتى الوقت الحاضر وذلك بسبب تأثيرهم العميق في صياغة التصورات الغربية عن الإسلام

١١) أثرَ المستشرقون في الفكر الإسلامي الحديث حيث أدى ذلك لبعض المسلمين بصياغة رؤيتهم الخاصة للإسلام، وذلك بتأثرهم بالفكر الاستشراقي، وانسياقهم وراء الرؤية الإستشراقية بالأخص فيما يخص إبراهيم وإسماعيل.

١٢) الكعبة بيت الله الحرام هي أول بيت وضع للناس فيه بركة وهدى، وكان قُبلةٌ للصلاة والعبادة للأنبياء قبل عهد إبراهيم، وأن أكثر آراء العلماء قائمةٌ على أنَّ من بنى البيت هو آدم(عليه السلام). إنَّ البيت الحرام كان موجودًا قبل إبراهيم فقد بناه آدم ثم انطمست معالمه بعد طوفان نوح وحين جاء إليه إبراهيم مع زوجته هاجر وإسماعيل كان للبيت نوع من الوجود كالأساسات مثًلا.

١٣) إنَّ البيت الحرام عتيق قديم قدم الخلق وقد نجا من الغرق ومن تسلط الجبابرة علية ومن أن يملكه أحد من الخلق. وإنَّ مباركاً احد مسميات البيت ذات القدسية وهي تعني أنَّه كثير البركة والخير وبركة دائمة ومستمرة.

١٤) أُطلق المسجد الحرام على منطقة الحرم في مكة وهو من باب اطلاق الجزء على الكل ، وأن حميع منطقة الحرم تدخل ضمن المسجد الحرام .

١٥) أشارت الكتب المقدسة عند أهل الكتاب إلى موطن إسماعيل(عليه السلام) بأسماء هي: (ميشا)، (فاران)، (مدبار). وأن وادي (بكة) مكان مقدس بارك الله فيه لإسماعيل وأمه .

١٦) إنَّ موقع مكة له دور كبير في نمو التجارة وازدهارها وكذلك بحكم وجود البيت الحرام فيها ، وأن إيلاف قريش هي عهود واتفاقات تجارية عقدتها قريش مع القبائل الواقعة على الطريق التجاري واتفاقيات سماح بالتجارة مع بلدان الروم والحيرة واليمن والحبشة ، وكان هاشم جد الرسول(صلى الله عليه وآله) هو مؤسس الإيلاف ، وقد حاول بعض المستشرقين الجدد في التقليل أو نفي أهمية عقود الإيلاف ، ورفضهم الرواية الإسلامية في شأن تجارة مكة ، ولاقى رأيهم هذا ردود من علماء غربين آخرين .

١٧) كانت في مكة حركة توحيد بعيدة عن عبادة الأصنام والاوثان ، ويطلق على أتباعها الاحناف وهم على ملة إبراهيم الخليل وأن الرسول الاعظم(صلى الله عليه واله) كان منهم والكثير من عائلته يعتنقون الحنيفية الخالصة لله .

١٨) إنَّ الصفا والمروة تاريخ حي وشاهد على تلك المعالم والآثار التي تخلد شعيرة الحج تاريخ مكة الغارق في القدم وكذلك يستفاد أنها كانت مقدسة منذ أقدم العصور وقدسيتها تلك ليست حكرًا على المسلمين بل حتى العرب الوثنيين كانوا يقدسونها.

١٩) إن حادثة أصحاب الفيل هي حادثة قطعية تاريخية لا مجال للتشكيك فيها فقد وردت في القرآن الكريم وتناقلها أهل مكة وكان مولد الرسول في ذلك العام الذي هاجم فيه اصحاب الفيل مكة ، وأن الله قد دمرَهم بأعجاز منه ، وأي تفسير يعطي للحادثة بعدًا طبيعيا فهو تفسير بعيد عن الواقع القرآني والتاريخي .

٢٠) توجه الرسول والمسلمون في أول الدعوة الإسلامية في صلاتهم إلى البيت المقدس كقبلة مؤقتة لهم ، ثم جاء الأمر الإلهي بتغيير القبلة نحو الكعبة وجعلها قُبلة دائما للإسلام . ولم يكن تغيير القبلة في كلتا الحالتين لغايات أو مصالح مثل كسب ود اليهود أو غيره كما أدعى بذلك المستشرقون أنما فعل ذلك الرسول هو تنفيذًا لأمر الله تعالى .

٢١) أن جعل الكعبة قبلة للمسلمين هو استقلال الإسلام عن بقية الأديان ، واظهار أن هذا الدين هو إمتداد لإبراهيم الخليل ، ومن يدعي أنه يتبع إبراهيم فليتبع الإسلام وكعبة إبراهيم .

٢٢) إنَّ الحج هو تشريع إلهي شرعه الله تعالى في القرآن الكريم كما شرعه ملة إبراهيم الخليل ، وتعود طقوسه إلى عهد إبراهيم ولم يكن تشريعه إرضاء للعرب أو سُنة جاهلية أبقاها الإسلام

، كما يعتقد المستشرقون وأن شعائره هي توحيده خالصة لله تعالى ، والحجر الاسود هو من أحجار الجنة التي نزل بها جبرائيل لتوضع في ركن الكعبة .

٢٣) إن تحريم القتال في الأشهر الحرم كان سُنة منذ عهد إبراهيم الخليل وعندما جاء الإسلام أكد عليها .

٢٤) إن النسيء هو تأخير حرمة الشهر الحرام لحاجة عند بعض قبائل العرب للغزو والقتال ولا علاقة له بتواقيت الحج .

٢٥) أعتمد المستشرقون في دراساتهم لمكة المكرمة وما يتعلق بها على دراسات المستشرقين الذين قبلهم ، وأعتمدوا على منهج التشكيك والافتراض والاسقاط والطعن بكل ماهو قطعي وسعوا لخلق صورة مختلفة لمكة المكرمة والتقليل من شأنها وأهميتها ، وأما المستشرقون الجدد فهم في نظرياتهم الغربية حول مكة يراد بها أحداث صدمة والتحرش بالأديان بغية إعادة تشكيلها وفق معطيات البحث الأثري .

٢٦) قلة الدراسات التي تتناول الاستشراق الجديد والردود عليه .

٢٧) إنَّ الاستشراق كان في السابق يستهدف المواطن الغربي ويصيغ التصورات عن القرآن والاسلام للقارىء الغربي ، أما الاستشراق الجديد المتمثل بالاستشراق الانكلوسكسوني فقد أستهدف المسلمين في كتاباته وأصبح خطابه موجه مباشرة للمسلمين .

٢٨) أن آراء ونظريات المستشرقين الجدد تهدف الى التحرش بالحضارات وبالاخص الحضارة الاسلامية من خلال توهين الأمة الاسلامية في مقدساتها الجغرافية والمكانية .

٢٩) يوصي البحث بدراسة تنقلات النبي موسى (عليه السلام) وتحركاته كون أسفار التوراة تحدثت عن وادي بكة ووصفته بالمقدس .

ثَبَتُ المَصَادِرِ والمَرَاجِعِ

- خَيْرُ مَا نَبْتَدِئ بِهِ: الْقُرآنُ الْكَرِيمُ

أَوَّلًا: المَصَادِرُ الْقَدِيمَةُ

[أ]

- الآلوسِيّ: أبو الفَضل، شهاب الدِّين محمود البغداديّ (ت١٢٧٠هـ)

✓ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني، تح: محمَّد أحمد الأمَد، وعمر عبد السَّلام السَّلامِيّ/ ط١، دار إحياء التُّراث العربيّ/ بيروت، ١٤٢٠هـ.

- ابن الاثير: أبو الحسن ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ)

✓ الكامل في التاريخ ، تح: عمر عبد السلام تدمري / ط١، دار الكتاب العربي / بيروت ، ١٩٩٧م.

- الازرقي: أبو الوليد ، محمد بن عبد الله بن احمد(ت٢٥٠هـ)

✓ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تصحيح رشدي الصالح / ط٢ ، مكتبة الملك فهد الوطنية / جدة ، ٢٠٠٥م.

- الازهري: محمد بن أحمد ، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)

✓ تهذيب اللغة ، تح: محمد عوض مرعب / ط١ ، دار إحياء التراث العربي / بيروت ، ٢٠٠١م.

- الاصفهاني: الحسن بن عبد الله(ت٣١١هـ)

✓ بلاد العرب ، تح: حمد الجاسر، د. صالح العلي / منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، د. ط / الرياض ، د.ت.

[ب]

- البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت٢٥٦هـ)

✓ صحيح البخاري / ط١، دار ابن كثير/ دمشق – بيروت ، ٢٠٠٢م.

- البغوي: أبو محمد ، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت ٥١٠هـ)

✓ معالم التنزيل معالم التنزيل في تفسير القرآن ، تح: عبد الرزاق المهدي/ ط١، دار إحياء التراث العربي/ بيروت ، ١٤٢٠ هـ .

- البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت ٨٨٥هـ)

✓ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ دار الكتاب الإسلامي ، د. ط/ القاهرة ، د. ت.

- البلاذري: احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ)

✓ فتوح البلدان ، نشرهُ ووضع ملاحقه وفهارسه صلاح الدين المنجد/ مكتبة النهضة المصرية، د. ط / القاهرة ١٩٥٧م .

- البيهقي: احمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ)

✓ السنن الكبرى ، تح: محمد عبد القادر عطا/ ط٣ ، دار الكتب العلمية / بيروت– لبنان ، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.

[ث]

- الثعالبي: أبو زيد ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت ٨٧٥هـ)

✓ الجواهر الحسان في تفسير القران ، تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود/ ط١ ، دار احياء التراث العربي/ بيروت ، ١٤١٨هـ.

- الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم ، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)

✓ الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، تح: أبي محمد بن عاشور/ ط١ ، دار إحياء التراث العربي/ بيروت ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م .

[ج]

- الجاحظ: أبو عثمانَ ، عمروُ بنُ بحرِ بنِ محبوبِ بنِ فزارةَ (ت٢٥٥هـ)

✓ كتاب البلدان ، نشره د. صالح احمد العلي/ مطبعة الحكومة ، د. ط/ بغداد ، ١٩٧٠م .

- ابن جزي: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)

✓ التسهيل لعلوم التنزيل ، تح: د. عبد الله الخالدي / ط١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم/ بيروت ، ١٤١٦ هـ .

- ابن الجوزي : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)

✓ زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي/ ط١، دار الكتاب العربي/ بيروت ، ١٤٢٢هـ .

- الجوهري: أبو نصر ، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)

✓ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح: أحمد عبد الغفور عطار/ ط٤ ، دار العلم للملايين / بيروت ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

[ح]

- ابن حبيب : أبو جعفر، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥ هـ)

✓ المحبر ، رواية ابي سعيد الحسن بن حسين السّكري ، تصحيح: د. إيلزه ليختن شتيتر/ دار الافاق الجديدة ، د. ط / بيروت ، د. ت .

✓ المنمق في أخبار قريش ، صححه خورشيد احمد فاروق/ ط١، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

- الحر العاملي: محمد بن الحسين (ت ١١٠٤هـ)

✓ وسائل الشيعة في تحصيل مسائل الشريعة ، تحقيق : محمد الرازي/ دار إحياء التراث العربي ، د. ط / بيروت ١٣٨٨هـ .

- الحسني الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد (ت ٨٣٢ هـ)

✓ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تح: محمد عبد القادر عطا/ ط١، دار الكتب العلمية/ بيروت ، ١٩٩٨م .

- الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ)

✓ معجم البلدان / ط٢، دار صادر / بيروت ، ١٩٩٧م.

- الحويزي: عبد علي بن جمعه(ت١١٢١هـ)

✓ نور الثقلين ، تح: علي عاشور/ ط١ ، مؤسسة التاريخ العربي ، د.ت .

- ابو حيان الأندلسي: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت ٧٤٥هـ)

✓ البحر المحيط في التفسير ، تح: عادل احمد عبد المحمود ، علي محمد معوض/ ط١ ، دار الكتب العلمية / بيروت ، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

[خ]

- الخازن: أبو الحسن، علاء الدّين عليّ بن محمَّد بن إبراهيم بن عمر(ت ٧٤١هـ)

✓ لباب التّأويل في معانيّ التّنزيل، تح: محمَّد عليّ شاهين/ ط١، دار الكتب العلميَّة/ بيروت، ١٤١٥هـ .

[د]

- ابن دريد: أبو بكر ، محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ)

✓ الاشتقاق ، تح عبد السلام محمد هارون / ط١، دار الجيل / بيروت ، ١٩٩١م.

✓ جمهرة اللغة ، تح: رمزي منير بعلبكي/ ط١، دار العلم للملايين / بيروت ، ١٩٨٧م .

[ر]

- الرازي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي(ت٧٢١هـ)

✓ مختار الصحاح ، تح: يوسف الشيخ محمد/ ط٥، المكتبة العصرية – الدار النموذجية/ بيروت ، ١٩٩٩م.

- الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت٦٠٤هـ)

✓ مفاتيح الغيب المعروف بـ (التفسير الكبير)(تفسير الرازي)/ ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت ، ١٩٨١م.

- الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)

✓ المفردات ألفاظ القرآن ، تح: صفوان عدنان داودي/ ط٣، دار القلم ، الدار الشامية/ دمشق بيروت ، ١٤١٢هـ.

- الراوندي: سعيد بن هبة الله (ت٥٧٣هـ)

✓ فقه القرآن ، تح: احمد الحسيني / ط١، المطبعة العلمية / قم ، ١٣٩٧هـ.

[ز]

- الزبيدي : مرتضى محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق(ت ١٢٠٥هـ)

✓ تاج العروس من جواهر القاموس / تح: عبد الكريم العزاوي ، ط٢، مطبعة حكومة الكويت / ١٤٠٧هـ – ١٩٧٨م .

- الزمخشري: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)

✓ أساس البلاغة ، تح: محمد باسل عيون السود/ ط١، دار الكتب العلمية / بيروت – لبنان ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

✓ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، تصحيح وتقديم: محمد عبد السلام شاهين/ ط٢، دار الكتب العلمية / بيروت ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

[س]

- ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ت٢٣٠ هـ)

✓ الطبقات الكبرى ، تح: محمد عبد القادر عطا/ ط١ ، دار الكتب العلمية / بيروت ، ١٩٩٠م .

- سيبوية: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي ، أبو بشر (ت ١٨٠هـ)

✓ الكتاب ، تح: عبد السلام محمد هارون/ ط٣، مكتبة الخانجي/ القاهرة ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)

✓ الدر المنثور في التفسير المأثور ، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي/ ط١، مركز هجر للبحوث وللدراسات العربية والاسلامية / القاهرة ، ٢٠٠٣م.

[ش]

- الشريف الرضي : أبُو الحَسَنْ ، مُحَمَّد بِنُ الحُسَين بِنُ مُوسَى المُوسَوِي (ت ٤٠٦ هـ)

✓ نهج البلاغة، شرح وتحقيق: صبحي صالح / ط٤، دار المعارف القاهرة – دار الكتاب اللبناني/ بيروت ، ٢٠٠٤م.

- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ)

✓ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تح: عبد الرحمن عميره / دار الفكر، د. ط / بيروت ، ١٩٨٣م .

[ص]

- الصدوق: أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ)

✓ من لا يحضره الفقيه ، تح: علي اكبر غفاري/ ط٢، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية / قم المقدسة ، ١٤٠٤هـ .

- الصغائي: رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري القرشي(ت ٦٥٠هـ)

✓ العباب الزاجر واللباب الفاخر، تح: د. قير محمد حسن/ ط١، مطبعة المجمع العلمي العراقي / ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

[ط]

- الطبرسي: الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)

✓ مجمع البيان في تفسير القرآن، تح: هاشم الرَّسوليّ المَحَلاّتي/ ط١، منشورات: مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات/ بيروت، ١٤٠٦هـ.

- الطَّبرِيّ: أبو جَعْفَر ، محمَّد بن جَرِير (ت/ ٣١٠هـ)

✓ تاريخ الرُّسل والملوك المعروف بـ (تاريخ الطَّبري)/ ط٤، مؤسسة الأعلميّ

للمطبوعات/ بيروت ، ١٤٠٣هـ.

✓ جَامِع البَيَان عن تأويل آي القرآن المعروف بـ (تفسير الطَّبَرِيّ)، تح: د. عبد الله بن عبد المُحْسِن التُّركيّ، بالتَّعاون مع مركز البحوث والدِّراسات العربيّة والإسلاميَّة بدار هَجَر: د. عبد السَّند حسن يَمامَة/ ط١، دار هَجَر، منشورات: مركز البحوث والدَّراسات العربيَّة والإسلاميَّة / القاهرة، ١٤٢٢هـ.

- الطوسي: أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠هـ)

✓ التِّبيان في تفسير القُرْآن، تح: مُؤَسَّسة النَّشر الإسلامِيّ / ط١، منشورات:

مُؤَسسّة النَّشرِ الإسلاميّ/ قم المُشَرَّفة ، ١٤١٧هـ.

[ع]

- ابن عادل: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ)

✓ اللباب في علوم الكتاب ، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض/ ط١، دار الكتب العلمية/ بيروت ، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م .

- ابن عباد: كافي الكفاة، الصاحب، إسماعيل بن عباد (ت٣٨٥هـ)

✓ المحيط في اللغة ، تح: محمد حسين ال ياسين / ط١، عالم الكتب/ بيروت ، ١٩٩٤م .

- ابن عجيبه: ابو العباس أحمد بن محمد بن المهدي (ت ١٢٢٤هـ)

✓ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان / ط٢، دار الكتب العلمية / بيروت ، ٢٠٠٢م.

- ابن عطيه الأندلسي: ابو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام (ت ٥٤٢هـ)

✓ المحرر الوجيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد/ ط١، دار الكتب العلمية/ بيروت ، ١٤٢٢هـ.

- العياشي: أبي النصر محمد بن مسعود ابن عياش السلمي السمرقندي(ت ٣٢٠هـ)

✓ تفسير العياشي ، تصحيح: هاشم الرسولي المحلاتي/ ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات / بيروت ، ١٩٩١م – ١٤١١هـ .

[ف]

- ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)

✓ معجم مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام محمد هارون/ دار الفكر، د. ط/ ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

- الفاكهي: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس (من اعلام القرن الثالث الهجري)

✓ أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تح: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش/ ط٢، دار خضر / بيروت ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .

- الفراهيدي: الخليل بن احمد(ت١٧٠هـ)

✓ العين ، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي/ ط١، دار الكتب العلمية / بيروت ، ٢٠٠٣م.

- الفيروزآبادي : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)

✓ القاموس المحيط ، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة/ ط٨ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت – لبنان ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

- الفيومي: أحمد بن محمد بن علي (ت نحو ٧٧٠ هـ)

✓ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير/ مكتبة لبنان ، د. ط / بيروت ، ١٩٨٧.

[ق]

- القرطبي: أبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ)

✓ الجامع لأحكام القرآن المعروف بـ(تفسير القرطبي) ، تح: سالم مصطفى البدري / ط٢، دار الكتب العلمية / بيروت ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .

- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ)

✓ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، تح: إبراهيم الإبياري / ط٢، دار الكتاب اللبنانيين/ بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

- القمّي: ابن الحسن علي بن إبراهيم القمّي (من أعلام القرن الثالث الهجري)

✓ تفسير القمي / ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات / بيروت ، ١٤١٢هـ .

- ابن القيم الجوزيه: ابو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١)

✓ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، تح: عثمان جمعة ضميرية / ط٤ ، دار ابن حزم/ بيروت ، ٢٠١٩م.

[ك]

- الكاشاني: محمد بن المرتضى (ت ١٠٩١هـ)

✓ الصافي في تفسير القرآن ، تح: محسن الحسيني الاميني / ط١، دار الكتب الإسلامية/ طهران ، ١٤١٩هـ .

- الكتاب المقدس

✓ نسخة الملك جيمس / طبعة نيوكاسل ١٨١١م .

✓ نسخة سعاديا بن يوسف الفيوميي/ تحرير جاي ديرينبورج / باريس طبعة ١٨٩٣م.

✓ نسخة فان دايك/ طبع الرسالة السريانية /٢٠٢٠م.

- ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)

✓ تفسير القرآن العظيم ، تح: محمد حسين شمس الدين/ ط١، دار الكتب العلمية/ بيروت ، ١٤١٩ هـ.

- ابن الكلبي: أبو المنذر، هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب(ت ٢٠٤هـ)

✓ الأصنام ، تح: أحمد زكي باشا/ ط٤، دار الكتب المصرية / القاهرة ، ٢٠٠٠م.

- الكليني: أبو جعفر ، محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٩هـ)

✓ أصول الكافي ، تح: علي اكبر غفاري / ط٣، دار الكتب الإسلامية/ طهران ، ١٣٨٨هـ .

- الماوردي: أبو الحسن ، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت ٤٥٠هـ)

✓ النكت والعيون ، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم / دار الكتب العلمية د . ط/ بيروت ، د. ت .

✓ اعلام النبوة / ط١، دار ومكتبة الهلال / بيروت ، ١٤٠٩هـ .

- الجلاليان: جلال الدِّين محمَّد بن أحمد (٨٦٤هـ) وجلال الدِّين السِّيوطي (ت/ ٩١١هـ)

✓ تفسير الجَّلاَلَيْن/ ط١، دار الحديث/ القاهرة. د. ت.

- المسعودي: ابي الحسن ، علي بن الحسين بن علي(ت٣٤٦هـ)

✓ مروج الذهب ومعادن الذهب ، مراجعة: كمال حسن مرعي / ط١، المكتبة العصرية / بيروت ، ٢٠٠٥م .

- مسلم: أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)

✓ صحيح مسلم ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي/ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه/ القاهرة ، ١٩٥٥م.

- مقاتل: ابو الحسن، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت ١٥٠هـ)

✓ تفسير مقاتل بن سليمان ، تح: عبد الله محمود شحاته/ ط١، دار إحياء التراث / بيروت ، ١٤٢٣ هـ .

- المكي الفاسي: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني (ت ٨٣٢هـ)

✓ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تح: لجنة من العلماء/ مكتبة النهضة الحديثة ، د. ط / مكة المكرمة ١٩٥٦م .

- ابن منظور: جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن علي بن احمد بن أبي القاسم بن حبقه الأنصاري الأفريقي (ت ٧١١ هـ)

✓ لسان العرب ، تح: عامر احمد حيدر/ ط١ ، دار الكتب العلمية / بيروت ، ٢٠٠٢م – ١٤٢٤ هـ .

[ن]

- النيجرمي، إبراهيم بن عبدالله (ت٣٥٥هـ/٩٦٦م)

✓ إيمان العرب في الجاهلية، تح: محي الدين الخطيب/ المطبعة السلفية ، د. ط/ القاهرة ، ١٩٨٢م.

[هـ]

- ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ)

✓ السيرة النبوية ، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي/ ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده / مصر ، ١٩٥٥م.

[ي]

- اليشهري : محمد بن محمد رضا بن اسماعيل بن جمال الدين قمي(ت١١٢٥هـ)

✓ كنز الدقائق ، تح: مجتبى العراقي / ط١، المطبعة العلمية / قم ، ١٤٠٩ هـ.

- اليعقوبي: أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد ٢٩٢هـ)

✓ البلدان / ط١، دار الكتب العلمية / بيروت ، ١٤٢٢هـ .

ثَانِيًا: المَرَاجِعُ الحَدِيثَةُ

[أ]

- آمال الروابي(الدُّكتور)

✓ الرد على كتاب تجارة مكة وظهور الإسلام / جامعة الملك عبد العزيز جده ، د . ط/ د.ت.

- آمنة الجبلاوي(الدُّكتور)

✓ الإسلام المبكر(الاستشراق الانكلوسكسوني الجديد)/ ط١، منشورات الجمل / بغداد ، ٢٠٠٨م .

- إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار

✓ المعجم الوسيط / مكتبة الشروق الدولية ، ط٤/ مصر، ٢٠٠٤م.

- احسان محمد الحسن(الدُّكتور)

✓ مناهج البحث الاجتماعي/ دار وائل للنشر د. ط/ الأردن ٢٠٠٥م.

- أحمد إبراهيم الشريف(الدُّكتور)

✓ مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول / دار الفكر العربي ، د. ط/ د. ت .

- أحمد سعيد الخطيب(الدُّكتور)

✓ مفاتيح التفسير/ ط١، دار التدمرية/ السعودية ، ٢٠١٠م.

- أحمد سمايلوفتش(ت١٩٨٠م)

✓ فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر/ دار الفكر العربي د. ط / القاهرة ، ١٩٨٨م.

- إدوارد سعيد: الدُّكتور (ت ٢٠٠٣م)

✓ الاستشراق والمفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: محمد عناني / ط١، رؤية للنشر والتوزيع / القاهرة ، ٢٠٠٦م .

✓ الاستشراق المعرفة السلطة الانشاء ، ترجمة: كمال ابو ديب/ مؤسسة الأبحاث العربية ، د. ط / ٢٠٠٣م .

- إسرائيل ولفنسون: الدُّكتور (ت١٩٨٠م)

✓ تاريخ اللغات السامية / ط١، مطبعة الاعتماد / مصر ١٩٢٩م .

- اغناس غولدتسهير(ت ١٩٢١م)

✓ العقيدة والشريعة في الاسلام ، نقله الى العربية: محمد يوسف موسى ، عبد العزيز عبد الحق ، علي حسن عبد القادر/ ط١، دار الكتاب المصري/ القاهرة ، ١٩٤٦م .

- أقطاب المستشرقين

✓ موجز دائرة المعارف الإسلامية ، تح: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس ، ترجمة: نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية / ط١، مركز الشارقة للإبداع الفكري / ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م .

- إيميل درمنغام(ت١٩٧١م)

✓ حياة محمد ، ترجمة: عادل زعتر / ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر / ١٩٨٨م .

[ب]

- باتريشيا كرون(ت٢٠١٥م)

✓ تجارة مكة وظهور الإسلام ، ترجمة آمال الروابي / د. ط ، المجلس الأعلى للثقافة / القاهرة ٢٠٠٥م .

- بطرس البستاني(ت١٨٨٣م)

✓ محيط المحيط / دار الكتب العلمية ، د. ط / بيروت ، د. ت .

- بيتر برينث(معاصر)

✓ بلاد العرب القاصية: رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب ، ترجمة: خالد أسعد عيسى ، أحمد غسان سبانو / دار قتيبة ، د. ط/ ١٩٩٠م.

[ت]

- تزفيتان تودوروف (ت٢٠١٧م)

✓ فتح أمريكا.. مسألة الآخر، ترجمة: بشير السباعي/ ط١، سينا للنشر/ القاهرة ، ١٩٩٢م.

- تيودور نولدكه (ت١٩٣٠م)

✓ تاريخ القران ، ترجمة: د. جورج تامر ، دار جورج ألمز ، د. ط/ نيويورك ٢٠٠٠م .

[ج]

- جان فلوري(ت٢٠١٨م)

✓الحرب المقدسة : الجهاد والحرب الصليبية ، العنف والدين في المسيحية والاسلام ، ترجمة: غسان مايسو / ط١، دار المدى للثقافة والنشر / بغداد – بيروت – دمشق ، ٢٠٠٤م .

- جبور عبد النور: الدُّكتور (ت١٩٩١م)

✓المعجم الادبي / ط٢ ، دار العلم للملايين / بيروت ، ١٩٨٤م .

- جرجس داوّد

✓اديان ومعتقدات العرب / ط١، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع / بيروت ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

- جرجي زيدان(ت١٩١٤م)

✓العرب قبل الإسلام / ط٢، مطبعة الهلال / مصر ، ١٩٢٢م.

- جميل حمداوي(الدُّكتور)

✓المستشرقون وترجمة القران الكريم / ط١، دار الريف للطبع والنشر / المغرب ، ٢٠١٩م .

- جواد علي : الدُّكتور(ت١٩٨٧م)

✓تاريخ الصلاة في الاسلام / مطبعة ضياء ، د. ط / بغداد، د. ت.

✓المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام / ط٤، دار الساقي / بغداد ، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .

[ح]

- حسن المصطفوي(ت١٤٢٦هـ)

✓ التحقيق في كلمات القران/ ط١، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي/ طهران ، ١٣٨٥هـ.

- حسين بن محمد تقي بن علي محمّد بن تقي النوري(ت١٣٢٠هـ)

✓ مستدرك الوسائل ، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / ط١/ ١٤٠٨ – ١٩٨٧ م .

- حسين مروة : الدُّكتور (ت١٩٨٧)

✓ النزعات المادية في الفلسفة الاسلامية / ط٢ ، دار الفارابي / بيروت ٢٠٠٨ م.

- حكمت عبيد الخفاجي(الدُّكتور)

✓ منهج التفسير التحليلي دراسة في الاساليب والطرق / ط١، مؤسسة دار الصادق الثقافية / بابل – العراق ، ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م .

- حمد بن ابراهيم الحمد النملة(الدُّكتور)

✓ الاستشراق والدراسات الاسلامية / ط١، مكتبة التوبة / الرياض ، ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م .

[خ]

- خوان غويتسولو (ت٢٠١٧م)

✓ في الاستشراق الاسباني ، تعريب: كاظم جهاد / المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ د. ط / د. ت .

[ر]

- رودي باريت(ت١٩٨٣م)

✓ محمد والقرآن دعوة النبي ورسالته ، ترجمة رضوان السيد / ط١ ، شرق غرب للنشر / دبي – الامارات العربية المتحدة ، ٢٠٠٩م.

- روم لاند (ت١٩٧٤م)

✓ الاسلام والعرب ، ترجمة: منير العبكلي / دار العلم للملايين ، د. ط/ بيروت ، د. ت .

[ز]

- زكريا محمد(معاصر)

✓ عبادة إيزيس وأوزيريس في مكة الجاهليه / ط١، دار آفاق للنشر والتوزيع / القاهرة ، ٢٠٠٩م .

[س]

- ساسي سالم الحاج (ت١٩٩٨م)

✓ نقد الخطاب الاستشراقي ... الظاهرة الاستشراقية واثرها في الدراسات الاسلامية / ط١، دار المدار الاسلامي / بيروت ، ٢٠٠٢م.

- سعيد الأفغاني(ت ١٩٩٧م)

✓ اسواق العرب في الجاهلية والإسلام / المطبعة الهاشمية ، د. ط / دمشق ، ١٩٣٧م .

- سنوك هورخرونيه (ت١٩٣٦م)

✓ صفحات من تاريخ مكة المكرمة ، ترجمة: د. علي عوده الشيخ / دار الملك عبد العزيز ، د. ط / السعودية ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م .

- سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (ت ١٣٨٦هـ)

✓ في ظلال القران / ط٣٢، دار الشروق / بيروت ، ٢٠٠٣م.

- سيد مظفر الدين نادفي

✓ التاريخ الجغرافي للقرآن ، ترجمة وتعريب د. عبد الشافي غنيم عبد القادر ، مراجعة حسن محمد جوهر / لجنة البيان العربي ، د. ط / القاهرة، ١٩٥٦م.

[ص]

- صالح احمد العلي: الدكتور (ت٢٠٠٣م)

✓ تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية / ط١، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر / بيروت ، ٢٠٠٠م.

- صموئيل حبيب وفايز فارس ومنيس عبد النور وجوزيف صابر

✓ دائرة المعارف الكتابية ، تحرير وليم وهبه/ دار الثقافة د. ط / د.ت.

- طه حسين: الدكتور (ت١٩٧٣م)

✓ في الشعر الجاهلي/ دار المعارف للمطبوعات والنشر ، د. ط/ سوسه – تونس ، د. ت.

[ع]

- عباس محمود العقاد (ت١٩٦٤م)

✓ ما يقال عن الاسلام / مكتبة دار العروبة، د. ط/ د. ت.

- عبد الرحمن بدوي (ت٢٠٠٢م)

✓ موسوعة المستشرقين / ط٢، دار العلم للملايين / بيروت ، ١٩٨٩م .

- عبد القدوس الانصاري(معاصر)

✓ التاريخ المفصل للكعبة المشرفة / نادي مكة الثقافي الادبي، د. ط / مكة ، ١٤١٩هـ .

- عبد الله البستاني(ت ١٩٣٠م)

✓ فاكهة البستان / مطبعة الامير كانيه ، د. ط / بيروت ١٩٣٠م .

- عبد الناصر الجندي

✓ تقييمات مناهج البحث في العلوم الاسلامية / ديوان المطبوعات الجامعية / الجزائر ، د. ط / د. ت .

- عدنان محمد عبد العزيز وازن (الدُّكتور)

✓ صورة الاسلام في الادب الانكليزي / ط١، دار اشبيليا للنشر والتوزيع / الرياض ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

- عصام بن احمد حسين ، ود. ليلي بنت صالح محمد زعزوع

✓ مكة والمدينة في الكتاب المقدس / ط١ ، الدار العربية للعلوم ناشرون / بيروت ، ٢٠١١م.

- عصام هادي كاظم السعيدي(الدُّكتور)

✓ الدراسات القرآنية في الاستشراق السويدي / ط١، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية / النجف الاشرف ، ١٤٤٢هـ -٢٠٢٠م.

- علي الوردي: الدُّكتور (ت ١٩٩٥م)

✓ اسطورة الأدب الرفيع / ط٢، دار كوفان/ لندن ، ١٩٩٤م .

- علي بن ابراهيم الحمد النملة(الدُّكتور)

✓ اشكالية المصطلح في الفكر العربي / دار بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، د. ط / ١٤٣٠ هـ - ٢٠١٠ م.

- عماد الصباغ

✓ الاحناف / ط١، دار الحصاد للنشر والتوزيع / دمشق ، ١٩٩٨م .

- عمر بن إبراهيم رضوان(الدكتور)

✓ آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره... دراسة ونقد/ ط١، دار طيبة للنشر والتوزيع / الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

[غ]

- غوستنان لوبون(ت ١٩٣١م)

✓ حضارة العرب ، ترجمة: عادل زعتر / مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، د. ط / القاهرة ، ٢٠١٣م.

[ف]

- فاغليري، لورا فيشيا(ت١٩٨٩م)

✓ دفاع عن الإسلام ، تر: منير البعلبكي/ ط٢، دار العلم للملايين / بيروت ، ١٩٦٣م .

- فراج الشيخ الفزاري

✓ شبهات حول الاستشراق / دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، د. ط / ٢٠٠٠م .

- الفريد جيوم(ت ١٩٦٥م)

✓ الاسلام ، ترجمة محمد مصطفى هدارة وشوقى اليمانى السكرى/ مكتبة النهضة المصرية ، د. ط/ القاهرة ، ١٩٥٨م .

- فريق من الباحثين

✓ مكة قبل الإسلام ، ترجمة هشام شامية / ط١ ، المركز الاكاديمي للأبحاث / بيروت ، ٢٠١٩م.

- فكتور سحاب(الدُّكتور)

✓ ايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف / ط١، المركز الثقافي العربي / بيروت ١٩٩٢م .

- فؤاد عبد المنعم (الدُّكتور)

✓ من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام/ ط١، مكتبة العبيكان، الرياض/ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

- فيليب خوري حتي(ت١٩٧٨م)

✓ الإسلام منهج الحياة ، ترجمة: د. عمر فروج / ط٢، دار العلم للملايين / بيروت ، ١٩٩٧م .
✓ العرب تاريخ موجز / ط٦، دار العلم للملايين / بيروت ، ١٩٩١م .
✓ صانعو التاريخ العربي ، ترجمة: أنيس فريحة / ط١، دار الثقافة / ١٩٦٩م .

[ق]

- أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم تاج الدين الموسوي الخوئي (ت ١٤١٣هـ)

✓ البيان في تفسير القران / ط٢/ ١٣١٨هـ- ١٩٦٦م .
✓ معجم رجال الحديث / ط١، مكتبة الامام الخوئي / النجف الاشرف ، د.ت.

[ك]

- كارل بروكلمان(ت١٩٥٦م)

✓ تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله الى العربية نبيه أمين فارس ومنير العبكلي/ ط٥، دار العلم للملايين / بيروت ، ١٩٦٨م .

- كارين آرمسترونج (معاصر)

✓ القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث ، ترجمة: د. فاطمة نصر ، محمد عناني / سطور، د. ط / ١٩٩٨م.

✓ سيرة النبي محمد ، ترجمة د. فاطمة نصر ود. محمد عناني / ط٢، سطور / ١٩٩٨م.

- كاظم جواد الحكيم(الدكتور)

- آثر الاستشراق في الفهم الحداثي لمباحث تاريخ القران وعلومه / ط١، العتبة العباسية المقدسة– المركز المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية/ النجف الاشرف ، ١٤٤٣هـ –٢٠٢١م.

[ل]

- لُوِيس مَعْلُوف (ت ١٩٤٦ م)

✓ المنجد في اللغة / المطبعة الكاثوليكية ، د. ط/ بيروت ، د. ت .

[م]

- مالك بن نبي (ت١٩٧٣م)

✓ انتاج المستشرقين واثره في الفكر الاسلامي الحديث/ ط١، دار الارشاد / بيروت ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م.

- مجموعة باحثين

✓ ترجمة القرآن عند المستشرقين / ط١، العتبة العباسية المقدسة– المركز المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية / النجف الاشرف ، ١٤٤٣هـ –٢٠٢١م.

- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)

✓ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، د. ط / بيروت ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م .

- محمد البهي(الدُّكتور)

✓ الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي / ط١٠ ، مكتبة وهبة / القاهرة ، د.ت.

- محمد الخضر حسين(ت ١٩٥٨م)

✓ نقض كتاب في الشعر الجاهلي / مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، د. ط / القاهرة ، ٢٠١٢م.

- محمد الخضري بك ، محمد بن عفيفي الباجوري (ت ١٣٤٥هـ)

✓ محاضرات في بيان الأخطاء العلمية التاريخية التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي / مجلة القضاء الشرعي ، د. ط / د. ت .

- محمد باقر الحكيم(ت١٤٢٤هـ)

✓ علوم القرآن / ط٣، مجمع الفكر الاسلامي/ د. ت .

- محمد بن يوسف اطفيش(ت١٣٣٢هـ)

✓ تيسير التفسير ، تح: إبراهيم بن محمد طلاي / ط١ / مسقط – سلطنة عمان ، ٢٠٠٤م .

- محمد بيومي مهران (ت٢٠٠٨م)

✓ دراسات في تاريخ العرب القديم / دار المعرفة الجامعية ، د. ط / الإسكندرية– مصر ، د. ت.

✓ مصر والشرق الأدنى القديم / دار المعرفة الجامعية ، د. ط / الإسكندرية ، ٢٠٠٤م.

- محمد جواد البلاغي(ت ١٣٥٢ هـ)

✓ الرحلة المدرسية ، ط٢ ، دار المرتضى للطباعة والنشر ، ١٩٩٨م .

- محمد حسين علي الصغير: الدُّكتور (ت١٤٤٤هـ)

✓ المستشرقون والدراسات القرآنية / دار المؤرخ العربي / بيروت ، ٢٠١٢م.

- محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)

✓ الميزان في تفسير القرآن / ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

- محمد حسين هيكل(ت١٣٧٦هـ)

✓ حياة محمد ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، د. ط / القاهرة ٢٠١٢م.

- محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)

✓ تفسير المنار / مطبعة المنار ، ط١ / القاهرة ، ١٣٤٦هـ .

- محمد سعيد(الدُّكتور)

✓ النسب والقرابة في المجتمع العربي(دراسة في الجذور التاريخية للإيلاف)/ دار الساقي، د. ظ/ بيروت ، ٢٠٠٦م .

- محمد سيد طنطاوي(ت١٤٣١هـ)

✓ التفسير الوسيط للقرآن الكريم / ط١، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع / الفجالة – القاهرة ، ١٩٩٧م.

- محمد شحرور: الدُّكتور(ت١٤٤٠هـ)

✓ القصص القرآني قراءة معاصرة / دار الساقي ، ط١/ بيروت ، ٢٠١٠م.

- محمد شلبي(معاصر)

✓ المنهجية في التحليل السياسي/ د. ط / الجزائر، ١٩٩٧م.

- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)
- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) / الدار التونسية للنشر د. ط / تونس ١٩٨٤م .

- محمد عبد الرحمن شرقاوي (ت ١٩٨٧م)

✓ الاستشراق وتشكل نظرة الغرب للإسلام/ ط١، دار البشير للثقافة والعلوم / مصر، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

- محمد فتح الله الزيادي (الدُّكتور)

✓ ظاهرة انتشار الاسلام وموقف المستشرقين منها / ط١، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان / طرابلس – ليبيا ، ١٩٨٤م .

✓ الاستشراق أهدافه ووسائله / ط٢، دار قتيبه ، دمشق ، ٢٠٠٢م .

- محمد فريد وجدي(ت ١٩٥٤م)

✓ نقد كتاب الشعر الجاهلي ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، د. ط / القاهرة ٢٠١٢م.

- محمد فؤاد عبد الباقي(ت ١٣٨٧هـ)

✓ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، د. ط / القاهرة ، ١٣٥٤هـ .

- محمد مصطفى المراغي(ت ١٣٦٤هـ)

✓ تفسير المراغي/ ط١، مكتبة ومطبعة مصطفى اللبناني/ مصر ١٩٤٦م.

- محمد هادي الاميني(ت١٤٢٠هـ)

✓ مكة / مكتبة نشر العلم والادب ، ط١ / طهران ١٩٨٨م .

- محمود حمدي زقزوق : الدُّكتور (ت١٤٤١هـ)

✓ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري / دار المعارف ، د. ط / القاهرة ، ١٩٩٧م.

- محمود كيشانية(الدُّكتور)

✓ القصص القرآني في مرآة المستشرقين دراسة نقدية / ط١، العتبة العباسية المقدسة – المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية / النجف الاشرف ، ١٤٤٢هـ – ٢٠٢٠م .

- مرسيا الياد(ت١٩٨٦م)

✓ المقدس والمدنس ، ترجمة عبد الهادي عباس المحامي / ط١، دار دمشق / دمشق ، ١٩٨٨م.

- مساعد بن ناصر بن سليمان الطيار (الدُّكتور)

✓ التفسير اللغوي للقران الكريم / دار ابن الجوزي ، د. ط/ د. ت.

- مونتجمري وات (ت٢٠٠٦م)

✓ محمد في المدينة / تعريب: شعبان بركات / منشورات المكتبة العصرية صيدا – بيروت ، د. ط/ د. ت .

✓ محمد في مكة / تعريب: شعبان بركات ، منشورات المكتبة العصرية ، د. ط / بيروت ، ١٩٥٦م .

[ن]

- ناصر مكارم الشيرازي(معاصر)

✓الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل / مدرسة الامام علي ابن ابي طالب ، د. ط / قم ، ١٤٢٦هـ

✓قصص القران– مقتبس من تفسير الامثل– اعداد: حسين الحسني ، د. ط / د. ت.

- نذير حمدان (الدُّكتور)

✓الرسول صلَّى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين/ دار المنارة للنشر والتوزيع والترجمة ، د. ط / الرياض ، ١٩٨٦م.

[هـ]

- هاشم ابو خمسين(الدُّكتور)

✓ مدخل الى علم التفسير / تح: احمد عبد الحسين رهيف ، د. ظ / د. ت .

- هامِلْتُون ألكسندر روسكن جب (ت١٩٧١م)

✓ دراسات في حضارة الاسلام ، تحرير: شتانفورد شو ووليم بولك ، ترجمة: احسان عباس / ط٣، دار العلم للملايين / بيروت ، ١٩٧٩م.

- هشام جعيط (ت٢٠٢١م)

✓ نشأة المدينة الإسلامية / ط١ ، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت ، ١٩٨٦م.

- هنري لآمنس(ت١٩٣٧م) وكستر(ت٢٠١٠م)

✓ مكة في الدراسات الاستشراقية / ط١ ، المركز الاكاديمي للأبحاث / بيروت ، ٢٠١٤م.

- هنري ماسيه (ت١٩٦٩م)

✓ الاسلام ، ترجمة: بهيج شعبان / ط٣، منشورات عويدات / بيروت ، ١٩٨٨م .

- واشنطن إرڤنگ(ت ١٨٥٩م)

✓ حياة محمد ، ترجمة: علي حسنين الخرطبولي / ط١، الاهلية للنشر والتوزيع / الاردن ، ٢٠١٤م .

✓ مُحمَّد وخلفاؤه، ترجمة: هاني يحيى نصري/ المركز الثقافي العربي ، د. ط/ الدار البيضاء ، ١٩٩٩م .

- وجيه قانصوه (الدُّكتور)

✓ النص الديني في الاسلام / ط١، دار الفارابي / بيروت، ٢٠١١م .

- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت

✓ الموسوعة الفقهية الكويتية : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية / ط١، مطابع دار لبنان / بيروت ، ١٩٧٠م .

- ويليام جيمس ديورَانت (ت١٩٨١م)

✓ قصة الحضارة ، ترجمة: زكي نجيب محمود، محمد بدران، عبد الحميد يونس، محمد علي أبو درة ، فؤاد أندراوس، عبد الرحمن عبد الله الشيخ / دار الجيل ، د. ط / بيروت – لبنان ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

- يحيى مراد

✓ افتراءات المستشرقين على الإسلام والردَّ عليها/ ط١، دار الكتب العلمية/ بيروت ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

- يوسف توما(معاصر)

✓ اطلس الكتاب المقدس وتاريخ المسيحية(النسخة العربية)/ د. ط / د.ت.

ثالثا: الرَّسائلُ والأطاريحُ :

١- الرَّسائلُ(الجامعيَّةُ) :

- سلوى بوشارب

✓ مكة وعلاقتها بالحواضر الحجازية والدول المجاورة ، مقدمة إلى/ جامعة منتوري، قسطينه/ الجزائر ، ٢٠٠٨م .

٢- الاطاريح(الجامعيَّةُ):

- سكينه عزيز الفتلي(الدُّكتورة)

✓ المنهج التطبيقي لتفسير القرآن الكريم ، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة الكوفة ، كلية الفقه، ٢٠٠٩م.

- صلاح عباس حسن السوداني(الدُّكتور)

✓ الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الإسلام، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة بغداد ، كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية / بغداد ، ٢٠٠٢م.

رابعًا: المصادر الأجنبية

- Charles Lyall

✓ The Ward Hanif and Muslim, in JRAS, 1903

- J.A. Montgomery

✓ Acetic Strains in Early Judaism, in, JBL. Vol. LI, 1932

- Muir, Sir William

✓ The Life of Mohammad.. From Original Sources, Boston: Adamant Media Corporation, 2001

- Tar Andrae

✓ Der ursprung der Islam und des CHristentum, Uppala, 1926

- THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM (NEW EDITION). LEIDEN: E.J. BRILL, LONDON: LUZAC & CO., 1960- 1995

خامسًا: البحوثُ والمجلاتُ

- بدران بن مسعود بن حسن(الدكتور)

✓ تفسير التوراة بالعربية لسعاديا الفيومي والاثر العربي والإسلامي فيها (بحث) منشور في مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان ، مجلة علمية محكمة ، المجلد الثامن ، العدد الثاني / ٢٠١٩م .

- حيدر قاسم مطر التميمي(الدُّكتور)

✓ الجهاد الاسلامي في الدراسات الاستشراقية(بحث) ، منشور في مجلة دراسات استشراقية ، فصلية محكمة تصدر من العتبة العباسية المقدسة– المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، العدد العاشر/ ٢٠١٧م.

- رضا عبد المجيد المتولي(الدكتور)

✓ تحويل القبلة في الفكر الاستشراقي ، بحث منشور على (النت) / القاهرة ، ١٤٤٣هـ – ٢٠٢٢م.

- رينولد نيكلسون

✓ تاريخ العرب الادبي، بحث منشور على (النت)، ترجمة: حسن حبشي، مجلة الرسالة، العدد ١٧٥ / ١٩٣٦م .

- شاكر عالم شوق

✓ الاستشراق اخطر تحد للإسلام ، بحث منشور على (النت)، في مجلة دراسات الجامعة الإسلامية العالمية ، شيتاغونغ ، المجلد الثالث / ٢٠٠٦م .

- شكري النجار (الدُّكتور)

✓ لم الاهتمام بالاستشراق(بحث) ، منشور في مجلة الفكر العربي ، العدد ٣١ / بيروت ، ١٩٨٣م.

- عبد الحكيم عاشور ميلاد الشعافي(الدُّكتور)

- ✓ إيلاف قريش واثره على العلاقات الخارجية في المجتمع المكي(بحث) ، منشور في مجلة العلوم الانسانية والعلمية والاجتماعية، العدد الثاني/ ٢٠١٦م .
  - لخضر بن بو زيد(الدكتور)
- ✓ الدراسات الاستشراقية واثرها على العقيدة(بحث) ، منشور في مجلة دراسات استشراقية ، فصلية محكمة تصدر من العتبة العباسية المقدسة– المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، العدد الخامس عشر/ ٢٠١٨ م .
  - محمد بن سعيد عبد الله السرحاني(الدُّكتور)
- ✓ موقف المستشرقين من الحج(بحث) منشور في مجلة الدراسات الاسلامية، جامعة ام القرى ، المجلد التاسع ، العدد الثاني/ ٢٠٢١.
  - محمد حسن زماني(الدُّكتور)
- ✓ الاستشراق تاريخه ومراحله(بحث) ، منشور في مجلة دراسات استشراقيه ، فصلية محكمة تصدر من العتبة العباسية المقدسة– المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، العدد الأول / ٢٠١٤م.
  - محمود طيّب الحسيني
- ✓ دراسة نقدية لآراء خلف الله حول القصة الأسطورة، بحث منشور على (النت) ، ترجمة: نظيرة غلاب/ مجلة نصوص معاصرة ، مركز البحوث المعاصرة/ بيروت ، ٢٠١٥م.
  - نيفين حلمي عبد الحميد وحنان محمود حمد
- ✓ الدراسات المقارنة في المناهج: دراسة تحليلة مقارنة (بحث) ، منشور في مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد ٤٣، الجزء الرابع/ ٢٠١٩م.
  - واردنبرغ جان جاك
- ✓ المستشرقون (بحث) ، ترجمة: أنيس عبد الخالق محمود، مجلَّة دراسات تاريخية، بيت الحكمة ، العدد السادس والعشرون / بغداد ، ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م .

خامسا: مواقع الانترنت (internet sites)

- faculty.kfupm.edu.sa/ias/ahussein/files/research.docd
- https://al-akhbar.com/Kalimat/295551
- https://nosos.net

- https://biblehub.com/psalms/84-6.htm ،Psalm 84:6